

وثائق
تاريخ الأورطة المصرية السودانية
في الكونغو الحرة

للدكتور
محمد رفعت رمضان
أستاذ التاريخ المساعد بجامعة القاهرة
فرع الخرطوم

يونية ١٩٦٣

تصليد

منذ فجر التاريخ يقاس دور كل أمة من أعم العالم بأثارها وحضارتها وفنونها وعلومها والسودان كأمة من هذه الأمم له تاريخ حافل بهذه الأنار والعلوم والفنون غير أنه مشوب بشيء من الغموض لعدم الباحثين عنه وكل أمة لابد لابنائها من بحث تاريخها وحضارتها ونشرها بوعى وتوضيح للعالم أجمع وهذه الأسباب اجتمعت طلبة شعبة التاريخ بجامعة الازهر بدار السودان بالقاهرة في يوم ١٢ ديسمبر سنة ١٩٦٤ م وأسسوا جماعة باسم «جماعة بحث التاريخ السودانى» هدفها بحث التاريخ السودانى فى ثوب جديد وتحقيق وتمحيص وقد ما كتب عن تاريخ السودان ونشره على نطاق واسع بإصدار كتيبات أو إقامة محاضرات أو ندوات أو وسائل :

وبدأت لجنة هذه الجماعة نشاطها لابرز أهداف هذه الجماعة بوضوح وجلاء للشفقين السودانين وغيرهما حتى التف حولها خيرة أبناء أمتنا العظيمة ومن بين هؤلاء المثابرين على العلم والمعرفة الاستاذ حسب الله محمد أحمد كما عرفناه فقد اتبعت لنا الفرصة بالتعرف عليه منذ عدة سنوات وبعد أن اشترك معنا فى لجنة هذه الجماعة قد كشف لنا عن سجاياه نوراً وضاءاً وأدباً رائهاً حتى أحبه وأحترمه جميع أعضاء هذه الجماعة وكلهم يذكر نشاطه الجلم فى إبراز وجه السودان القديم والحديث فى عدة مجالات فقد دأب الاستاذ حسب الله منذ عدة سنوات على الكتابة فى ميدانين هما التاريخ والأدب وقد ألقى عدة محاضرات بهذا الصدد وكتابه قصة الحضارة فى السودان دليل على نشاطه وثقته فى نفسه ووجه لوطنه . فقد تناول الكتاب فى مضمونه قصة الحضارة عن أقدم العصور من أثار وآداب وفنون وعلوم موضحاً معالمها الحقيقية من ٣٤٠٠ ق.م. إلى ١٩٠٠ م ويسكفيه غبطة ونشراً بأنه أول من طرق باب الحضارة فى السودان ووضع فيها مؤلف خاص بها وهما هو كتابه «بسط للقرأ حسبهم مطالعته للوقوف على زواياه

والإفادة من بحر علمه الواسع . وهو كتاب يفيد كل طالب وقارئ وباحث
عن تاريخ الحضارة في السودان . وجماعة بعث التاريخ إذ تشد يد على يد هذا
الشاب المثابر النشط وتمتته على هذا العمل الجليل الذي يعد مفخرة لكل سوداني
يهمه تاريخ السودان وحضارته وتبحث كل مواطن على اقتناء هذا المؤلف .

وفي الختام . هذه أول تجربة نخوضها هذه الجماعة بإصدار هذا المؤلف .

وكل تجربة لابد أن يكون فيها نقص أو خطأ ولذلك تأمل الجماعة من
أساتذة الفكر والعلم والأدب في السودان وغيرهم إبداء النصيح والإرشاد لها
نحو الأمام قدماً لتخرج تاريخ السودان قديمه وحديثه في ثوباً يلتفت به .

امضاء .

جماعة بعث التاريخ السوداني

القاهرة في ١٨ / ١١ / ١٩٦٦

﴿ مقدمة ﴾

كلية للأصدقاء :

هذه الدراسة كانت التزاماً للأصدقاء أعضاء . عالم بحث التاريخ السودانى ضمن التزامات الأعضاء بدستور الجماعة بأحياء التراث السودانى وتقديم الدراسات السودانية فى هذا المجال .

وقد اخترت بعد حضورى للقاهرة أن أقدم للأصدقاء ولقراء دراسة يحتاج إليها كل قارىء ومثقف يود أن يلم بتاريخ الحركة الثقافية منذ أوائل القرن العشرين وذلك لكثرة الإراء والأخبار القصيرة عن هذه الفترة . وقد بدأت فى جمع مادة عن تاريخ الصحافة فى السودان فى عام ١٩٦٤ بمساعدة الأستاذ الكبير د شاطر البهيلى ، وبمساعدة المسئولين بدار السكتب المصرية الذين سهلوا لى مشكورين كافة المراجع وأمدوني بالفهارس .

وقد وجدت بعد مسيرة أربعة أشهر فى تلك الدراسة التى يجب أن تكون امتداداً لتاريخ ثقافى واضح المعالم وجدت للأسف أن الدراسات التاريخية السابقة لا تنسج حاجة المثقف لمعرفة تطور الحياة الثقافية فى السودان عبر القرون ولذلك وجدت أن كتابتى عن تاريخ الثقافة أو الصحافة فى القرن العشرين هى دراسة عن نهاية تاريخ مفقود المعالم ..

وأخترت عبء مسئولية تاريخية وفكرية ووطنية وهى ان أحاول أن أقدم صورة عن تاريخ الحضارة السودانية وذلك بمتتبع النشاط الإنسانى الذى مارسته

إنسان السودان من فنون وعلوم وأدب وعمارة وعلاقات اجتماعية منذ أن وجد هذا الإنسان على هذه الأرض وتبع رحلته عبر القرون حتى عرف الاستقرار وخط لحياته أنظمة اجتماعية مختلفة حسب ظروف معيشته وإمكاناته الاقتصادية وشارك في الحضارة الانسانية والتقدم الاجتماعى والبشرى متمشياً مع الظروف الاقتصادية والإمكانات الطبيعية والنظم الاجتماعية التى هى أساس كل تطور وتقدم وتوظيف تلك الامكانيات لأى مجموعة من مجموع الناس .

وقد استعنت بالمفهوم المادى للتاريخ فى هذه الدراسة وذلك بتتبع النظام الاقتصادى للمجموعات التى عمرت أرض السودان وذلك أن النظام الاقتصادى هو الذى يوظف النشاط الانسانى ان كان قنأ أو علماً أو إدارة .

وقد وجدت الدراسات التاريخية عن تاريخ السودان لا تستطيع أن تعطينى صورة عن تاريخ النشاط الحضارى أن كان فيما يختص بتاريخ الحياة الأولى للإنسان السودان أو فيما يختص بصورة المجتمع ومراحله وحركة الحياة اليومية والنظام الاجتماعى فيه ونشاط الانسان فى مجال العلوم والفنون .

وقد استعنت بالمفهوم المادى للتاريخ للوصول لبعض الحقائق كماقت بدراسة المنطقة المحيطة بالسودان وتتبع النشاط الانسانى فيها والبحث فى تاريخها ومايربط السودان بها إذ توفرت لبلدان الشرق الأوسط دراسات طيبة فى جميع مجالات النشاط البشرى .

وقد استعنت بالدراسات التى تتبع الحضارة الانسانية عامة والفرعونية فى مصر فى مجال العمارة والديانات والعلوم وعلاقة هذه الحضارة بحضارة السودان واتصال تلك الحضارة بحضارة الفرس والاعريق والرومان كما تتبع تاريخ

الحضارة العربية وأثرها على شرق السودان قبل ظهور الاسلام ثم جعلت من الدراسات الافريقية التي ظهرت أساسا لافريقية السودان القديم وحاولت أن أجد الصورة القديمة التي عاشت بعيدة عن أثر الحضارة الفرعونية وحاولت أن أشير إلى الحضارة الافريقية بما فيها من عبادات وفنون ونظم اجتماعية ثم تابعت تاريخ المسيحية في الشرق وفي وادي النيل والمضبة الحبشية من خلال نشاط المسيحية في شمال النيل والمضبة الحبشية استطعت أن أتوصل إلى حال المسيحية في السودان وما قدمته للسودان .

كما تابعت كل نشاط المسيحية وفكرة الدير والكديسة ثم الاديرة التي قامت على النيل وداخل السودان ثم في النهاية ما أضافته هذه الديانة لحضارة الانسان السوداني وإلى الفرعونية والافريقية في السودان وما هي الاضافات التي أعطتها لذلك التراث القديم .

أما عن العرب فلم أكتفى بوجود العرب داخل السودان بل تابعت حضارة الاسلام وأسباب نزوح العرب من الجزيرة العربية والعوامل التي دفعت بهم إلى داخل القارة الافريقية مع دراسة للحركة الاموية والعباسية والفاطمية وأثر هذه التيارات في نزوح العرب إلى أفريقيا والسودان وأي هذه التيارات كان له النصيب الاوفر في طرد العرب من موافهم ودفهم إلى أراضي جديدة مكرمين سياسياً .

ثم تابعت دخول الاسلام والعرب إلى السودان من كل الجهات من الشمال والشرق والغرب وحاولت أن أرسم صورة الامتزاج والاختلاط الذي تم بين العرب وسكان السودان ثم دخول الاسلام إلى السودان وبأى صورة دخل الاسلام وعلى أى صورة استقر حتى ظهور السلطنة السنارية وسلطنة

الفور ثم دراسة عن حال الثقافة والفكر في عهد السلطنة السنارية حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي .

كما أضفت إلى ذلك دراسة عن حال الثقافة العربية وتطورها في السودان ونشأة الصوفية في البلاد العربية وتاريخ وصولها إلى السودان مع مقارنة حال الصوفية بالسودان بالنسبة للصوفية الأولى وتعاليمها وفكرها .

كما حاولت أن أتبع الصراح بين الافريقية والفرعونية والمسيحية والعربية والاسلام داخل السودان حتى القرن التاسع عشر الميلادي .

وخلال هذه الدراسة قدمت بعض النماذج للحضارة الفرعونية من عادات وفنون وعلوم مع محاولتي لتوسيع تاريخ الحضارة الفرعونية في السودان لعصور لم تنطرق لها الدراسات التاريخية السودانية . ثم أعطيت كذلك بعض النماذج للحضارة الافريقية ودياناتها وعاداتها ونظمها الاجتماعية والاقتصادية وكذلك بعض الامثلة لحياة المسيحية من الانجيل والدراسات القبطية وتاريخ الكنيسة المصرية وراهبان وادى النسطرون . ثم دراسة عن تاريخ الشعر العربي في السودان . بجانب الحياة الاقتصادية ونظمها وأثرها في هذا التاريخ الذي يمتد من ٣٤٠٠ ق م . إلى ١٩٠٠ م .

وأنا أعتر للقرء والباحثين لقصر هذه الدراسة عن التوسيع والتدقيق السكافي الذي يستلزم في مثل هذه الدراسة وعذري هو ضيق الامكانيات وعدم وجود الاستقرار السكافي حيث الالتزامات بالقاهرة لاترك للفرد الذي يحيا بالنشاط الاجتماعي والفكري أى طائفة لعل آخر . وأمل أن تكون هذه الاعوام من الدراسة والتحقيق قد أرضيا الاصدقاء والباحثين في محاولة لاكتشاف تاريخ الحياة في السودان عبر القرون ..

أمل أن كانت هناك أخطاء أن يغفرها الأصدقاء ويكفيني حسن النية لأعطاء
حياتنا الثقافية بعض المجهود الجاد وآمل منهم تنوري للخطأ وأن كان هناك
اختلاف في الرأي فأمل أن يكون اختلاف رأي مسموح به في مجال الدراسات
العلمية .

ولأصدقائي من رابطة رواد الأدب الذين يحبهم أحببت الأدب والثقافة
أقدم هذا العطاء البسيط وللرفاق بجامعة بعث التاريخ السوداني بالقاهرة أقدم
هذه المشاركة البسيطة علما تكون حافزا للرفاق والزملاء لأعطاء الدراسات
السودانية المزيد من الاهتمام والتضحيات .

حسب الله محمد أحمد

عضو لجنة جماعة بعث التاريخ السوداني بالقاهرة
وعضو لجنة رابطة رواد الأدب بالسودان
وعضو اللجنة الخارجية لاتحاد الأدباء السودانيين

السودان

أطلق اسم كوشى وأثيوبيا في الصعور السابقة قبل الميلاد على الاراضى جنوب مصر وشرق أفريقيا ما بين خط عرض ٢٤ و ٩٠ ولم يعرف اسم النوبة المطلق على جنوب مصر وشمال السودان حتى العصر الرومانى .

يمتد النيل ارض السودان من الجنوب إلى الشمال ، وتميز المنطقة الشمالية منه بالاراضى الصحراوية شرقاً وغرباً وبضيق بشاطئى النيل ونقل الاراضى الصالحة للزراعة وتحوطه سلسلة الجبال والصخور .

والاراضى الزراعية الخصبة على النيل تتسع قبل التقاء نهر النيل ونهر عطبرة حيث تنحصر وتتسع كلها سرت جنوباً وتمتاز اراضى الجزيرة الواقعة بين النيل الازرق والنيل الابيض بخصوبة ارضها ومساحاتها الكبيرة المتساوية وغلها من الجبال والهضاب .

أما غرب النيل فتظهر فى شماله الاراضى الصحراوية وتظهر السافنا وتختفى كلها سرت إلى الجنوب . من أهم مناطقها منطقة جبل مره ووديانه حيث تزرع أنواع كثيرة من الحبوب والمحاصيل ، تربي الجبال والابقار فى اقليمى الغرب دارفور وكردفان . عمرته قبائل أفريقية قديمة اختلطت بالنساء العربية بعد ظهور الاسلام وانتشار العرب فى أفريقيا .

وجنوب السودان منطقة استوائية غزيرة الامطار والنباتات والادغال تسكنها قبائل أفريقية قديمة وأقدمها الشالك .

اصل سكان وادى النيل

الرأى المتفق عليه بين علماء الأجناس بأن زحف الإنسان الأول —بدأ
شمال الجزيرة العربية . . وتكاثرت البشرية . . وبدأ تضيق بالاقامة في مجموعات
وبدأ جو الخلافات والمشاحنات يسودها . . . ففضلت القرحا ل لاغيره . باحثه
عن أرض جديدة أو أرض منفصلة بكل مجموعة لتعيش في سلام . . نزح منهم
الحاميون لجنوب الجزيرة العربية . . ثم رحل جزء من الساميين إلى أفريقيا
عن طريق مضيق قناة السويس . وذهب جنس لشمال الفرس فكون الجنس القوقازى
كما تكون الجنس لإدريانى من المجموعة السامية . . وإذا تتبعنا رحلة هذه المجموعات
وكيف وصلت إلى أرض النيل في زمن كانت فيه الأرض مغطاة بغابات والوحوش
الضارية . . وكان الإنسان ليس أقل من وحش ضارى . . قبل أن تظهر هذه
الصحراء الأفريقية بشكلها الحالى الذى يكاد يخلو من نبات إلا في بعد الواحات
والوديان . . ولكن وجود بعض الأشجار بمجموعة (*ACCACIA ARABICA*)
أشجار الصند ذات الأشواك والتى تميش على ماء قليل يدل دلالة على أن الحياة
كانت نامية في هذه الصحراء والوديان .

وفي هذا الزمن الأول تظهر لنا اتجاهات المجموعات البشرية الأول في زحفها
إلى أفريقيا . . فعند القرن الإفريقى . . تدافقت المجموعات الأولى إلى هضبة
الحبشة في زمن ليس كزمننا ولا ظروف الحياة الآن . . إنما في ظروف تشبه
إلى حد كبير حياة الغابة ووحشيتها . . ما يدفعنا للسؤال عن الدوافع الأصلية
إلى نزوح هذه المجموعات إلى أرض أكثر وحشية من التى كانوا بها . . حيث
يحاول الحيوان أن يرحل من الأرض التى يتقدم فيها الإنسان أو يرحل الإنسان
تاركا الأرض للوحش وهى لاشك دوافع قوية ربما يكون منها إضطهاد المجموعات

لبعضها البعض بفعل التكاثر أو بظهور زعامات جديدة تود أن تخلق لنفسها عالما الخاص . . أو حول زعامات قديمة لا تستطيع أن تقاوم الزعامات الجديدة أو بفعل ظروف طبيعية . . أو بفعل تصورات غيبية تسيطر عليها أو كانت تعتقد فيها تدفعها البحث عن أرض أطيب من يعيشون بها :

ومن هذا يتبين لنا أن النقل في تلك الأزمنة كان معناها الهروب من جميع الإنسان المتوحش إلى جميع الحيوان والطبيعة المتوحشة ودخلت تلك المجموعات إلى أرض أفريقيا جزء سار إلى داخل القارة عن طريق مضاب الحبشة المتوحشة وجزء سار متابعا للشاطئ الشرقي لأفريقيا . . متوغلا إلى الداخل حتى كون فيما بعد السلاسل الزنجمية الخالية . . ثم طال الزمن بالمجموعات الأخرى حتى تصل أو تجد مكانا تستقر به إلى أن هبطت من الهضبة الحبشية التي بطبيعتها أكثر وحشية من الوادي الذي يكون أرض السودان . ومن هذه المجموعات سكنت أول مجموعة على شاطئ البحر الأحمر مكونة سلاسل البجا التي ظلت تحتفظ بشكل سكان وادي النيل والتي يزعم المؤرخون وعلماء الأجناس أن الفراعنة من سلالة واحدة مع هؤلاء البجة . . لأوجه الشبه في كثير من الصفات الطبيعية في تركيب العظام والمجمعة خاصة .

ومن هذه الرحلة تدفقت المجموعات الغير مستقرة لتجد النيل مهذا صالحا للاستقرار للصفات الكثيرة التي توفر جو الاستقرار والإقامة . . كما جاءت بعض الجماعات السامية من شمال أفريقيا عن طريق قناة السويس بعد ما انتشرت على شمال أفريقيا . . ولكن النيل كان أصلمح تلك المناطق الاستقامة ولذلك سرعان ما كثرت به الجماعات واستقرت وعرفت أول معنى للاستقرار ومارست الزراعة بصفة طبيعية . . وبدأت الحياة البشرية تكون حياة بشرية لها معنى وطعم ومذاق .

وبدأ منذ ذلك الوقت مجتمع وادى النيل يتعقد وتظهر الزعامات وتكونت الطبقات الاجتماعية التي ظهرت بصورة ماهرة في عهد الفراعنة . . . وظهر المجتمع الطبقي من ملوك . . . ومساعدتهم وجند وعبيد . . . وظهر الانسان الآله . . . في صورة فرعون ماهر الأول ولكن مجتمع الطبقات لا زال مجتمع الملوك والقواد والتجار والعبيد أو عميد المملكة الفرعونية من فلاحين وبقية الشعب التي كانت بوضعها الاجتماعي والديني هي خادمة الملك والمملكة . . ومن هذا التركيب الاجتماعي القائم على السادة والعبيد الذي قامت على أكتافه أول حضارة للانسان على أرض النيل من عمارة وطب وفن وعلم امتدت من أرض الدلتا حتى وصلت إلى أرض الجزيرة وجنوب النيل الأزرق بعد قيام ملكة مروي القديمة .

نظره على المجتمع الأول .

لنجعل تطور العلاقات الاجتماعية تتطورا للفكر وتتطور الحياة إذا تطور العقل وتتطور العلاقات حتى نستطيع من خلال تطور العلاقات أن نصل إلى آخر مراحل التطور التي وصل إليها مجتمعنا اليوم على أساس أنه فكريا أكثر تطورا من المجتمعات الأولى .

وإذا جازنا أن نرسم صورة عامة للعلاقات في المجتمع الأول الذي استوطن أرض النيل ومساحات السودان الشاسعة عينا أن نتذكر مناخه في تلك الظروف الطبيعية التي مهدت لحاق مجتمع زراعي مستقر و ظروف السهل مهدت لحاق الحياة البدوية والحياة الرحل التي هي أكثر مشقة وأبعد بسكشير من حياة الاستقرار التي في ظلها يرتقى الفن وتتطور علاقات الناس .

إذا الظروف الطبيعية خلقت لنا مجتمعين أحدهما مهدت له ليرتقى سلم

التطور خلال الاستقرار وآخر حرمة من هذا التطور يعيش في حياة التنقل والترحال ويعاشر الطبيعة الأم من غير لمسات الانسان المبدعة.

وإذ أردنا أن نتبع هذه المجموعات سنجد سكان النيل عند البحر الأبيض المتوسط إلى داخل أفريقيا حيث ينتهى النيل عند بحيرة فيكتوريا . . . هذا النيل كان معمورا بالحياة الانسانية حيث تختلف ظروف النيل وتميذه حياة الاستقرار . ففي الشمال مهدت الظروف بعد هروب الحيوانات المفترسة وسهولة الأرض لتمهيدها وصناعة العشش والمساكن مكن الانسان ان يستقر في الشمال نسبة للظروف الطبيعية الحشنة التي وجدها الانسان في أرض صالحة للزراعة بعيدة عن تجمعات الحيوانات المفترسة ولكن كلبا مرنا للجنوب ظهرت الطبيعة الأكثر وحشية والحيوانات المفترسة حتى تدخل منعة السدود بعد ملأكل حيث تتغير الصورة وتصح حياة النيل غير تلك في الشمال وتصبح لا تختلف في شيء عن حياة الغابة إذا يصعب وجود سهل على ضفتيه بل أشجار غزيرة وحشائش كثيفة مهدت لتأخر تطور الانسان الذى سكن نيل الادغال فلم يفده النيل في شوء ولم يقدم له أى مساعدة كما قدم الإنسان الأول الذى استوطن شمال النيل .

هذا تصورنا للحياة الطبيعية في أرض السودان قبل مئات الآلاف من السنين بأن شكل اراضية لم يكن كالآن . فأرض الجزيرة كانت عبارة عن مستنقعات والصحراء الكبرى التى تغطى نصف مساحة السودان ونسرحف كل يوم إلى إلى الجنوب لم تسكن موجوده بهذه الصورة وإنما التغيرات الطبيعية التى حدثت للكرة الارضية هى التى مهدت لهذه الصحراء أن تمتد كل يوم إلى داخل القارة



تمثال أمصعوتب الثالث — يقاها أنمار مملكة نبتة (القرن الثامن قبل
الميلاد عند جبل البركل)



الطبيعة هي أساس الفن والسران والتقدم . . . وقفت هذه الأشجار المتسعة بهذه
قدرة الإنسان لتطويع الطبيعة لنفسه والاستفادة من شئها في جذب النيل .



انسان النيل في جنوب السودان (افراد قبيلة الشوك) استغلوا خيرات الطبيعة في
اعالي النيل للسكن بدل الصالحات والحجارة لتاسب مناخ الجنوب

بحيرة نو والطبيعة الفريدة في الجنوب
كثافتها خيراتها الحيوانية
أكثر من الإنسان



الصوفية والديانات الافريقية

لا تفصل الصوفية الحقة عن الحركة العلية بين المجموعات التي تنتشر بينهم
فأذا استطعنا أن نفتنع بأن الصوفية هي حركة عليية في بدايتها لتطور علم التوحيد
لاستطعنا أن ندرك اتجاهات أى حركة صوفية ظهرت في البلدان العربية بعد
معرفة نهضتها العلية والثقافية .

وأول سؤال نستطيع أن نسأله عن الحركة الصوفية في السودان ، علينا أن
نسأل عن الحركة العلية والثقافية في السودان وهل كان في إمكانها إحضار هذه
الحركة الصوفية العلية الاحتمضان السليم والسير بها نحو الكمال أم إن الظروف
العلية والثقافية كانت في مستوى أدنى من إحضار هذه الحركة مما معهد
للانحراف فيها

يجب علينا أن نقيم الحركة الصوفية في السودان التقييم العلى الصحيح لأن هذه
الحركة دخلت السودان منذ القرن السادس عشر والسابع عشر الميلادى وانتشرت في
السودان بشكل ملحوظ وكان لها أثر كبير على الجماعات والافراد وما زالت توجه
حتى اليوم الكثير من افكارنا وثقافتنا ولها أثر كبير في معتقداتنا وأخلاقنا
وطبائعنا وتطلعاتنا . فأذا استطعنا أن نقيم المجتمع السودانى حين دخول
الصوفية وحط سير هذه الصوفية بالنسبة لظروف المجتمع الى وجدت نفسها
فيه نستطيع أن نتخيل بأرياح مسيره هذه الصوفية ان كان نحو الكمال أو نحو
الانحراف .

ولذا أردنا أن نبحث عن ظروف العلية والهيمنة الفكرية ان نستطيع

مغيرة على كل حى . . واقفة ضد حياة الحياة النسانية فى الصحراء . وبشكل الصحراء .
الحالى لم نستطيع أن نكشف الحياة البشرية التى كانت فى كثير من السهول القديمة
والتي تغطيها الأراضي الصحراوية اليوم كانت بها حياة بشرية وكانت بها مدنية .
هذا ما تخفيه الرمال . . ولكن كثير من الدلائل والآثار برهنت على أن هناك
حضارات وحياة انسانية كانت فى هذه الصحارى بعيدة عن النيل . . . وأن
الرمال قد دفنت هذه الآثار التي يصعب العثور عليها الآن حيث يصعب التفتيش
فى مكان معين إلا إذا حفرنا كل الصحراء لتحدثنا عن اسرار الماضى . . .
ولكن ما اكتشف على بعد كبير من النيل بقرب منطقة النوبة يدل على أن
هناك حضارة وحياة بشرية كانت قائمة بعيدة عن النيل اندثرت بفعل الرمال
المتحركة التي تستطيع أن تغطي قرية بأكملها فى ليلة واحدة .

هذا بالتالى يجعلنا نسأل أو نتصور أن هناك تجمعات بشرية كانت فى
هذه الصحراء خلال التجمعات البشرية الموجودة الآن أو من بداية تاريخ
حضارة النيل قبل ثلاثين قرنا قبل الميلاد .

ونحن نعرف أن تجمعات البحر الاحمر البقعة الان كانت موجودة من قديم
الزمان فى هذه البقعة ثم جاءت اليها مجموعات أخرى بتقدم الزمن . . ولكن هذا
لا يفيينا من تصور بتجمعات فى تلك الرمال التي قصت على حياة كثيرة كانت
نامية من قبل .

وهذا لا يمنعنا أيضا من تصور مجموعات فى الغرب أنت عن طريق ليبيا
ونحن نعرف حسب الحفريات الأخيرة بأن هناك كثير من المدنيات قامت
بعيدة عن النيل . . وإن العنصر الليبي لم تكن حدوده الاراضى الحالية .
وربما بعض الاكتشافات التي تجرى الآن فى الصحراء غرب أرض النوبة
وبنشر بعض التقارير الادارية التي أرسلتها البعثة السوفيتية أن هناك حياة

بشرية ومدنية قامت بعيدة عن أرض النيل كان للرياح الرملية الأثر الأول
لذئذ تلك الحياة . وتتصور حياة بشرية غرب النيل اندثرت أو هرب
أصحابها للغرب وتوغلوا حتى غرب أفريقيا وعمروها يجعلنا نعتقد أن كثير
من الهجرات والزحف داخل أفريقيا جاء من شمال أفريقيا وسمول النيل .

وإذا أردنا أن نحصر السلالات البشرية التي سكنت أرض السودان بعد
هذا التوضيح فنجد النوبة وهي القبائل السمرات التي سكنت النيل . (أو نهابا)
أو (أثيوبيا) كما كانت تسمى سابقا .. إذا كان هذا الاسم يميز سكان جنوب
النيل عن سكان مصر الاقبح لونا . وما عدا ذلك فهم نوبة أو أثيوبيين . إذ
النوبة في الوقت الحاضر أرض صغيرة تمتد شمال حلفا إلى أرض السكونز
وجنوبها إلى أرض المحس — في حين كانت كل هذه الأسماء الآن غير موجودة
قديمًا فلم يكن في الشمال قبائل محسية أو تنقلاوية أو شايقية أو عبدلاب
أو ميرقاب أو جعلين أو بشاوين أو شكرية .. إذ كان اسم كل هذه المجموعات
هو أثيوبيا .. هذا بالنسبة للتاريخ القديم والتسمية التي عثر عليها أهل
التاريخ .. ولكن حقيقة هل كان كل سكان النيل جنوب أرض النوبة الآن
هم عنصر واحد ونحن نعرف أن الليبيين كانت لهم غزوات هناك وكانت قبائل
كثيرة تجاور النيل كما أن سكان البحر الأحمر كانوا يزحفون على النيل ..
ونحن نعلم من ذلك أن مجتمع القبلية والعصبة الذي عاش على أرض السودان
لم يكن موجودا في الفترات القديمة .

لم نزعفنا الآثار القديمة أو المخطوطات التي وجدت في معرفة شكل
المجتمع القديم .. لقد كان هناك ملك أو من ينوب عنه في المناطق الكبيرة ..
ثم تتدرج السلطة حتى تصل إلى مرتبة الشيخ الآن . ولكن هذا المجتمع الصغير
الذي كان يرأسه الشيخ هل كانت تربطه ووح القبيلة أم ووح السلطة والمملكة
إذ كان الشيخ هو أكثر مجموعته غنا وعبداً وسلطة .. مجتمع صغير يقوم
على الرعية ولا يقوم على الولاة الطبيعي للقبيلة كما كان مفهومًا عند العرب .

هذا المجتمع الصغير الذى يرأسه الشيخ أو أغنى هذه المجموعة الصغيرة كان يكون الشكل العام للمجموعة كلها .. ويمثل هذا المجتمع الصغير كخادم لذلك الملك يعطيه كل الولاء والتقدير اذ يقوم الملك وأعدائه برعاية شؤون العبيدة وتوظيف الكهنة والاهتمام بهم .. وهذا ما كان يحتاجه الانسان ليعمل به حيرته وتساؤلاته فى الاتجاه الى شىء فوق قدرته .

ولكن بصورة عامة يمكن أن تتصور حياة هذه الحضارات الكبيرة التى عاشت على النيل خلال البحث عن العلاقات فيها ومن خلال هذه التجمعات الصغيرة التى تعطى الساطة للملك الذى هو سيد الكل والذى أحكامه لا اعتراض عليها من رؤساء المجموعات الصغيرة أو المجموعات الاكبر ومن أعوانه ومديرى شؤون مملكته .

ومن هذا نستطيع أن نقول أن حياة الاثيوية وهو الذى سكن ارض النيل فى ارض النوبة الحالية حتى ارض الجزيرة حيث تمتد من هناك بمجموعات أخرى ثم مجموعات البحر الأحمر البهجة والمجموعات التى سكنت سهول النيل الأزرق لم يعرف عن تاريخها القديم أى شىء حتى الآن ولكنها لا شك هى جزء من السلالات الحبشية التى امتزجت بالعناصر العربية أحياء وانتقلت مع مجرى النيل الأزرق أو مع إنحدار الهضبة الحبشية .

تطور المجتمع الزراعى الاول

لو عدنا مع الزمن آلاف السنين بل قبل الميلاد ونظرنا إلى أرض السودان
سنجد أرض النيل بها جماعات مستقرة تعيش في مجموعات بخلاف المجموعات
الأخرى التي تعيش في السهول والوديان .

يما يعطيه المجتمع الزراعى من استقرار للفرد . . . وهذا الاستقرار يعنى
استقراراً في الحياة المعيشية في المقام الأول وضمان وجودها بقرب الأرض . . .
هذا الاستقرار المعيشي سيوفر للفرد مجالاً آخر التفكير والترويح والترفيه عن
نفسه بعد مشقة العمل . . . كان الإنسان مزادعاً لم تكن الزراعة بشكها الحال
بل ربما كانت الزراعة اليدوية هي أن يتنقط الحبة ويغطيها بالتراب ثم تتطور
وبدأ يعمق لهذه الحبة بعد أن رأى الطيور تأكل الحبة والديدان تمسدها . . .
ثم الأعشاب التي بدأت تنمو على الزراعة فتعوق نمو عودها وثمارها ، فسكر
في إذلتها . . . ثم رأى أن يده تتعب من حفر الأرض فيبحث عن عود بديل
يده . . . ثم بدأ يشكل هذا العود يستعمل رجله لأن الانحناء تعب . . . ثم
كثرة المجموعات فأصبحت الأرض المروية بسيطة . . . والنيل بعيداً عنها . . .
فسكر في الشاتوف فهذا كان آخر ما وصل إليه في دنيا التطور والزراعة .

بعد أن صنع الشاتوف وصنع السلوكمة ومحراث الخشب الذي يحرقه آخر . . .
وطورية الخطب . . . والجاروف . . . ثم طور المحراث الانساني إلى محراث تجره
الحيوانات بأن ربط المحراث إلى الثور أو البقرة . . . وبذلك وفر جهداً
جسمانياً عليه . . . فأصبح عنده شاتوفاً ومحرثاً . . . وطورية وسلوكه
— هذه كل معدات الزراعة الأولية بعد تطور المجتمع وحتى وصل إلى
حضارة الفراعنة .

ثم كانت الافات الزراعية الكثيرة منها الطير والزرزور والجراد وفرس البحر

كلما تفتك بدوعه الأمر الذى فرض على الانسان أن يفكر وان يبدع حتى يقاوم الطبيعة . . . ففرس البحر كان موجوداً على طول النيل . . . وغروجه بالليل يعنى زفاسد مزرعته بكاملها وضربها المحصول على مالكة . . . فلا بد للانسان أن يفكر للتخلص من هذا الوحش الذى لا يرحم بمجود الياى والأيام وتعب الزراعة والرعى والنظافة . . . يأتى عليه فى ليلة واحدة . . . ففكر فى حفر حفرة عميقة يغطيها بالأغصان والأعشاب وعندما يأتى ليلا هذا الوحش يقع فى هذه الحفرة وبذلك يسهل قتله أو حرقه .

ثم كان أمر السكن فاستعمل الأغصان فلم تملح فى هذا الطقس الجاف صيفاً وشتاءً . . . ثم فكر فى بناء منزل من الطين ربما أخذت التجربة الأولى عشرات الاشكال وفشلت المحاولات الأولى أكثر من مرة لعدم وضع أساس للمنزل كلية أو بدرجة عميقة أو لعدم معرفة خايط الطين جيداً . . . أو لعدم معرفة عرض سمك كية الطين . . . للطوف ، — أو ربما لعدم اعطاء الطوف كمية كافية من الجفاف حتى يضع عليه الطوف الثانى — ثم كان أمر عرشه كيف يعرشه . . . طبعاً لم يفكر أن يضع عليه ساق شجرة طويلة فى أول الأمر . . . عشرات المحاولات والتجارب حتى انتهى إلى ساق شجرة طويلة ثم تغطيته بالأغصان والأعشاب والطين . . . وهذه المنازل الطينية على النيل الآن هى خبرات عشرات الآلاف من السنين بدأها الأولون ثم يضيف إليها كل جيل بعض التعديلات . . . ربما لم تكن بها نوافذ فى بداية الأمر لأنه لم يعرف كيف يصنع النوافذ ويضع لها أخشاباً من فوق وبقطع الطينه وهى ايده . . . ربما كان الأولون يفتحون النوافذ بفتح نقب بأى آلة وائى وسيلة .

ثم تطور الزمن فعرف أن ساق الشجرة ربما سقط عليه وضربه . . . ولذلك فكر فى وجود آخر يضعه تحته . . . هذه الإضافات انت لاشك يمرور الزمن . . . فلزمن طويل لم تكن هنا لك أبواب كالتي نعرفها اليوم فالنجارة لم يتفرغ ،

إليها أحد كما أن آلات النجارة لم تكن معروفة والحديد لم يكن بالوفرة اليوم
اصنع المناشير والفارات وخلافه من أدوات النجارة .

لو حاولنا البحث عن شكل العلاقات بين هذه الجماعات التي سكنت النيل
وملات ضفافه كيف كانت في البداية . . لاشك أنها لم تتمركز في نقطة واحدة ثم
انتشرت شمالا وجنوب . . بل كل مجموعة . . سكنت بعيدة عن الأخرى لا تترف
عنها شيئا في بداية الأمر . . ثم كان أمر هذه الجماعات الصغيرة المنعزلة في
البداية لاشك ستختلف بينهما بمض الخلافات . . . وتضع لها قوانين ففيها
السكسلان . . . وفيها الاحق . . . وفيها الماقل . . . وفيها كل ضعف البشرية
هذه الجماعات كان لابد من وجود مدير بينها ليحكم في خلافاتها . . .
ربما في البداية شخصيته وشجاعته وقوته هي التي فرضت نفسها على المجموعة .
وبذلك أصبح ممابا من المجموعة لأنها تحتاج إليه لحمايتها من الأشرار من
أقربائها . . ربما يطور زعيم آخر له نفس القوة فيحدث القتال بين الاثنين فيفرض
القوى سيطرته ومشورته على الآخرين . . ومن خلال هذه التجارب أدرك
الإنسان حاجته لزعيم . . ومن هذه الحاجة كان الزعيم . . وتطور الحال
وأصبحت هذه الزعامة وراثية بعد سيطرة فرد وأسرته على كل مشاعب ومخامر . .
ومحاولتها لحفظ النظام والأمن للمجموعة . . الأمر الذي جعل للمجموعة أن
تترك لها هذا العبء الثقيل وتتولى مصادرة الشر والخارجين عن النظام . . ثم
كان أمر هذه الأسرة المسيطرة بعد عشرات السنين . . بعد أن تمكنت من فرض
السيطرة على المجموعة . . وشعورها أن المجموعة ترهبها . . وإنها تقدم خدمات
المجموعة . . فلا بد من أن تقدم هذه المجموعة مقابل هذه الخدمات . . . ربما
تتولى المجموعة المساعدة في زراعة حقول هذه الأسرة . . وحصدها . . أو دفع
شيء من حصاها لهذه الأسرة التي بدأت تأخذ صفة الأسرة المالككة أو زعيم
القبيلة أو المجموعة . . وظهرت الضريبة على المجموعة في شكل خدمات أو عطاء

في بداية الأمر .. واستمر الحال عند هذه المجموعة الصغيرة حتى قويت الأسرة المتزعمة .. وبدأت تفرض شروطها وآراءها على الجماعات .

وبشكل هذه المجموعة تكونت على النيل أعداد هائلة من المجموعات ... ولكثرة سكانه . وانتشارهم على النيل والبحث على ضفائه عرفوا أن هنالك مجموعات تعيش بالقرب منهم وبدأت الغارات بين هذه المجموعات في شكل سرقات بسيطة من أفراد ضالين مطرودين أو من الجماعات نفسها ... أو زعيمها ... إذا رأى عند الجماعة الأخرى خيرا أكثر ... وبدأت هذه المجموعات في الاحتكاك ببعضها ونهب بعضها .. وبذلك أصبحت شخصية الزعيم أكثر ضرورة لتنظيم الدفاع والهجوم وتعيين الأسر المكلمة أو المنهوبة .

وظهرت مجموعة كبيرة بين هذه المجموعات شعرت إنها بعد هذا الاحتكاك .. وغدما لمعظم هذه الجماعات أن تفرض سيطرتها على المجموعات الأخرى بالقوة . بعد أن أخضعت المجموعات القريبة منها استغلتها لاختصاص المجموعات الأخرى وبذلك طهر مجتمع الدولة الأول على النيل بحكم زعيم أكرم مجموعة ... يساعده في إدارة مملكته زعماء المجموعات الأخرى .. وأصبح هؤلاء الزعماء يرمض الضرائب لحاجته للمال لإدارة شئون رعيتهم وتكوين جيش وصنع سلاح . للتفرغ لهذا العمل الجديد .. وبالتالي .. لم يرى زعماء الجماعات غير رعاياهم ليتحصلوا منهم هذه الضريبة . وأصبح هؤلاء الزعماء في مركز أقوى بالنسبة لجماعتهم .. وذلك لمساندة الملك لهم . وأنهم أصبحوا يمثلون الملك .. وما كان على الجماعة المغلوبة التي تحارب الطبيعة في آفات وحشراتهما وطيورهما من الخضوع لهذا التنظيم الجديد الذي يعيش على ما تبقى لهم من آفات الطبيعة . فقد كانوا يساعدون الزعيم .. فأصبحوا يساعدون الزعيم والملك .. وأحران الزعيم وحراسه .

وبهذا الشكل تكون شكل الدولة الاول . . . وظهرت الملكية في مناطق متعددة من النيل . . . أصبحت كل ملكة ترقب الملكية الأخرى . فقد كانت التجربة الأولى هو تغلب مجموعة كبيرة على مجموعات صغيرة . . . والاستعانة بها في التغلب على المجموعات الأخرى ولكن التجربة الجديدة هي الشعور بالمعرفة بوجود مجموعات متحدة في شكل ملكة . . . وبدأ الاعتداء الأول في محاولة إحدى الممالك في السيطرة على مجموعه من مجموعات الملكية الأخرى . . . ربما تخضع الملكية لتي أخذ منها جزء من مجموعاتها لضعفها . . . فلو سكنت في معنى ذات أن الملكية التي فازت على الأولى ستحاول أن تفرص سيطرتها على المجموعات التالية حتى تأتي على مجموعة الملك نفسه . . . وإذا لم ترضى الملكية المجاورة بالتجربة الأولى فستكون الحرب . وربما يكون هناك صبح أو ربما لا يكون وفي النهاية هو إخضاع ملكة لأخرى . .

وبهذا الشكل تتوسع الملكية . . . ويصبح الملك المهزوم مندوب الملك الغالب أو ربما يعين خلافة أو أحد أفراد ملكته . . . وبالضرورة أصبح لهذا الملك جيشة ونظام إدارة ملكته التي توسعت . . . وبهذا الشكل قامت على النيل ممالك مختلفة . . . هذا بالنسبة للمجموعات التي في أرض السودان . . أما المجموعات التي في أرض مصر . . فيبدو أنها كانت أقوى من مجموعات السودان وظهور الملكية في مرحلة أبعد من مرحلة السودان . . وربما أقوى . . ولذلك زحفت سيطرة مصر على مجموعات السودان . . وفرضت عليها سيطرتها . . وديانتها . . وأصبحت هذه الممالك السودانية تابعة للمملكة المصرية الفرعونية بعد قرون طويلة من النضال والبحث عن بعض .

ونحن لانستطيع أن نتحدث عن حال المجموعات التي حكمها المصريون لأن الوثائق القديمة غير كافية حتى الآن ولكن مايمعنا الآن هو بداية استقلال الملكية السودانية عن الملكية الفرعونية . . وتزعم هذه الملكية القوية

على ملكات السودان . . . وفرض سيطرتها حتى على مصر . . ومحاولتها طرد أعداء مصر من اليمين وقبائل أرض فلسطين والقبائل الآرية من الشمال وذلك منذ القرن الثامن قبل الميلاد .

وقبل البحث عن تطور هذه المجموعات الحصارى والثقافى حتى القرن العشرين نود أن نعود مرة أخرى إلى المجموعات الأخرى التى تسكن بعيدا عن النيل حتى نكمل صورة المجموعات التى كانت تملأ أرض السودان الحالى .

* * *

مجموعات السهل

يذكر التاريخ الحديث لنا أسماء قبائل عديدة تسكن السهل شرق النيل وأخرى غرب النيل وأخرى جنوب النيل .

هذه المجموعات التي تسكن الشرق الآن مثل العبايدة والرشايدة والشكرية وبنى عامر والامرار والبطاحين وكلها أسماء حديثة وعربية وهي أسماء أتت بعد الإسلام .. فقد كانت هذه القبائل المهاجرة التي استوطنت أرض السودان والنصف الشمالى من أفريقيا هي أول من سكن هذه السهول والوديان والأنهار أم كانت هناك مجموعات قبلها . . وهل كانت هذه المجموعات رعوية أيضا .

عرفنا قديما بأن أرض السودان لم تسكنه المجموعات النيلية وحدها . بل هناك مجموعة أخرى على ضفاف البحر الأحمر .. وهي البجة .. ولكن لو حاولنا أن نبحث عن بداية حياة هذه المجموعات هل كانت رعوية . وهل محاولة رعاية الحيوانات تأتي بدون مقدمات وتأليف هذه الحيوانات وكيف الفت . . وأين كان أصل هذه المجموعات .

بدأت لاشك هـ هذه المجموعات بالزراعة على الأنهر الكثيرة الساقطة من الجبال والوديان تحت الهضبة الحبشية وجبال البحر الأحمر .. وبدأت الإنسان يدرك هل أسهل تأليف الماعز أو الاسد أم الخمار فوجد أن الماعز أفضل لأنها تحتاج للعشب في حين يحتاج الاسد للحم . . لحمه أو لحم الماعز . . ولذلك فضل الانسان تأليف الحيوانات التي يمكن أن ترعى .. ويأتى لها بالعشب في مكانها في البداية حتى ألقت عليه .. ونوالدت وكثرت .. وبذلك بدأ الإنسان يبحث عن مرعى لماشيته التي كثرت وأصبحت تعطيه اللحم واللين والشحم

ونعمله . . وننقله . . حتى توسع في الاستفادة منها في المقايضة بها في مقابل حاجياته الأخرى كالملابس والملح وخلافه .

عرفت السهول السودانية الجبل منذ قديم الزمان قبل الإسلام والمسيحية . . وكانت هناك مجموعات تعيش على زراعة الوديان والأنهار ورعى الماشية . هذه المجموعات كانت أكثر شراسمة من سكان النيل ولذلك لما نهضت الحياة المدنية والعشرة مع مجموعات على تنظيف طباع الإنسان . . ووجوده في مكان دائم يجعله يفكر باستمرار لتحسين أحواله وأدواته . . أما ذلك الراعي فلا أنيس له إلا تجمع أسرته في الليل . . وماشيته طول النهار لا هم له إلا البحث عن مكان أخضر . . وصيد الحيوانات المفترسة عنها فقد عرفت هذه السهول كل الحيوانات المفترسة والاليفة كما أن هذا الراعي لا يحتاج لأدوات كثيرة ليستعملها أو لمسكن دائم يفكر في تحسينه . . فالماشية تعطيه وبرها وجلدها، ليصنع منه منزله المتنقل ونقله . . وأناه لبنه ومائه .

قد عرفت الأبل من قديم الزمن وربما الأبل التي استعملها الفراعنة أخذت من هذه المجموعات التي تروى شرق النيل وضفاف البحر الأحمر

ولكن كيف تكونت هذه المجموعات وما هي القوانين التي سارت عليها في رقيها وتطورها . . لاشك أن تجمع هذه المجموعات في مجموعات كبيرة لا يختلف في شكله عن المجموعات النيلية وحوجتها لها . . هذا التجمع حتى أضع بفرديتها . . فكانت المجموعات أصغر صغيرة كبرت . . وأصبح لها زعيم تحتكم إليه . . ولا شك أن لا كبر القوم بين هذه المجموعات كانت له فائدة أكبر ليرف تاريخ الماشية . . وطباع الناس . . وأصبح للشيخ بين هذه المجموعات تقدير خاص لأنه يستطيع أن يكشف تاريخ كل فرد ويمسك كانه . . فلا يستطيع أحد أن يستول على حق آخر مدعيا ملكيته . . لأن هناك رجل عجوز يعرف حق كل فرد . . ولم يكن لهذا الشيخ من الجماعة أي ولا غير الطاعة وسماع الأمر . . وكانت تخرج هذه المجموعات في زمن الصيف باحثة من مرعى . . فكانت تنقبى في الوديان

بمجموعة أخرى تشاركها نفس المرمى .. ربما تنعصب صاحبة الحق الأول في المرمى في طرد الأخرى أو ربما ترى صاحبة العدد الأكبر طرد الضعيفة .. ولذلك كانت حياة هذه المجموعة محموة دائما بجور القتال .. بالعصى والحجارة والسيوف أخيرا والتي تفننوا في صنعها وتشكيلها كالخنجر .. ثم السكين .. والحراب .. وهذه أكثر الأدوات تطورا التي استعملتها الجماعة الرحل فهي لم ترى البندقية إلا بعد الفتح التركي والتي كانت تملكها قبل ذلك هم الزعماء للارهاب فقط أما بقية الجماعات فقد كانت تخاف منها وترهبها ويفزعها منظرها .

بتجاوز القبائل الرعوية . والصدقات التي كان يعقدها شيوخ القبيلة والزواج من مجموعة مع مجموعة أخرى لتوثيق هذه الروابط . جعل الكثير من المجموعات الصغيرة لتكون مجموعات كبيرة .. كان لشيوخ القبيلة أو زعيمها الرأي والحكم النهائي في كل خلاف .

لم يكن لهذه المجموعات عمل يملأ فراغها وينمك فواها كالزارعين . ولذلك فكرت في ألعاب الفروسية والمبارزة والصيد والقتال والسباق .. وتطورت في فن هذه الألعاب الفروسية والكنها لم تحاول غير ذلك إلا بعد زمن طويل ودخول مجموعات جديدة تحمل حصارا جديدة ورأت أشياء جديدة أو سمعت بها .

هذه الألعاب الوحشية زادت من طباع البدو وحشية فالقتال وعشقه هو الرجوع بالانسان لحياته البدائية .. فالانسان في تطوره يتخلص من حياته الوحشية والبدائية الأولى .. والفروسية وقتل الآخرين ما هي الا أشباع للاخلاق البدائية .. والتمتع والتباهى بقتل انسان من أجل الرياضة لا يعد تطورا مهما كانت الصفات الرجولية الذي تطلق عليه .. فالرجولة ليست في خلق مباراة لقتل انسان آخر إنما الرجولة في تقديم الأعمال الكبيرة للآخرين

ومساعدة الغير وتكران الذات والتعالي بالأخلاق السمحة النبيلة .. أما الدعوة لاراقة الدماء فليست صفة من صفات الانسان المتمدن .. وإبقاء هذه الصفات بين العرب الرحل أسباب كثيرة منها عدم حياة الاستقرار لتهدئة وحشية الانسان .. وعدم اختلاطه بأنماط من الناس يختلفون عنه في تفكيره وعاداته ليقبسر منهم . فكل الدين يعيش بينهم وبينهم هم عرب رحل ، كلما أظهروا عظمة أبدى غلظة أكثر منهم وكلما أبسروا ليما ظن ذلك جينا .. فحتى الحلام لا ينفع في البادية . فالحليم جبان .. والذي يكره قتل انسان من أجل نمرة قبلية يعد جباناً . وكل من يكره القتال وألعاب الفروسية ليس برحل .. ولذلك حكموا بالتقاليد على مجتمعهم أن يعيش في جو من القيم البدائية التي تحبذ القتل . وتقف حتى الان ضد رقي الانسان وتطيف ضائعه الوحشية لأن الخروج من هذه الوحشية يعد عيباً وانحداراً بالرجولة لا تطويراً للانسان الحديث في أفكاره ومشاعره وأخلاقه وعاداته وممارساته .

طمت طبيعة الارض عنصراً مساعداً على انتشار الوعي وحيثما البسوا فالسهول الشرقية الغنية بالأعشاب والوديان والأشجار والنباتات المختلفة طيلة أيام السنة ساعدت مجموعات السهول الشرقية في السودان أن يحترفوا مهنة رعي الماشية والابل .. بل أضاف أجدادهم مهنة الزراعة البسيطة بسنن الذرة على ضفاف الأنهار دون مجهود إيجاد الطبيعة تكملت بنمو هذه الحبوب .. حيث لم يفكر هذا المتقل في صنع آلات زراعية تعيق من تنقله وثقل عليه حمولته أثناء زمن الصيف والتجوال والبحث عن مرعى جديد .

تكاثرت هذه المجموعات في عشرات الآلاف من السنين قبل الميلاد على السهول الشرقية .. وحيث كثرة التنقل وعدم الاستقرار لم يتعضا لنظام دولة لها نظامها الثابت وإدارتها المركزية .. وهذا التنقل كان حائلاً دون قيام دولة مركزية هؤلاء الرحل حيث تحتاج الدولة لمساكن دائم .. واستقرار ورعايا

لهم أما كن محدودة أما هؤلاء .. فيصعب التحكم فيهم ومعرفة أما كنهم فتارة هم في لشرق على جبال البحر الأحمر وتارة قرب النيل أو نهر عطبرة أو الشمال داخل أراضي مصر ولذلك نشأ عندهم حكم يسائر هذه الظروف هو حكم القبيلة وزعيمها الذي تخضع له القبيلة حيث يرسل معها يحكم اليه أفرادها في حقوقهم .. ويتزعمهم في حالة الاعتماد على أحد منهم أو الاعتماد على القبيلة أو ما شئت .. وكان يجب أن يكون هذا الرعيم صاحب حكمة وشجاعة وقوة ترهب كل مشاغب وتردع كل خوارح على قانون القبيلة والجماعة .

كما أن طبيعة الأرض الموحشة أو تلالها الصخرية .. وأشجارها الشوكية وحيواناتها الموحشة والمفترسة المتعددة — التي تحيط بحياة هذا البدوي جعلته يعيش في حالة موحشة وطباع أقرب الى طباع الحيوان المفترس .

أما جمود ملتهى الفيلين الأبيض والأزرق فقد كانت تسكن هناك القبائل الزنجية في طبيعة محاطة بالأشجار المتعددة .. والأمطار الغزيرة — والنباتات السكثية التي تغطي السهول وضفاف النيل كما تعيش الحيوانات المفترسة بكثرة أكثر من الشمال مما جعلت المجموعات أن تقضى جلي تمكيداً في صنع أسلحة قتل هذه الحيوانات أو لايجاد مساكن لا تقترب منها هذه الحيوانات .. والاعشاب التي كان يحولها سور من الشوك السكثيف لا شك كانت منزل هذه المجموعات حيث يصعب على الحيوانات المفترسة إيلا أن تقتحم هذه الاشواك السكثيفة .

الحضارة قبل القرن الثالث الميلادى

الحضارة هذا التاريخ المجيد . وهذه الآثار الرائعة وتلك النهضة التى قامت على أرض النيل والفرات والبحر الأبيض المتوسط . هذا الماضى العظيم للانسان قام على أكتاف العبيد والفلاحين والعمال .

استنفذ المجتمع القديم طاقات هذه الطبقات من الفن والعمارة ومن أجل هذه الآثار الرائعة التى قامت على أيادى البوساء والمنبوذين . . كانوا هم مصدر الدخل وهم المواهب التى تعمل . . كان المجتمع القديم يختلف فى استغلاله لطاقات هذه الطبقات عن المجتمع الرأسمالى أو الملكى الحديث الذى يدخر خيرات هذه الطبقات لتنفعه الشخصية للمدات الدنيا . . على أن يعيش هو فى مستوى معيشى من المتع والسكاليات وتعيش الطبقات الأخرى صناعه الانتاج محرومة من معظم الضروريات . . فى حين تكس خيراتهم مهطلة أو تستغل لاستغلال مجموعات أخرى . . أما المجتمع القديم فان لم يختلف فى تركيبه عن مجتمع العبودية والطبقات اليوم فى كثير من الصور والتفاصيل إلا أنه اكتشف أن . . هذا التراث الذى تقف حياله اليوم مبهورين مقدرين نبوع الاقدمين ومواهبهم . . اكتشف المجتمع القديم الفن عن طريق العبادات . . فقد ولع بتقديس الآلهة التى اخترعها .

ومبالغة فى تقديسها سخر المجتمع القديم كل طاقات المجتمع لتخليد هذه الآلهة . . وكان هذا التخليد وسيلته الفن . . مجتمع عاش على السيادة . . سيادة الملكية والمعابد وكنهه المعابد والطبقة الممتازة لخدمة الملكية والمعابد . . أم بقية خلق الله فقد كان نقاية ، وخدام لاسعاد هذه الطبقات .

وتبقى التماثيل لتعيش حضارة الفراعنة .. وتذهب الملايين صحيحة لتلك الحضارة التي قامت على أسوأ صورة من صور الاستغلال .. والاضطهاد .. والتسخير ..

وكما جلب الفلاح والعامل المصرى جلب الفلاح والعامل السودانى وكما سخر المواطن المصرى كعبد سخر المواطن السودانى كعبد لذلك النظام .. القائم على تحالف البلاط الفرعونى وكهنة المعابد ..

وقد أخذ الملاح السودانى من أرضه مثل الفلاح المصرى قسماً إلى مواطن الممنوع عاملاً أو عبداً بلا أجر أو رعاية إنسانية تقابل هذا المجهود الذى يبذله لأرضاء طموح البلاط الفرعونى وأفكار رجال المعابد والحاشية ..

وقد أخذ هؤلاء المساكين لا عن طريق التطوع أو التجنيد ولكن عن طريق جنود الملك ، سيقوا كعبيد لا عن طريق الشراء أو البيع ولكن عن طريق وصع اليد .. أى عدد تغير عليه شئ من الجنود المستعبدين تستولى عليه لينضم إلى عبوديتهم وربما خرج منهم عبد مبرز فى فنون القتال .. وعاد رسولا يقيّد أبناء طبقة عبيداً حسب الأوامر الصادرة إليه من البلاط أو الكهنة تحت ذلك النظام وتلك الحضارة التى قامت على النيل والى أولعت بالمعابد والمقابر والقصور والى يعجر دخالها على الانفاق على تلك المشاريع الفنية الضخمة ..

كان لابد من السخرة والتسخير .. كان لابد من إيجاد عدد هائل من العمال المهرة وغير المهرة من أرض النيل ليعملوا على تشييد مئات المعابد والقصور والأهرامات التى قامت على النيل .. وبدلك وربما لأول مرة فى التاريخ تشط حركمة العمل بتلك الصورة .. والى عمله عمل بلا أجر عمل السخرة ..

الأمادات والممالك الصغيرة حتى جاء زمن أصبح الجنوب أكثر غناء أمن الشمال الذى يستهلك طاقات البشر في البنى والتشييد بروح السخرة وفقد الأيدي العاملة في الزراعة من أجل المعابد والقصور وصار اقتصاده يعتمد كلية على خيرات الجنوب الذى صدرت فيه نفقات البناء والتشييد بأقل قدر من النفقات وقامت فيه عشرات المعابد والقصور ولكن بتكاليف أقل من في الشمال وهنا الفرع وهناك الأصل .

وحين جاء القرن الثامن قبل الميلاد كانت أرض النوبة والبركل وجنوبها قد دبت فيهما الحياة ونشطت فيهما الحركة والعمل واستغلت الأيدي العاملة البشرية أقصى استغلال لإنتاج أكبر قدر من العمل البشرى . . . وكان لابد لجنوب المملكة الذى أصبح اقتصاد الدولة الأم يعيش عليه عيشة كاملة ويطالبه كل يوم بالمزيد . . بالمزيد . . حتى جاء اليوم الطيبى فى أن أن يعجز إقتصاد الجنوب ويعلم التمرد . .

وإذا بالجنوب فعلا يعلن التمرد وتظهر أول دولة وصننا من المعلومات مايكشف لنا عن شكلها وقوتها وتركزت لها من الأثر مايكشف لنا عن نشأتها وقوسها ونكوبنها وهى دولة نبتة التى ظهرت فى القرن الثامن قبل الميلاد .

بظهور ملك نبتة (أبر كل الآن) وقد أمثلت خزانته وقوى جيشه وأصبح فى وضع يسمح له أن ينفصل من الإمبراطورية الأم التى سادت حالتها الاقتصادية وزب الضعف فيها وأصبحت لا تجد من الموارد مايعيد لها شبابها وقوتها الأولى وأصبحت قوتها فى هذه الاجفحة التى رفعت عصا العصيان بعد أن أصبح استقلالها أمراً مستحيلاً .

هكذا القانون واضح فى كل الحضارات والنهضات التى قامت بها الدول

والجموعات خلال تاريخها الطويل.. فلويحشا عن سبب نهضة الأغريق أو الرومان في يد حفنة من التجارة والبيوت وكانت التجارة والبحر هي عصب اقتصاد و انتعاش حياة تلك الحضارة وكذلك الحال عند الاشوريين فقد وجدوا خيرات نهري دجلة والفرات فأستغلوا خيرات هذه الاراضى الخصبة وماجاورها حتى امتلأت خزائن تلك الحضارة ..

ثم جاء وقت إستنفدت فيه تلك الحضارات كل طاقات هذا العمل التجاري وهذا الاستغلال الطبيعي القائم عن سيادة طبقة أو مجموعة من السادة على العبيد والفلاحين والعمال .. وحين لم توجد تلك الحضارات روافد جديدة لتغذية اقتصادها وقف نمو حضارتها التي هي في حقيقتها مشاريع غير إنتاجية لا تأتي بدخل أو عائد .. والصرف عليها كان يجب أن يقوم في تلك العصور على ذلك النوع من الاستغلال والسخرة .. وهذا ما حدث في أرض النيل . وسفرى ذلك في تاريخ الاسرات بشيء من الإيجاز معتمدين على دراسات الحضارة المصرية ومنقولات المتحف المصرى للآثار وبمجموعة الكتب التى لخصت هذه الفترة من تاريخ السودان القديم بتاريخ الاسرات .

وهى المجموعة (١) (أ) من عام ٣٤٠٠ ق . م إلى عام ٢٧٢٠ ق . م

المجموعة (ب) من عام ٢٧٢٠ ق . م إلى ٢٣٢٠ ق . م

المجموعة (ج) من عام ٢٣٢٠ ق . م إلى ١٦٠٠ ق . م

(٢) حضارة كرمه

(٣) دولة كوش القرن الثامن ق . م ٨٠٠ — إلى ٣٥٠

ميلادية .

ثم بعد ذلك انتهت الممالك الفرعونية بعد عام ٣٥٠ ميلادية ليُدخل
السودان في العهد المسيحي .

ونود مرة أخرى التوقف على بعض التفاصيل البسيط - ٤ التي وصلت إلينا عن
أمتداد الحضارة من الشمال للجنوب وازدهار هذه الحضارة خلال تلك الحقبات
الخمس التي بينها ثم نقف على آثار تلك الحضارة من الفن والعمارة ونرى ..
اتجاهات هذا الفن وفي أي الأغراض وجه واستقل ..

الجمجمة (أ) من عام ٣٤٠٠ ق م إلى ٢٧٢٠ ق م

هذه أول مجموعة أثبتها المؤرخون في تاريخ السودان القديم وعلاقتها
بالحضارة الفرعونية .

جعل المؤرخون بداية الحياة من جديد بعد الطوفان لوادي النيل بعام
٦٠٠٠ قبل الميلاد إلى عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد حيث بدأ العصر الفرعوني بعد
شبابه وتكوينه وتطهر الحضارة الفرعونية على أرض النيل وما كان هذا الجزء من
تاريخ الحضارة المصرية الأولى فيحسن أن نربط بين الحضارتين أو نتحدث
عن حضارة وادي النيل ككل حتى نتضح لنا الصورة لتلك النهضة وذلك التوسع
في تلك العصور البعيدة التي نتصورها والوقوف عند بعض الحقائق العلمية لها
يمكن أن نجعل من تاريخ تلك الحقبة صورة اسطورية حلوة للذين يعشقون
الافكار غير المألوفة .. وهذا هو الجانب الممتع في الحضارات القديمة
وذلك الخليط من التقاليد والمعتقدات التي تبدوا امامدهشة وغريبة :

وتدخل الدولة السودانية الأولى أو أرض " ناهسو " كما كانت تسمى أرض
النيل جنوب أسوان .. تدخل هذه الدولة من ٣٤٠٠ ق م إلى ٢٧٢٠ ق م

يدخل هذا الجزء من تاريخ السودان مرحلتين من مراحل الحضارة المصرية التي
اتفق على تقسيمها إلى مجموعات الأسرات : ومنها الدولة القديمة أو المنفية
(٥٠٠٤ — ٣٠٦٤ ق . م) أو دولة منف من الأسرة الأولى إلى الأسرة
العاشرة ثم تدخل في الدولة الوسطى أو الطيبة الأولى بتبديء من عام (٤٠٦٤ —
١٧٠٢ ق . م) أو دولة طيبة وتبديء من الأسرة الحادية عشر وتنتهى في
الأسرة السابعة عشر :

زعم المصريون القدماء أن أصلهم جاء من تسعة آلهة خفيت « نو » المحيط الأول
مكان الآلهة رع « آلهة الشمس في باطنه ثم ظهر هذا الكون فبسط ثنور على السهول
والوديان وطرده الظلمات وقسم هذا الكون إلى ماء وبابسة . ورأت الآلهة رع
هذه الأرض عند بدايتها كما خلفها « نو » .

رأت الحياة بدون حياة ولا نباتات وزرى الدموع السخينة التي نزلت
من عينية الزرقاء وخفيت الدموع الحيوانات والنباتات .. ورأى الأرض
منبسطة .. فظهر الآلهة « شو » ورفعهم على ذراعية الخيمتين .. وجعل لهم الجبال
أوتادا وأعمدة لتساعد على تماسكها .. وبانت الأرض .. حسب ما وصف إليه
نفسكهم هم في الوجود بأنها عبارة عن صندوق مربع قائم على أعمدة من الجبال
تغطي المياه من كل جانب قاعدته هذه اليابسة ..

وعندما توصلوا لحق الحياة على هذا المنوال خلقوا حسب نفوسهم وأعمادهم
آلهة الخير لتقابل الأيام والفصول والحوادث الطيبة . وكان هذا شيئا ضروريا
بأن يخلقوا الرمز لسلوك تصوراتهم التي يجب أن يحدوا لها مدولا ومفهوما .
وجعلوا الآلهة « رع » آلهة الشمس حاكما على الأرض وجعلوا إقامته في عين
الشمس وفكروا أنه لا يمكن أن يعيش وحيدا فجعلوا له رعيتة . يخرج عند شروق
الشمس الصافية في زورقة تصحبه حاشية من الآلهة .. طائفا بالأرض ناشرا حكمته

ونصائحهم على رعاياه في كل الارض .. مسديا لهم النصيحة والخبرة .. حتى
ركب الشيطان رأس خادمته « ايزيس » لتفكر في أخذ الطاسم السحري الذى
ورثه عن والديه الذى يضمن لحامله الملك الذى ورثه عن والديه ويحفظه من
الضرر والاذى .. ونجحت خادمته في سرقة الطاسم السحري حتى ضعفت سيطرة
رع الارضية وتجمع البشر لخلعه .. وعندما شعر « رع » بنكران البشر لخيبره
وأبوته جمع الالهة غاضبا من البشر وحكموا على البشر بالقتل ونولى الالهة هانور
تنفيذ وصية الالهة.

وبدأ في إرسال الاربعة لفتك البشر .. ومازال هانور يفتك بهم حتى اشفق
رع صاحب القلب الطيب على نكبة البشر من هانور .. فاتفقهم .. ثم صعد
على طهر بكرة إلى السماء .. ثم تستمر سلسلة الالهة التي تصورها الانسان القديم لتقف
مكان الحقيقة ثم جاء « أوزيريس » من سلاله رع فاحبه الشعب واحبه رع وخلفه
ملكاً على مصر ثم تزوج أوزيريس باخته « ايزيس » وجعلته شريكته في الملك
وعلم المصريين الفلاحة وأخترع لهم الآلات الزراعية وعلمهم ايرس الطحين بالرحى
ولغزل بنسج الكتان ومبادئ السحر والطب وسنت لهم قوانين الزواج الشرعى .

ووضع لهم أوزيريس السكتب والطقوس والقوانين الدينية وبنى طيبة وقيل
ولد فيها . .

ثم دخل الملك إلى أوزيريس ورحل عن بلاده مع بعض الالهة على شعوب
الأرض الأخرى يعلمهم ما علم المصريين . ثم عاد إلى مصر فدفن له أخاه بتفنون
آلهة الشر وقتله غدرا .

وكان لاوزيريس طلع حين قتل بدعى حوريس وعلم الطفل بعد أن كبر قصة
مقتل والده أوزيريس على يد عمه « بتفنون » . . وأضطر للتنازل عن أرض

الدلتا فانقسمت مصر بعد ذلك إلى مملكتين الأولى الوادى وهى واقعة بين منف والشلال الأول وكانت من نصيب "عم" بتقون ، والاخرى الدلتا وكانت من نصيب حوريس ثم جاء الى أرض مصر إسرثان عظيمته أن حكمته مصر وأمتد ملكهم الى القرى شرقا وإلى الحبشة جنوبا ووربما كل المقصود بالحبشة أرض السودان رغم قدم حضارة الحبشة .

واسمهم ملوك هاتين الأسرتين "نوت" الذى علم المصريين الكتابة والبحث فى أحوال الفلك وأوجه القمر وحركة الشمس وقسم السنة إلى أيام وشهور وفصول .. فصل التخضير (نمو الزرع) وفصل الحصاد وفصل الفيضان وسبى شهور السنة بأسماء الآلهة جعل الشهر الأول نوت والثانى بابه والثالث هاتور .

وظلت مصر تحت حكم الآلهة الذين كانت السلطة فى أيديهم ثم بعدهم الجند ثم بقية السكان من فلاحين وعمال وعبيد ..

وزاد ظلم الكهنة واستبدادهم حتى ظهر "أمنموت" وحرص الجند على الكهنة حتى اعترفوا به مملكة .. وبذلك تغير نظام الملك على وادى النيل وأصبح الكهنة يساعدون الملك بعد أن كانوا هم يصرقون الملك وعمقوا فى تلك الفترة التى حكموها فكرة الآلهة وعقائهم وابتدعوا ما شاء لهم خيالهم من الآلهة حتى جعلوا لكل شيء إله وظل هذا التأثير الأول والايام المطلق بالآلهة هوى صنع واختراع دولة الكهنة الأولى ووض هذا الاعتقاد قرونا طويلة حتى جاءت المسيحية ثم الاسلام . وقد امتد هذا الايمان بالآلهة على طول النيس حيث امتدت دولة الآلهة ثم المملكة المصرية التى توسعت لتعني حاجات العورات التى قامت فى وادى النيل لتخليد الآلهة والموتى .. وبما ساعد الى خلود الايمان بالآلهة أن الملوك بعد تنازل الآلهة عن الملك جعلوا نملك نفسين أحدهما سيده الدلتا والاخرى سيده الصعيد .. وان الملوك يتنازلون من الشمس .

هذا المفهوم الدينى الذى عمق بين عامة الشعب من رجال حكا. وكهنة
تفرعوا للتفكير الدينى حول الشعب فى حالة سلبية لآى ظلم يقع عليه.. فلا يصح
أن يفضى العبيد من الكهنة والملوك آلهة كما علوا واعتقدوا وبذلك سخروا
شعب وادى النيل لخدمة الاله وجعلوا كل البشر عبدا لهؤلاء
الملوك والالهة.

هذا هو النظام الملكى الذى شب على أرض واوى النيل.. حد من أى
تكبير للتمرد عند الناس وجعل من ملوكه آلهة وخلق أساطير الاله لهم. وهى
أخطر فكرة تشل حركة الناس ضد الظلم ويبدو أن كهنة القرون الوسطى فى
أوروبا قد استلهموا هذه الفكرة ووقعوا حائلا بين تمرد الشعوب الاوربية على
ظلم الاقطاع الاوربى وجعلوا هذا الخضم من مشيئة الرب.. وجعلوا الملوك
أبناء الرب المختارين ونهى تمرد هؤلاء الملوك انما هو تمرد ضد الرب حتى
وصى هذا الظلم لرجال خرجوا من الكنيسة وحطموا هذا الاعتقاد وأنقذوا
البشرية من سباتها المضلل كهنة القرون الوسطى مثل مارتن لوتر.

ثم ظهرت عبادة الحيوانات على يد الملك كاكرو واشتهر العجل دأيس ،
فى منف ثم بقية أراضي النيل وزاد حب المصريين بملوكهم بعد عهد الملك ميتوتريس
الذى من القوانين وأباح للنساء حق تولى الحكم.. وجعل الملك نائب الالهة
وابن الشمس.

تطور الفنون ونشأتها في السودان

نشأة الفن الأول

والفنون الأولى هي التي نشأت في السودان ، وهي : الرسم والنحت والموسيقى والغناء . فلاشك أنه قد توصل إلى واحدة تلو الأخرى .

لا نستطيع أن نكتشف هذا الفن الأول إلا إذا وضعنا في إعتبارنا نظرية وهي أن كل الفنون تخضع للإمكانات الطبيعية .

الفن هو الإنسان ذاته ، الإمكانات الطبيعية التي حواه بما فيها من نباتات وإمكانات اجتماعية وحضارية الخ .

فلو حاولنا أن نطبق هذه النظرية على الفنون البدائية الأولى لنكتشف أي

الفنون استطاع أن يكتشفها الإنسان دون غيرها فسوف تقدم الرسم والنحت على بقية الفنون الأخرى لأنها أخذت في طورها الأول تقليد الطبيعة من الصورة التي أنطبعت في الذهن أو محاكاة الطبيعة .

أما الموسيقى فقد كانت تحتاج إلى آلات وإحساس أدهى وكذلك الرقص والغناء يحتاج لامكانيات حسية رفيعة في الإنسان لم تمكنه قد تكونت بعد في حياة الإنسان الأول الذي عاش وحيداً بين الادغال والحيوانات ، يفترسها ويفترسه لا فرق بين ، حياته وحياتها غير بعض التصرفات العقلية التي كان يأتي بها بأوى أو يأتى لى كوخ من البرد والحر والمطر أو يختبئ من الحيوانات أو في كيفية صيد حيوان قوى .

هذا الإنسان الأول ترك لنا آثاره على السكوف والهيخور تلك الآثار أعطتنا فكرة عن مدبرة الإنسان الأول على محاكاة الطبيعة إلا أن معظم المؤرخين لم يحاولوا أن يبحثوا عن الفنون الأولى التي نشأت كالرسم أو النحت بل وقف معظم المؤرخين مع النحت وذلك للآثار التي وجدت أما الفنون الأخرى التي لم تختلف تراثاماديا فلم يحاولوا أن يبحثوا عنها كالموسيقى والرقص وإنما اكتفوا بتطور هذا الفنون بعد تطور النحت وهي مرحلة بعيدة في حياة الإنسان الحضارية .

كانت ظروف الإنسان الأول تهيئ للرسم قبل النحت فالنحت عملية أصعب من الرسم وذلك المواد التي تستعمل في كل من الحالتين. فقد تعلم الإنسان

يشعر بدا يقفز فرحاً ويصدر أصواتاً ليست جميلة على كل حال ولكن لها إيقاع يسير الحال والقفز ويمر عن حالته النفسانية وفرحته وهي عبارة عن همهمة وفقرات عالية ثم جاءت الموسيقى في حياة الإنسان الأول حين وجد نفسه مدثراً وحيداً يلعب بأصابعه فتعطيه فرقة الأصابع إيقاعاً منتظماً متنوعاً وصار يكرر هذا الإيقاع وينسجم إليه بمفرده ثم طور هذا الإيقاع بـ 'ضرب على الأيدي مع المجموعات للتعبير عن الفرح' صاحب الرقص الجماعي حين اصطاد حيواناً . أو العائلة حين تجد وليدة أو حيواناً ، أو تعبيراً عن اللقاء والعودة إلى المنزل أو المكان الذي اختارته للقاء فيه.

أفند حاولنا أن نعطي صورة عن بداية الفنون مع بدايه الانسان الاول . ولا بد الآن عدينا أن تتابع تطور هذه الفنون في السودان عبر التاريخ بعد أن انتظم الإنسان في مجموعات وتطورت حياته البدائية لحياة اجتماعية لها قوانين ونظم وذلك خلال مسيرة الإنسان على النيل حتى وصل إلى الحضارة الفرعونية ثم المسيحية والإسلامية .

نود أن نصيغ نظرية أخرى للفن وهي أن الفن تعبير عن إمكانيات الطبيعة والمجتمع .

إستعمل الانسان إمكانيات الطبيعة التي حوله خُلق منها الفن الذي يمكن أن يأتي من تلك الامكانيات ...

فلو نظرنا في ظروف الحضارات التي قامت حول البحر الأبيض المتوسط وهي الحضارة الفرعونية والاشورية والاعريقية والرومانية لوجدنا أن أعظم ما خلفته تلك الحضارات لا تعتمد عن إمكانيات الطبيعة ، فقد وجد الانسان الأول على النيل الامكانيات المساعدة لتشييد العمارة والنحت من حجارة الجرانيت

الذى يساعد على النفش العائر وكذلك يجد الجير الأبيض وأنواع عديدة من الحجارة في كل منطقة .

فقد وجد الانسان على النيل مواد حجرية مختلفة استعملها كلها بما يناسب إمكانيات تلك المواد للاعمال الفنية مثال ذلك حجر الجرايت الأحمر الذى الحبيبات الخشنة 'صنع التماثيل الكبيرة التى لا تحتاج 'صقل وشكل مدس ناعم واستغل الجرايت الأسودى الحبيبات الصغيرة للتماثيل الصغيرة وذلك ليجعلها ملساء رقيقة على اليد وإمكانية صقلها فى أشكال صغيرة مختلفة . . . واستعمل حجارة الجير لرعايتها وإمكانية صبغها بالألوان واحتفاظها بتلك الألوان

توفرت مثل هذه الإمكانيات للانسان على النيل فى حين لم توجد مثل هذه الإمكانيات فى منطقة الحضارة الاشورية التى كانت تقم مبانيها من الطين وقد ساعدتها ظروفها الاقتصادية وإمكانياتها المادية على استيراد هذه الأحجار لتماثيل من خارج منطقتها ولذلك ساعدت سلسلة جبال لالاب وعناها بالأحجار المختلفة على قيام التماثيل وعماره الأعمدة عند الاغريق والرومان .

أما فى السودان فقد هيات الظروف المنطقة الشمالية فى السودان قيام مثل تلك الفنون من نحت وعمارة وذلك لغناء تلك المنطقة بسلسلة جبال تحيط بحجرى النيل مما يساعد على بقاء تلك الآثار القديمة عبر التاريخ واحتفاظ تلك الآثار الحجرية بتاريخها عبر التاريخ رغم الخسراب البشرى والطبيعى الذى تعرضت له .

أما إذا سردا جنوب المنطقة الشمالية فنجد قلة الجبال التى تصح لبناء عمارة كالتي قامت فى الشمال وكذلك التماثيل الأمر الذى جعل أثر هذه المنطقة خلال العصر الفرعونى غير معروف . . . ولكن هذه المنطقة استغنت إمكانياتها الطبيعية

وهي (الطين) ، لبناء المعابد والتماثيل من الصلصال وصنع الفخار الأمر الذي جعل آثار هذه المنطقة قابلة للتلف بواسطة الإنسان والطبيعة مما جعلها لا تعثر على آثار كافية لتلك الحاضرة التي نشأت في مرمى القديمة قرب الدامر وذلك لاعتماد عمارة وفن تلك المنطقة على بناء فلاحها ومعابدها من الطين وتماثيلها وأوانيها من الصلصال .

وقد امتازت أرض السودان وجمالها بالمعادن كالذهب والنحاس والحديد الأمر الذي ساعد الحضارة الفرعونية لاستغلال هذه المعادن في التماثيل والأواني والزينة إلى أبعد حد . . .

وقد برع الفنانون في تشكيل تلك المعادن وإخراج تماثيل غاية في الجمال والروعة وقد احتفظت لنا منطقة البركل (نباتاً) ببعض هذه التماثيل الذهبية كما تضم المتاحف الأوربية ومتحف القاهرة الكثير من آثار تلك الحضارة التي قامت في السودان من المعادن والذهب والأحجار .

وهناك إمكانية أخرى وهي النباتات الطبيعية من أشجار ونبات نبت على صفاى النيل استغلها الإنسان في كثير من حاجياته اليومية وقد ظهرت المصنوعات الخشبية ضمن الآثار المعروضة في متحف القاهرة وإذا ابتعدنا عن النيل نجد إمكانيات أخرى استغلت نفس الاستغلال لحاجة الإنسان للجمال وهي المصنوعات المصنوعة من جلود الحيوانات المختلفة والطيور والأشجار وقد اختص جنوب السودان نوعين من المصنوعات الفنية وهي المصنوعات الخشبية . وذلك من الأعشاب القابلة على التشكيل كما استغل الأبنوس والعاج وظهرت في غرب السودان المصنوعات الجلدية للحيوانات والزواحف والطيور والنباتات وقد تمت تلك المنطقة المصنوعات الحجرية والصلصال وذلك طبيعة الأرض الرماية ووفرة الأحجار الصالحة لهذا الفن إن كان للحجارة أو النحت .

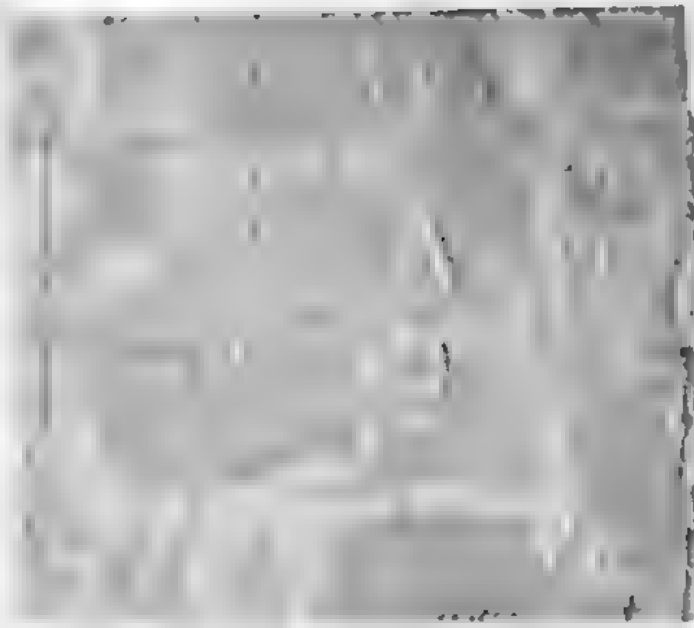
تطور هذه الفنون :

هذه فكرة عامة عن نشأة الفنون عند الإنسان وتطور هذه الفنون في السودان باختلاف الأماكن والامكانيات الطبيعية لأن تلون العنسون وتوعمها جاء نتيجة تلون واختلاف الامكانيات الفنية .

فالإنسان عنصر واحد متساوى في كل الامكانيات البشرية الخلاقه ، وما يظهر هذا التنوع هو الطبيعة أو المساعدة الفنية المصنوع منها الفن ومظاهر الطبيعة نفسها توحى بالإنسان ومحاكاته . لأنه لا يعقل أن يرسم سكان غرب السودان أو النيل الدلتا الطيور أو الحيوانات البحرية والقطبية كما لا يجوز أن يصنع الإنسان في الجنوب مصنوعات الفنية من المرمر والأحجار الصالحة للفن وهي غير موجودة بجوزته ولا يدرك الامكانيات التي أعطتها له الطبيعة كالعاج ولأشجار وجذورها والحيوانات ومخلفاتها والطيور ولا يعقل أن لا يصنع الفيل والتمساح والطيور المتواجدة بجانبه بكثرة ويمكر في صنع الجمال الصحراوية والحيل والحيوانات التي لا تقطن المناطق الاستوائية .

من الامكانيات التي حول الإنسان ومن مظاهر الطبيعية خلق الإنسان فنونه وبدأ بطورها بمرور الزمن والمصنوع وإن كنا لم نعلم على آثار قديمة شكل النيل قبل الحضارة الفرعونية فلا يعني ذلك أن تلك الفترة التي سبقت الحضارة الفرعونية لم تخلق فناً ولكن الأمر يرجع إلى أن تلك المصنوعات لم تقاوم مادتها الطبيعية كل هذه القرون بجانب المناطق الأخرى التي لم تتوفر لها مثل هذه المواد الحجرية القابلة على البقاء والتي كانت مصنوعات من الطين والصلصال ومخلفات الحيوانات من عظام وجلود ومن أخشاب الأشجار وثمارها .

ظهر الفن في شمال السودان ذلك الذي خفيته لنا آثار الأبرمة الثانية عشر



أحمد بنوك مروي وبناته حيث أممت حصاره المرمية معه ، مروي
وحسن السود من اقصاء مروي ، مروي وبناته في مروي
مروي من جمال وروعة .



صورة من الغابة في منطقة الدمام



عابات النيل الازرق طيبه سهلة تختص عن عابات الجنوب . . وفرت المرحى
الماشية واتاحت للانسان ان يرتادها ويستفيد منها



الطبيعة عن النيل الازرق فيه بسطة في تركيبها اتاحت للانسان الذي عمرها
امكانيات لا تعد

الطبيية (٢٧٥٩ — ٢٩٦٣) ق . م وكذلك ظهرت آثار هذا الفن الفرعوني في منطقة النوبة وأسوان قبل هذه الأسرة في عهد الأسرة السادسة الأسوانية (٢٦٠٣ — ٢٢٩٩) ق . م .

لم يظهر الفن في السودان بظهور الحضارة الفرعونية في القرن الأربعين قبل الميلاد إنما طهر الفن تبيل ذلك بآلاف السنين واستخدمت نفس المادة التي استعمل صنع الفن منها بعد ذلك في عصر الفراعنة ولكن ما ظهر في هذه المنطقة هو التأثير الفرعوني وتوظيف هذا الفن لخدمة العبادات واستعانة الإنسان ببعض الأدوات الفنية التي تستعمل للنقش والنحت على الحجر ، أما نوع الفنون قبل التأثير الفرعوني والأعراض التي كان يستعمل من أجسامها فهي لاشك ومعظمها محاكاة للطبيعة وربما أعراض دينية وثنية أيضاً لم تمر على آثار لها ولكن بما لاشك فيه أن المجتمع على النيل داخل منطقة النوبة وجنوبها قد انتظم وعرف النظم الاجتماعية الأولى وترقى في هذا السلك الاجتماعي الأمر الذي أتاح له ان يجد الوقت لصنع الأشياء الجميلة وتقنين الطبيعة والكشف على مقدراته الخلاقة كما اكتشفت من قبل مقدراته على خلق مجتمع مستقر مستقر منتظم وعلى كسب القوت والسكن وحاجياته الطبيعية للحياة .

إن ما نعطينا له الآثار عن أثر الحضارة الفرعونية يجب أن لا يوقف تصورنا عن وجود آثار قديمة اندثرت بفعل الطبيعة أو بفعل الإنسان أو بفعل الحضارات المتعاقبة . وعلينا أن نضع في اعتبارنا إن الاستقرار وتنظيم الحياة المديشية وضمنا سبل العيش من العوامل المساعدة للاستقرار الذي من داخله تأتي الأشياء الخلاقة وتفتح في ظلها المواهب الانسانية الرقيقة وبفود لتهديب السلوك والأخلاق التي ينعكس أثرها في الفن .

إذن هنالك فن نشأ على الفيل قبل قيام الحضارة الفرعونية يختلف باختلاف

إمكانات النيل الطبيعية وذلك بسبب ما أعطاه النيل المجموعات التي عمرته من خيرات وعيش مضمون من زراعة وحيوانات وماء ... الخ ...

كانت الحضارة الفرعونية قفزة في حياة المجموعات التي سكنت النيل وذلك بسبب بسيط وهو تسخير كل إمكانات الناس في أبهى فئة قيمة من الملوك والكهنة الأمر الذي أمكن استغلال كل تلك الإمكانيات البشرية لخلق الحضارة التي قامت على القسوة والسخرية على حياة الأفراد العاديين .

عرف الأفراعنة فن النحت والنقش وأبدعوا فيه وانتقل هذا الفن إلى السودان بعد أن وصل إلى أعلى مستوياته في عصر الأسرة الثانية عشر الطبيعية قبل ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد والتي وجدت الحياة في مصر من جديد وعادت طيبة من جديد عاصمة الدولة المصرية التي مهدت نفوذها إلى السودان حيث اكتشف الذهب في السودان الأمر الذي حتم ضم « إثيوبيا » أي « بلاد النوبة » إلى المملكة المصرية الفرعونية وانتشار الفن الفرعوني . وقد كان الذهب من العوامل المساعدة لنقل الحضارة الفرعونية للجنوب والاحتفاظ بالأراضي التي تصل إليها وذلك من أجل المزيد من الذهب للمعابد وتماثيل الآلهة والملوك والزينة والأدوات الخشبية . .

وساعد وجود الذهب بأراضي السودان لاكتقال المال المهرة من مصر والفنيين لتقنية الذهب وصبه في سبائك ونقله إلى مصر وانتشر في السودان صناعة التماثيل الصغيرة الآلهة والحيوانات المقدسة كما أن استخراج العديد من المعادن نشر صناعة الأواني وآلات النقش كان لأرض المعدن الغنية بالذهب أثر كبير لاهتمام المصريين بالأراضي الجنوبية .

الرقص :

يصعب تحديد نوع الرقص القديم الذي عاش على أرض السودان ولكن بعض

ال لوحات الاثرية وما وجد من آثار في مصر يستطيع بمساحة أن يعطينا صورة عن نوع الرقصات التي كانت سائدة على النيل إذا اعتبرنا أن ظروف المعيشة على النيل تكاد تكون متشابهة رغم اختلاف الظروف الاجتماعية تحت النظام الفرعوني والملكية في أرض النوبة والنظم الأخرى المنتشرة جنوبا التي لا شك لها تأثير أيضا على الرقص ، وقد خلفت لنا الحضارة الفرعونية العديد من الرسومات بما مهد لتقديم دراسات طيبة عن حال الرقص عند المصريين ونحن سنحاول أن تقترب من تلك الدراسات واضعين في اعتبارنا الاختلاف الذي يسيطر نتيجة الظروف المعيشية والمناخية والاجتماعية .

وقد أظهرت اللوحات التي وجدت بعض الرقصات لاهالي الجنوب في النوبة والزوج بالآلهم الموسيقية وحركاتهم . . .

وفدضم كتاب الرقص المصري القديم لايرينا لسكسوف دراسة جيدة للرقص المصري كما تضمنت السبعة والسبعين لوحة التي جمعها الكاتب أنواع الرقص وأوضح اشتراك بعض أهل جنوب مصر في بعض الرقصات وبعض آلالهم الموسيقية انتشار معظم تلك الرقصات في أرض السودان بعد أن انتقل إليه بعض الحكام المصريين في عهد الاسرة الثانية عشر . وإذا أردنا أن ندرس الحركات التي تسيطر على الرقص على النيل في مصر والسودان والتي ما يزال جزء من تلك الرقصات والحركات باقيا حتى الآن لبقاء نفس الظروف المعيشة بالنسبة لعامة الناس وهي حركات تشبه حركة الرجل الذي يحفر والذي ينظف الذره والقمح بالريح ثم حركات الرجال على المراكب ثم حركة غرس الزرع والبذرة . .

بعض الرقصات هادئة وبعضها مثيرة كرقصات النساء وقد كان يحمل الرقصات

يشتمل على الرقصات الاستعراضية مثل رقصات القوة ، ثم رقصات الافراح ثم رقصات الطبقات الخاصة والموائد والقصور ورفصات الزرع والحصاد والرقصات البهلوانية وكثير من هذه الرقصات كانت تفرصه الطروب الاجتماعية لتسمية الاغنياء والملوك والطبقة الخاصة التي كانت تحتفظ بالعميد والرافقين من الجنسين . . . ثم كانت الرقصات الدينية داخل المعابد وخارج المعابد .

وقد ظهرت في بعض الصور الرقصات الزنجية ومعها الطبلة الافريقية فقد كانت إمكانيات العصر الفرعوني وبلاطه تستطيع أن نستورد كل ما تريده من أدوات الهمو والمرح وبذلك أعطت للفن المصرى إمكانيات لأحد لها باستحلاب كافة الفنون والرغبات التي يرغبها أهل البلاد إلى مصر لتعيش فيه وبذلك غدت الفن المصرى بفنون جديدة عليه استفاد منها شعب وادى التيل . .

أما في المناطق الأخرى البعيدة عن النيل فقد كان فيها لاشك يختلف عن فن سكان النيل نسبة لاختلاف الظروف المعيشية والبيئية إذ عادة ماتأتى رقصات الشعوب من حركات العمل أو مشابهة لها في كثير من الأحيان .

وإذا أردنا أن نجد منطقة غنية بالسكان فسوف نجد منطقة البحر الأحمر حيث سكنت قبائل مختلفة وحيث لم نجد آثارا تنبئ عن حضارة هذه المنطقة وتكشف لنا إمكانياتها السابقة إلا إننا نجد في بعض رقصاتهم اليوم مايسير ظروف معيشتهم في التنقل والجري وصيد الحيوانات البرية كالآرانب والطيور وحركات رقصهم في جعلها تعبير عن الفقص والوثب والحركة الحربية السريعة بما فيها المبارزة التي هي إحدى رقصاتهم .

الموسيقى:

عرف سكان وادي النيل مجموعة كبيرة من الآلات الموسيقية مازال كثير منها باقيا حتى الآن وقد كان للحضارة الفرعونية وما صاحبها من عبادات وثنية وطقوس دينية تحتاج الموسيقى مع وجود طبقة خاصة برعاية تبث عن اللهو والمرح شجعت الفنون والموسيقى من أجل متعتها الحصة وأناحت خلق فن عام وفن خاص لهذه الطبقة في مناسباتها المختلفة .

وقد انتشرت الآلات الموسيقية بالتشاور بين ، فن البلاط وفن المعابد وفن الطبقة الخاصة وفن عامة الشعب وقد اسمعت آلات موسيقية مثل الجناك والكنارة والطبهر والجيتار ، الزمار ، الدف والصفقة على الأيدي والطبول . . .

وقد أهتم بالاحتفال بالأعياد ، كعيد الحصاد وفيضان النيل والاحتفالات لدينية وقد انتشرت هذه العبادات في السودان بعد تمركز الحضارة الفرعونية فيه بعد القرن السابع والثامن قبل الميلاد وبعد أن دب الخلل في الدولة الفرعونية وامتدت إليه آثار حضارة جديدة من الشرق ومن شمال البحر الأبيض المتوسط وبقيام دولة نوبة السودانية لتحكم السودان ومصر ونطرد عنه خطر الآشوريين والبابليين .

وقد كان لشراء مصر الفرعونية أثر كبير في استجلاب الآلات الموسيقية من أماكن بعيدة وأحضار المواد التي لم تتوفر محليا وهذه الآلات التي كانت تستحب ولا توجد موادها محليا كانت للخاصة والبلاط والمعابد . أما عامة الشعب فقد كانت المزامير وهي من البوص والطاو المصنوع من جلود المساعز والربابة آلات يمكن صنعها من المواد المحلية بواسطة عامة الشعب . .

وقد كانت الآلات الرئيسية للموسيقى قد انتشرت في السودان كالبابا والطار والطبلة الأفريقية وهي الآلات التي يمكن صنعها من المواد المحلية من نباتات وحيوانات . وقد كان للطبلة الحاكة في نيتة ومروى نفس الفرق الموسيقي التي كانت لغراينة مصر نسبة الامة نيات المادية ولمكانه المعابد والطقوس الدينية بجانب البلاط الملكي وأهمية هذه الطقوس الدينية التي كانت الموسيقى عنصرًا هامًا فيه .

فقد عرفت الطبقة الحاكة والخاصة أنواعا شتى من الفنون والموسيقى والرقص لم تكن متاحة لبقية سكان النيل كما كانت للمعابد موسيقاها الخاصة وللأعياد التي حافظ حكام السودان عليها في ظل الحضارة الفرعونية على التمسك بها مثل تقديس النيل وأعياد الحصاد والفيضان والأفراح وهي عادات ما زالت آثارها باقية حتى اليوم .

العمارة :

كثيرون يسألون عن حضارة السودان وأثارها بعد منطقة البركل شمال السودان فلا يجدون إلا بعض الآثار البسيطة التي لا تفيد كثيرا ولا تعطي صورة حقيقية عن نهضة تلك الحضارة . وقد فات على البعض عن إمكانيات الطبيعة ومواردها لحفظ أثار تلك الحضارة .

فقد اختصت المنطقة الشمالية من السودان بنوع خاص من الاحجار صالح لبناء المعابد والقصور والاهرامات لا تؤثر فيه الطبيعة من رياح وأمطار ولا تتأكل سريعا بفعل العوامل الطبيعية الامر الذي ابقى لشمال السودان الكثير من أثار تلك الحضارة رغم عبث الناس وتحطيمها بواسطة الأفراد والجماعات وإستغلال تلك الآثار لأغراض كثيرة عبر التاريخ أما المنطقة التي تقع جنوب بحيرة سوبا

المسيحية قرب ملتقى النيلين حيث قامت حضارة وعمارة عظيمة لم تترك لنا الايام منها الا بعض الآثار البسيطة فيرجع ذلك إلى المواد التي لا تستطيع أن تحافظ على نفسها الا الف السنين لان معظم العمارة التي شيدت في مروي وسوبه المسيحية كانت مصنوعة من اللبن والاحجار التي لا تحتمل تغيرات الطبيعة من رياح وامطار وجفاف لتبقى آلاف السنين .

ونحن إذا حاولنا أن نبحث عن إمكانيات هاتين المنطقتين مروي القديمة وسوبه المسيحية لنجد الطبيعة هنا أعنى من شمال السودان حيث هنا الأراضي الزراعية أكبر مساحة وأخصب والمراعى لا حدود لها الأمر الذي يتيح لهاتين المنطقتين من الخزرات الطبيعية من نباتية وحيوانية ما يجعلها غنية تنفصل عن شمال الوادى وتجلب منه ما تريد . . . إلا أن مناخ هذه المنطقة كان له أثر مباشر في اندثار آثار تلك الحضارة التي قامت في منطقة الخرطوم وسوبه .

الالهة عند الفرس

كان الفرس يتبعون عادات وتقاليدهم أعرف منها مايلي : — لم يكن لديهم أية صورة أو تماثيل للالهة ولا معابد ولا مذابح — إذ كانوا يعتبرون استعمالها علامة من علامات الخرافة . وأظن هذا راجع إلى عدم اعتقادهم بأن طبيعة الآلهة من طبيعة البشر ، كما كان يتصور الاغريق ، ومع ذلك كان من عاداتهم يصعدوا إلى قمم الجبال ويقدموا الذبائح لجوهر وهو الاسم الذي يفتقونه على المجموعة الكونية كلها كما كان من عاداتهم أيضا أن يقدموا الذبائح للشمس والقمر والارض وللنار والماء والرياح . هسفة فقط هي الالهة التي توارثوا عبادتها من اسلافهم منذ أقدم العصور الفارسية .

أعظم يوم يحتفلون به هو يوم عيد ميلادهم من بين أيام السنة .

ذكرنا هذا لاتصال حضارة الفرس بالحضارة الفرعونية بعد أن وهدت الأخيرة وخرج ملوك السودان في القرن الثامن الميلادي من منطقة البركل لصد أثر الفرس عن مصر وعدم احترامهم لديانة القراعته التي هي ديانة ملوك نبتة إلا إن بعد عاصمة دولة نبتة عن ضيعة وحدود الفرس حال دون استمرار انتصار دولة نبتة العظيمة ووقف خطرهما على عبادات وادي النيل حيث حاولوا الاستحجان بها وعدم تقديرها واحترامها بعد ما دخلوا مصر .

هيرودوت

تأليف أ . ج أيفانز

جولة في متحف الآثار المصرية

« المقابر الملكية بجمي بلاته وقسطل ببلاد النوبة »

(العصر البيزنطي)

في عام ١٩٣١ قرر أعضاء بعثة مقابر بلاد النوبة تحت إشراف مستر أمري أن يفحصوا بالتفصيل السكبان الكبيرة الممتدة على جانبي النيل بالقرب من قريتي بلاته وقسطل على بضعة أميال إلى الجنوب من أبي سملي وشمال حدود السودان مباشرة . وقد تبين أنها كانت تغطي مقابر العصر البيزنطي وتشبه ما سبق العثور عليه في حماني وفركه ووادي وحزيرة سيدي وكلها في السودان إلى الجنوب من وادي حلفا وهذه المقابر محفورة في الراسب الغرينية وتتكون من طريق طويل منحدر طويل يؤدي إلى حجرة كبيرة بنيت فيها حجرات من اللبن الأحمر .

وعندما كان يوصع الملك أو الأمير المتوفى الذي من أجله أقيمت المقبرة في حجرة الدفن وعليه ملابس من الجند كانت تودع أمتعته الشخصية والأطعمة ولبنيد في غرفة مجاورة ثم يعلق الباب الخشبي المكسو بلبوحات كبيرة من البرونز مسمرة عليه ثم يختم ويبنى عليه جدار من اللبن .

وكان يؤتى بخيول صاحب المقبرة إلى هذا الطريق المنحدر وقد طهمت لسروج رائحة واهتم من الفضة (توحد تماثيل لهذه الخيول رأيتها محفوفة ليست لمعرض الآن) وعدد مزر كشة بألوان تختلف بين الأحمر والأزرق ثم تقتل في مكانها بضربات العشوس (وفي أخزانات فأسان منها) وتدفن أترافق سيدها

في الآخرة وعلى مقربة من هذا المكان دفن العبيد والخدم بعد خنقهم بمحال
معمودة وهؤلاء أيضاً كان يراد بهم خدمة سيدهم بعد الموت وفصلاً عن الحيوان
فقد عثر على طائفة أخرى كبيرة من الحيوانات كالجمل والأبقار والخير كما عثر
كذلك على سلحفاة وقد ضجعت جميعها لنفس الغرض .

أما الكشبان التي أهملت وسط المقبرة فتتكون من كيات هائلة من أثرية نقلت
من الجحش المجاورة ويختلف حجمها تبعاً لأهمية المتوفى وقد بلغ ارتفاع بعضها
إثنى عشر متراً ... وفي هذه الكشبان عثر على عدد من الآثار الهامة المعروضة
بالمتحف ومن بينها الصندوق المزين بالواح من العاج ورقعة اللعب والدروع
والحراب وبعض قطع فريدة من الحلي كالأقراط المصنوعة من الفضة وحجر
الجبش والاساور الفضية المرصعة بأحجار نصف كريمة .

الملاحظة

١ — يوجد أوان ومباخر من الفضة من ضمن الآثار المسيحية التي يرجع
أنها نهب من الكنائس (

٢ — إناء من الفضة عليه رسوم يمام (أو نعام وأسماك ويبدو أنها رموز
مسيحية نهب من أحد الكنائس .

٣ — صحن من الفضة صور الإله (أبولو هومس تحيط به رموز خاصة
بمعبودات أخرى منها اسكريبوس وهرقل ومارس وديونيسيوس وفولسكان .
تبين أثر الفن الأغريقي والروماني .

صورة أبولو ممسكاً بسيفه عصا مزركشة ويمد قطعة من التفاح أبو النضج

إلى الشعبان أمامه وعلى شماله الفرس المجنح ذو المنقار والأرجل الحيوانية والمعز .
وقأس ومقبض ووجه أسد في شكل تجميدى .

٣ — مباخر وموائد صـغيرة وملقط شعر وقطعة على هيئة صقر وجوه
الحيوانات على شكل غريب مربع الألوان غاية في الدقة والترف . . وخنجر
على شكل ثمرة الاناناس .

٨ — (١) قطع من البرونز والعاج والفضة وألواح من العاج في صناديق ..

ملاحظة :

العاج يظهر فيه أثر الفن الافريقى .

(٢) إصلال من الفضة من تاج ملسكى وذرار وأقراص من الفضة كانت تزين
ملابس من الجلود .

توجد قطع حديدية على شكل فأس وأسود .

وليس هناك ما يدل على حقيقة هؤلاء القوم إذ لم يعثر في مقابرهم إلا على
النادر القليل من الكتابات ويرى على كثير من جرار النبيذ الكبيرة والأوان
المعدنية بضع كلمات باليونانية وربما كانت هذه الأوانى مستوردة من الإسكندرية
وقد عثر على رمع من الحديد وإناء عليها نقوش مقتضبة جداً بالخط المروى ذى
الخطوط المستقيمة كما أن الكثير من الأوانى الفخارية والأشكال من
الأشكال التى تتميز بها المملكة المروية وإذا أضفنا ذلك إلى أن هذه الطرز لم
يعثر على مثيل لها شمال فلسطين لاستنتجنا بأن هؤلاء القوم كانوا على صلات
وثيقة بمروى .

ويظهر أن أهالى بلاتة وقسطنطين استمروا دهرًا طويلا بعد دخول المسيحية إلى

مصر وهم يعبدون المعبودات المصرية كجوريس وبسى وايزيس كما ان بعض الالهة المختلطة وجدت مرسومة بكثرة على احشاء السروج ولوحات الفضة .

وقد امدتنا هذه المقابر بكمية وافرة من الاثار المختلفة الاثار مختلفة الالوان وقد عرض منها مجموعة كبيرة كاملة التمثيل ولعل أجدر دة بالملاحظة ذلك الصديق المزخرف بلوحات عاجية عليها صور لا تكاد تارى في دقة وتهديب — ونك التيجان الفضية المرصعة باحجار حسنة الصنع ثم الطبق الفضى ذا النقوش الباردة واللحم الفضية الخاصة بالالجنة ووقايات أيدي الرماة ثم الاثار المنحروعية الشكل وهي أن كانت ذات صنة بالرمية إلا أن طريقة استعمالها مازالت غير معروفة وما هو جدير بالذكر أن بعض القطع البرونزية عليها شارات مسيحية وهي أماكن تكون قد سلبت أو أشتريت من العشائر المسيحية أو الكنائس وبلاحظ أن من بين المنسوجات عيئات صنعت من الحرير .

ويرى على كثير من الجثث اثار واضحة لاصابات حصت في ميدان القتال ويشبه أشراى بلانه وقسطن الزوج إلى حد كبير وإن لم يكونوا من الزوج فعلا — أما خدمهم وعبيدهم فكانوا من أجناس نوبية مختلطة ، وحلاصة الاحتمالات أن هذه الجهات كانت لجنس من النهابين الميايين للقتال يعرفون بالبيميمين الذين كانوا حتى القرن الثالث بعد الميلاد لا يزالون تحت سيطرة مروي .

وقد هاجم البيميميون الحدود الرومانية أول مرة عند أسوان عام ٢٥٠ م ثم مرة ثانية ٢٦١ م ثم عادوا عام ٢٦٨ م فاجتاحوا مصر حتى وصلوا إلى كيتوس فقط وبتلبايس .

وقد دعا الامبراطور دقلد يانوس (٢٨٤ — ٣٠٥) بعض قبائل النوبة (النوباديون) الذين كانوا يقطنون الصحراء الغربية ليستوطنوا فيها بين بلاد

البيمين وأملك روما وبالرغم من هذه الخطة فإن البيمين احتاجوا الواحة الخارجة حتى عام ٤٢٩م ويظهر أن طرد البيمين النهائي حدث في أواسط القرن السادس عندما اجتاحت سلوكوا ملك النوباديين الذي كانوا قد اعتنقوا المسيحية إذ ذاك بلاد البيمين ومن بعد ذلك لم ينكر التاريخ عنهم شيئا .

وقد قام مستر امرى بالشر عن هذه المقابر ووصف أقوام البيمين في مؤلفه To. Entery The Roval Tomps of Bauana and Bustol

(وهو الكتاب المطبوع بالمطبعة الأميرية بدلان) بعثة حفائر بلاد النوبة
٢٩ — ٣٤) .

٢٩) أكواب وجرار وقوارير من الفخار بعضها ملون وبعضها محلى بزخارف مسارح وأباريق وأوان وأوعية للطرح وحوامل — ويسهل ملاحظة ماى التأثير منها من تأثير الفن المصرى القديم على الفن اليونانى والرومانى .

تمثال من البرونز يشبه كوبيين . أغربقى الفن — تمثال من البرونز يمثل إليه يحمل شمتان .

١٥ — جلب لحفظ السهام وبقايا حقيقة للحلى وأدوات للزينة ومعها قوسها وقطع ملابس ونعال وأجزاء من الجمام وكلها من الجلد — ثم قطع من سلال من القش وخرز منقود في خيوطه الأصلية ونموذج من الحجر اثر على لمائدة قربان من الطراز المروى .

١٦ — نماذج من الاقمشة المختلفة والجيال التى كانت تستعمل في اطقم الخيل . ملاحظة النسيج ممتاز ودقيق وسبك وبعض أنواع الشمل من صوف الماعز والضأن وخلافه كانت تستعمل لكساء الخيول

والانسان . الاقشة تشبه الحد كبير نوع الاقشة هـذة الايام رغم جوده صنع القديم .

١ — الفخار كبير . . نستعمل الماء وحفظ الاشياء . . في شكل برام وحلل وزجاجة . . وبخسه . . يوجد من نفس النوع مصفوع من النحاس والبرونز من والفضة .

١ — أدوات الزينة موجودة . . وقد عثر معها على أصباغ الوجه .

ودلاية (مقبض) من الحديد من الطراز الروماني أمشاط من العاج الملون على زهرة . . دقيقة الإنسان . . ومكحلة من الخشب على هيئة الالهة . (رع) وجه قريب من وجه البومة .

لوحة للعب مطعمة بالعاج وزواياها ملبسة بالفضة وجدت في الركام في الكوم الذي يعلو المقبرة وكان بأسفله حقيبة من الجلد بها قطع اللعب والزهر .

المعادن المختلفة التي استغلت في صناعة هذه الأدوات تكشف لنا إمكانيات تلك الحضارة ومقدرة الإنسان جنوب نهر عطبرة لاستخراج المعادن وتوظيفها في حاجيات الحياة اليومية .

شواهد شكلها

موائد وقرابين

من العهد المروى

هذه الموائد كانت توضع عند مدخل المقابر وكان اقربيا مستطيلة الشكل وبأحد جوانبها بروز به قناة تنصب منها السوائل أما في الوسط فيغلب أن تكون عليها رسوم أو ان خبز منقوشة نقشا بارزا وكذا بعض مناظر من الاساطير المصرية أما الكتابة التي حولها فتبدأ دائما بدعاء موجه إلى أحد الالهة إيزيس أو يا أوزيريس ثم بعد ذلك أسم المتوفى وأوصافه وتكتب بعبارة للترحم عليه . ويذكر في أوصافه أنه كان طيب كريما الأصل . . . الح . . . ويلحق غالبا بأسماء والديه .

ملحوظة :

وربما يزيد من الاكتشافات التي تجرى في منطقة مروى القديمة جنوب نهر عطبرة نستطيع أن نعثر على المزيد من الوثائق والآثار التي يمكن أن تعطينا صورة كاملة عن تلك الحضارة التي قامت جنوب نهر عطبرة وتكشف لنا عن حدودها جنوباً ومدى سيطرتها وعلاقتها بالقبائل التي سكنت أرض الجزيرة وقبائل الشام خاصة والمجموعات الأخرى التي سكنت السهول

حصارة السودان الفرعونية

ورغم قلة المعلومات لدينا عن حالة الحصار قبل دخول السودان تحت تأثير الحصار الفرعونية في عصر الأسرة السادسة الاسوانية (٢٦٠٢ — ٣٣٩٢) ق.م. بانتقال السلطة في الوجه البحري إلى الوجه القبلي إلا أنها بتطور حالة مجتمع على أرض النيل وما وصل اليها من رقي يمكن اننا أن نقيس حالة المجتمع جنوب مصر من جراء تشابه الظروف الطبيعية والاجتماعية .

فالمجتمع هنا زراعي كما في الشمال . . مجتمع مسـمـر تطور من المجموعات الصغيرة إلى الممالك الكبيرة . . .

فقد عرف سكان السودان الحكم النظامي شبيه بالنظام الملكي في مصر إلا أن . . تدخل كهنة الدين الملكي في مصر جعل إمكانيات وطاقة شعب مصر في يد الكهنة والملك حتى تطور ذلك النظام باستغلاله لطاقة شعب مصر إلى أقصى إمكانيات الاستغلال ، حتى تطور ذلك المجتمع من الوجه الحضاري في استغلال إمكانيات شعب مصر لبناء السفن والعمارة وخضوع هذا الشعب لسلطة ورجبة الكهنة الأمر الذي لم يعرف في السودان حيث لم يصل الدين إلى ما وصل إليه كهنة آمون .

باستغلال الناس في السودان عن سلطة الكهنة وبذلك وتحرر إمكانياتهم من سيطرة الملك ، جعل المجتمع السوداني عن النيل جنوب الحصار المصرية مجتمع ملك ، أقل ثروة ، وأقل سيطرة على أفكار الناس حيث كان يعتمد النظام المصري على السيطرة الروحية ، وتقديس الكهنة ، ثم الملك بما خلق طبقة معينة ، منفردة بالحكم لم يحس من قوتها إلا بتوسع مصر ، وتوسع أعوانها بتدقيق جيش عظيم هو جزء من السلطة حتى وصل الشعب في بعض الظروف إلى حالة التجنيد

واجبارى ، وبذلك استطاع أن ينقل من حالة العبودية والطاعة والاستغلال إلى مستوى الجندى المحترم المنظورى تحت نفوذ القصر والمعبد .

ولبعد المجتمع السودانى من هذا التركيب لاجتماعى ، وتحالف القصر والمعبد عاش النظام الاول للملكية فى السودان بأحترام جميع الافراد فى التجارة والملكية والعبادة حتى ظهرت الحضارة النوبية جنوب النوبة فى عهد الاسرة السادسة السودانية ، ومحاولة اخضاع اراضى النوبة وضماها اليها ، أو الاستيلاء على خيراتها وعملها ، لبقاء الحضارة الفرعونية الجديدة . التى كانت فى حاجة إلى كل يد عاملة ، وإلى كل امكانيات مايزال لخدمة هذا العمل الذى خطه النيل .

وقد غار حكام الوجه القبلى على ارض النوبة ، وزنوج السودان وبندرا أنهم نزلوا بعيدا عن ارض النوبة وكرمه لحاجتهم للعمال وخيرات النيل بعد الشقاق الدولة إلى قسمين ومحاولة ملكة الوجه القبلى (أسوان) أن بسط نفوذها على كل الممالك التى حوالها وإخضاعها لسيطرتها وليس ذلك بحال بسط نفوذهم غير جنوب النيل ولذلك كان طميميا أن يمدون نفوذهم إلى الجنوب ويستولوا ويخضعوا الممالك السودانية التى كانت قائمة على ارض النيل .

ولنا أن نسأل هل كان هذا الاخضاع إدارى فقط . أم أنه امتد إلى اخضاع حضارى بأدخال العادات والعبادات الفرعونية على الاراضى الجديدة وهذا كان يتوقف على نوع السلطة الادارية التى أقامها حكام أسوان على جنوب النيل . .

ونحن لا نعرف على وجه التحديد هل أتوا عنهم فى هذه المناطق الحكام المحليين أم فرضوا على تلك الممالك حكاماً مصريين ، عن طريقةهم يمكن أن تدخل مظاهر الحضارة الفرعونية بما لا شك فيه فى الحاليين أن سكان السودان

عرفوا بعض العادات والتقاليد الفرعونية من جراء حملات الجيوش المصرية وبقاءها مدة طويلة لأخضاع جزء كبير من أرض السودان كانت في أثناءه تؤدي الشعائر والعادات المصرية كما إن إستجلاب عدد كبير من السكك المحامين إلى مصر ليكملوا في الجديده أو كعبيد والاستفادة منهم في أوجه النشاط العمراني المختلف قد شبع هؤلاء بالتماليد والعادات والديانات الفرعونية التي بدورهم كانوا سفراء في نقلها إلى الجنوب بما في ذلك العلوم والفنون والعبادات والتقاليد .

إننا يجب أن ننظر إلى هذه الفترة من التاريخ بفترة مليئة بالحركة والنشاط والتوسع حتى يمكن لنا أن نتصور حالة المجتمع القديم .

وقد خضعت أرض النوبة مرة أخرى في عصر الأسرة الثمانية عشر الطيبة (٢٩١٣ - ٢٧٥٠) ق م ويبدو في هذا العصر ظهرت دولة اثيوبيا عند الشلال الرابع ، يبدو أن مملكة اثيوبيا كانت قائمة منذ قديم الزمن ، ألا أن سيطرة الأسرة السادسة لم تصل إليها . . ويبدو أن هذه المملكة لاثيوبية كانت تسيطر نفوذها على الأراضي جنوب أبي حمد وكانت غنية وكانت ذات حملات تجارية في حاصلات السودان مع مصر بما شجعها بأثر الحضارة الفرعونية ، ومصنوعاتها حتى جاء زمن كانت فيه هذه المملكة ورثة للحضارة الفرعونية لما لها من إستمداد وتقبل ومالها من امكانيات ونفوذ على أراضي شاسعة .

وقد ظلت أرض النوبة متمردة على مر الزمن على النفوذ الفرعوني ويعزى ذلك لرفض هذه الشعوب للعادات والحضارة الفرعونية ولكن لما كان يفرض عليها من ضرائب والتزامات من جانب تلك الدولة المتوسعة القوية وهذا يكشف لنا افراد السلطات المحلية بالحكم وعدم توظيف حكام مصريين على هذه الشعوب مما جعل تمردا سهلا . . . ولكن امتداد الحدود المصرية حتى حلفا في

عهد الاسرة السابعة عشر الطيبية (١٩٨٣ - ١٧٠٣) ق م

فقد وصلت الجيوش المصرية حتى المملكة الاثيوبية عند الشلال الرابع ..
وعما جعلنا نعتقد بقيام الدولة الاثيوبية في زمن هيد هو محاولة بمالك الوجه
البحري المرعونية أن يهملوا إليها ويستولوا على خيراتها . (اموزيس)
١٧٠٣ ق م من لسته ملك اثيوبيا يدلنا على أن هذه المملكة كانت قائمة وكان
لها شأن عظيم كما أن هذا الزواج كان يعبر عن نشأة التقليد الاثيوبي والمصرية
حتى سمح بزواج هذا الملك من تلك الاسرة الحاكمة عند الشلال الرابع وهذا يكشف
لنا أيضا انتقال الديانات والعلوم والفنون المرعونية لهذه المملكة في عصر قديم ..
وربما تمكن هناك بعض الدماء المصرية في هذه الأسرة وربما لانكن ولكن
هذه الدولة الاثيوبية كانت صديقة حميمة لدولة طيبة وعبادة آمون والحفاظ
على عبادة الالهة المصرية حتى كان عهد الاسرة الحادية والعشرين (١١١٠ - ٩٨٠ ق م)
وتوحدت دولة طيبة وأثيوبيا ومدت نفوذها حتى سنار والحبشة ناقلة مظاهر
الحضرة المرعونية إلى تلك المناطق .. وهذا يفسر لنا قوة شأن هذه المملكة التي
لم تصل إلينا وثائق تكشف عن إخبار ملوكها وحضارتها إلا أنها كانت ذات
علاقات طيبة بملوك طيبة :

من هذا الرد تكشف لنا الحقائق التاريخية أن دولة أثيوبيا كانت قائمة قبل
ثلاثة ألب سنة قبل الميلاد ولكن أخبار هذه المملكة لم تصل إلينا ونسكاد
لأنعرف شيء عن حياتها الداخلية وحضارتها الا في القرن الثامن قبل الميلاد
بظهور ملوك عظام استقلوا ضعف الحالة في مصر وبسطوا نفوذهم شمالا إلى
فلسطين وبلاد فارس :

(٥٠٠٤ - ٣٠٦٤) ق م : (الاسرة الأولى إلى العاشرة) :

(١) (الاسرة الأولى حكمت ٢٥٣ عاماً (الاسرة الطيبية ٩ ملوك)

أول حكومة ملكية حكمت مصر بعد الكهنة .

أول ملوكها ديننا : قللا نفوذ الكهنة .. أسس القوانين والشرائع طهر في عهده علم الجراحة والباب ، واسطة الملك (نيبا بن مينا) أشهر ملوك هذه الحقبة

الأسرة الثانية المصرية (٤٧٥٩ - ٤٣٤٩) ق م

أول ملك : بعازر .

خلفه كاكاو .. وضع عبادة العجل « أبس » .

ينويرس : أول « من القرايين وأباح للنساء تولى الملك

زعم أن أمك ناسب الآلهة وابن شمس طهرت عبادة المصريين لملوكهم درجة تصل إلى الإلوهية :

الأسرة الثالثة ، نيا ٤٣٤٩ - ٤١٣٥ ق م (المنفية) نسبة إلى مدينة منف

أول ملوكها نفرو ، : حاربهم الليبيون

خلفه توزير ، - ١٢ ، علما بالطب وكتب فيه وذهب بفن قطع الاحجار ونحتها حد المكال

آخر ملوك هذه الأسرة تاسقرو ، أول مرعوى ، وجدت له آثار .. طهر في عهد هذه الأسرة نال أبو الهول في الجيزة وهو تمثال حيوان ضخم له جسم أسد ورأس انسان أمانة إلى القوة والعقل :

الأسرة الرابعة المنفية (٤١٣٥ - ٣٨٥٠) ق م

تحسنت أحوال الادارة والعظيم في عهد هذه الأسرة .. أوقفوا هجبتهم على عرب الصحراء شرة والليبي وأهتموا بالأصلاح الداخلي . توسعت المملكة شرقاً وأستولت الى بحيرات أراضى سيناء

أعظم ملوك هذه الأسرة خوفو أو خيوفيس الثاني، بنى الهرم الأكبر في الجيزة وسماه خوت .. ويقال أنه سخر المصريين في بنائه ثلاثون عاماً .. كان يستخدم منهم كل ثلاثة أشهر حرالي ألف شخص

وتولى أيضاً في عهد هذه الأسرة «خفرع» ، أو «نوفر» ، ..

كان عهد هذه الأسرة فاسياً على الرعية في مصر، ولم تشيد هذه المباني الضخمة مما قد لموت الكثيرين وغضب الشعب . وبلغ الغضب الشعبي ضد هذه المملكة أن الجواهر بعد أن ضاقت بالتسخير أن كثرت جثث هذين المملكين وحطموا تابوتيهما .

رجاء بعد ذلك منقرع باني الهرم الأصغر المجاور الهرم «خوفو» و«خفرع» وقد سماه «حور» أي الأعلى وكان عادلاً رحيماً الرعية . فأباح للناس التفرغ لشئونهم الخاصة بعد عهد المسخرة التي عمت في عهد «نوفر» و«خفرع» ... وأرتقى الفن والنحت والعمارة في عهد هذه الأسرة شأناً بعيداً .

الأسرة الخامسة المنفية (٣٨٥٠ - ٣٦٠٢) ق م

أول ملوكها اسكاف .. كان محباً للعلم وعطوفاً على العجبة من لها القوانين وبعد «نفراركارع» ومن أشهر أئامه «الحقبة الأنازل» وجدت في مقبرة سقارة وقد بنى هذه المقبرة «ن» صدر الملك عنصر . سابع ملوك هذه الأسرة وقد اهتمت هذه الأسرة بالحياة الداخلية وقل ما اهتموا الخارجى مما قل دخلها وإنعط في نهايتها الفس لانشغال الناس بأعمالهم وعودتهم لحياهم الطبيعية بعد حياة التجنيد والتسخير .

الأسرة السادسة الاسوانية (٢٦٠٢ - ٢٢٩٩) : ق م

ظهور النوبة في التاريخ القديم :

ظهر اسم النوبة لأول مرة في عهد هذه الأسرات وبذلك يمكن أن نؤرخ دخول أرض النوبة والسودان بخضوعها للأنار الفرعونية والعبادات والفنون من هذا التاريخ . . . ولاشك أن هذا التدويع الذى قاد الأسر الفرعونية من الشمال إلى الجنوب جاء بعد صراع مرير وأحضاع لذلك المنطقة الجنوبية فقامت لشركت شعوب جنوب منطقة أسوان (النوبة) فى عمارة الأسرة الرابعة والخامسة واستخدم سكان تلك المناطق كدباب لبناء الأهرامات والمعابد لحاجه العمران الأبدى اله ملة . ويبدو أن شعوب أرض سيناء وليبيا قد تبرزوا على القتال وأصبحوا فى حالة طليمة للرافع عن أراضيهم . . . ولاشك أن تأثير الحضارة على شعوب شمال النيل وأبدانها والتجارة بين شعوبهم قد اثمرت فى تنظيم الإدارة فى جنوب النيل . ورغم أننا لم نتحصل على وثائق تثبت حالة الإدارة فى أرض النوبة والسودان قبل هذا التاريخ إلا أنه التدرج الطبيعى للحياة الاجتماعية المستقرة على النيل قد حلق نظاماً ادارياً يكفل الأمن والنظام بين شعوب النيل جنوب أسوان . فقد انتقلت تلك الشعوب من حياة الأفراد إلى المجموعات فى الممالك الصغيرة التى نشأت على النيل وسارت فى نظامها الإدارى الملائكى بخلاف ما كان فى شمال الوادى حيث لم تخضع هذه الشعوب للإلهة والكهنة مثل ما خضعت شعوب الدلتا ووسط مصر .

فى عهد الأسرة الاسوانية انقسمت مصر إلى قسمين الدلتا يحكمها ملك من منف والصعيد ويحكمه أول ملك من الأسرة الاسوانية . ويبدو إن ممالك الصعيد كانت أقوى من مملكة الدلتا للفوحات الجديدة التى خططها فى أراضي الوادى والسودان والخيرات الكثيرة التى جاءت إليها حتى تمكنت الأسرة

الأسوانية في عهد مريترع ، ووحيد الممالكين الدنيا وأسوان وجعل العاصمة أسوان وبذلك إنتقلت تلك الحضارة إلى الجنوب وانفتح بذلك السودان لمؤثرات الحضارة الفرعونية في عهد هذه الأسرة وأكتشفت المعادن في السودان في هذه الفترة وجاء بعد مريترع ، الملك فيوبس ، الذي حدثت في عهده ثورات كثيرة منها تمرد النوبة والزنج . . ويبدو أن هذا العهد توسع الملك في الشمال بعيدا داخل أراضي السودان لذكر إسم « الزنج » بجانب النوبة في هذه الفترة . ثم خلفه مريترع ، الثاني ثم خلفته أخته « نيتوفريس » ذات الحسن والجمال كما قال « مانيشون » المؤرخ الاغريقي .

الأسرة السابعة إلى العشرة (٣٢٩٩ - ٣٠٠٦٣) ق م

حكمت هذه الفترة أسرتان من صف والاسراتان الاثنان بعد إقراض الأسرة السادسة الأسوانية ويبدو أن تمرد الجنوب وإسترداده لسلطته إضعف أسرة أسوان مما جعل إسرده منف تعود للسلطة من جديد وتقل العاصمة من أسوان إلى (إهناس) وفي هذه الفترة بعد أن خضع السودان والنوبة للمؤثرات الحضارية الفرعونية وتمكن من الإستقلال عنها خضع لامتلاك للديانات الماهرة والحضارة الفرعونية بعد إن فرضت عليه في عهد الأسرة الأسوانية .

الأسرة الحادية عشر الطابيه (٣٠٦٤ - ٢٩٦٣) ق م

يبدو احتزاز الملك بين الأسرات السابقة وانتقال السلطة وإنشاقاق الدولة وانتقالها لأسوان ثم إلى إهناس كان في عهد وصلت فيه السلطة المصرية دورا من التدهور مما قاد إلى هذا التغير السريع والتنقل . . وإذا كان هذا التنقل

وهذا الانشقاق قد كان كارثته على الدولة المصرية لكنه كان له فضله على الجنوب في دخوله تحت تأثير هذه الحضارة في عهد الأسرة الاسوانية التي نقلت الحضارة للجنوب والروبة والسودان . . حتى بات السودان بعد انتقال السلطة للشبان مرة أخرى ذات سيادة وحضارة ذات طابع فرعوني مستقلة كل الاستقلال ولا يمكن أن يكون لتلك الحضارة التي انتقلت للسودان في عهد الأسرة الاسوانية من لوقى ما كان في الدلتا ووسط مصر ولذلك كان بلا شك بداية حديده في الرقي والحضارة والتفكير الديني ونظام الدولة .

ويمكن لنا أن نؤرخ تلك الفترة بفترة لخمسة الأولى التي خضعت بعد انتقال الأسرة من أسوان وإزال تلك الحضارة عن الشبان .

وبعد انتقال الحكم في الجنوب إلى الشبان مرة أخرى بدأت الحياة تدب في الدولة المصرية مرة أخرى في عهد الأسرة الطيبية (نسبة إلى طيبة) وظهر في عهد هذه الأسرة « منتوحب » الرابع الذي نزع الدلتا من ملوك أهناس ووح : مصر تحت سيطرته وعمر البلاد ووح على كفة حتى حينها وبأسطىن ثم جاء بعده ملوك لم يذكر لهم شأن يذكر . انصرفت على يديهم اصلاحات هذا الملك .

الأسرة الثانية عشر الطيبية (٢٩٦٣ - ٢١٥٠ ق م)

وفي عهد هذه الأسرة إلى حكمت مائة وثلاثة عشر عاماً عادت لمصر مرة أخرى ووحدها وعادت طيبة مرة أخرى عاصمة الدولة الموحدة .

وبعد أن استتب النظام لهذه المملكة الطيبية ووحدت السلطة المداخنية وراى المستعمرات القديمة التي تمرد عليها فكرت في إعادة أرض (النوبة وأثيوبيا)

مرة أخرى . وقد ظهر اسم اليوبيا هنا لأول مرة وقد كان يقصد به جنوب النوبة . . فقد كانت النوبة وأيوبيا وهما تطلق على الأرض جنوب مصر .

وقد خضع السودان مرة أخرى لسلطة هذه الدولة الطيبة ويبدو هذه المرة أن جنود هذه المملكة قد ساروا داخل السودان وكان ذلك في عهد الملك (امنحتب الأول) الذي عرف بالحكمة والحزم وحين حانت وفاته دعى ابنه وقال له هذه الوصية :

(يا بني لقد أصبحت حاكم الأقاليم الثلاثة) الوجه البحري - القبلي - النوبة (وهذه أول مرة تصبح النوبة جزءاً لا يتجزأ من المملكة المصرية) وقال : (فأقصد بأحسن ما كان يفعله أسلافك وحافظ على نظام الرعي ولا تمكن في منزل عنها ولا تعجب بنفسك ولا تقتصر على مصاحبة الغنى دون الفقير . . ولا تسرع بتقريب الوافد إليك فإن ضمايره خافية عليك) .

وفي عهده استخرج الذهب من أرض النوبة وقام بغزوات عديدة لها ورجع بالمكثير من الغنائم والأسبابيا وأخضع كذلك لزوج خلب أراضي النوبة .

ثم جاء بعده ابنه (أوسرتيس) ثم جاء بعده امنحتب الثاني أو (سيزوستريس) الذي شاد حصونا وقلاعاً في وادي حلفا وقد وجد على قمة يا هذه الحصون (هذا حد مصر الجنوبي وضع في السنة الثامنة لحكم الملك (أوسرتيس) .

الأسرة الثالثة عشر الطيبة (٢٧٥٠ - ٢٥٦٦) ق م :

وكذلك يبدو أن حدود مصر امتدت أبعد من حلفا في عهد المملكة وكذلك آثار هذه المملكة وغزواتها كانت تذهب بعيداً عن حلفا وربما كانت البراءض

تجبر من ملوك الممالك السودانية جنوب حلفا وفي عهد هذه الأسرة توسعت فتوحات المملكة المصرية للجنوب حتى وصلت الشلال الرابع شرق كريمة . . . وربما خلف المصريون على هذه الاراضي الجديدة التي اخضعوها بعض الامراء الوطنيين أو بعض المصريين ولكن هذا الامتداد الجديد للجنوب قد تقلل الحضارة الفرعونية إلى داخل السودان ونقل معها الديانة والنظام الادارى - وربطت هذه الممالك بحركة الدولة المصرية التي كان عاينها أن تحافظ على هذه الحدود .

وجد بمدينة نوهين بقايا مدينة قديمة بها مقبرتين وقلاع من الأسرة الثانية عشر زارها شامبايول وروسيني ونقلوا آثارها إلى فلورنسا . أخذتمثال أمون من قاعدته التي وجدها كابتن ليونز وارسل إلى فلورنسا يرجع تاريخه إلى الأسرة الثانية عشر . وكان على أمراء هذه الممالك أن يفتنروا فرصة أى ضعف في الشمال ليهيدوا استقلالهم وكان أهالى السودان أكثر يقظة للبحث عن ضعف في الدولة الطيبة وفي نفس الوقت كانوا يحاولون أن يتقربوا للممالك المصرية واعتناق ديانتهم والاستفادة من نظامهم ومداهنتهم . . . وهذه حال الشعوب والممالك .

والأسرة الرابعة عشر والخامسة عشر (٢٦٦-٣٨٢) (٢٨١-٢١٤٣) ق.م.:

حكمت مصر في هذه الفترة الأسرة السخاوية أو دولة الحماقة والرعاة . . . وهم من قبائل الشام انتهزوا فرصة الشقاق في مصر . . . وقد كان الحماقة من العرب الحماقة .

الأسرة السادسة عشر الصانية (٢١٤٣ - ١٩٨١) ق.م.:

ظهر في عهد الأسرة الصانية إلى جملة صان ناصمه لهم أيضاً من العرب

ومنهم (أبوقيس) الذى لقبه العرب (بالركبان بن الوليد) أنتزع ملوك هذه الاسرة الوجه القبلى من فراعنة مصر . . . وفى عهد هذه الاسرة ظهر سيدنا يوسف عليه السلام ومن قصة سيدنا يوسف عليه السلام تبدولنا صورة المجتمع فى تلك العصور وحالة الشعب والرعية ورهبة الفراعنة وارتدادهم وتحكمهم فى مصائر البشر كما تكشف لنا عن انتشار السحر والشعوذة سلطة الملك وحوله مجموعة من دجالى الدين الذين احترقوا الشعوذة والسحر وارهبوا الناس . .

الاسرة السابعة عشر (١٩٨٣ - ١٧٠٣) ق م

من تاريخ هذه الاسرة يظهر لنا أن الصعيد كان قد انفصل عن الشمال حتى اضطرت لاعادته وبذلك تكون الممالك السودانية قد انفصلت واستقلت ادارتها عن الشمال والسبب عدم استقرار الملك على ارض النيل هو توسع هذه المملكة شرقا وجنوبا وغربا مما جعلها تخضع اجناسا مختلفة كما فعات الدولة العثمانية فى العصور الوسطى مما سهل انفصال هذه الشعوب عن المملكة المصرية واعادتها مرة أخرى وبذلك أصبحت تخضع للعادات والتقاليد الفرعونية ثم تعود مرة أخرى لثقافتها المحلية . . وفى تاريخ هذه المملكة التى حكمها الرعاع ٣١ عاما لاشك قلت فيه نهضة الحضارة الفرعونية ردت على ما وثرت جديدة .

وفى نهاية هذا العصر ظهرت الدولة النوبية الاثيوبية فى ارض النوبة .

وجد بمنطقة بوهين مع التماثيل ثمانية بعشرين مدن أخرى بين بوهين ودنقلا .

وتدل القائمة على غناء هذه المنطقة بالذرة والمحاصيل الأخرى

الاسرة الثامنة عشرة الطيبية (١٧٠٣ - ١٤٦٢) ق م :

يبدو أن سلطة الاسرة الثامنة عشر الطيبية قد امتدت إلى الجنوب أكثر

عما سبقتهما من ممالك . . ففى عهد هذه الأسرة ظهر ملوك وملكات عظام على مصر وسعدوا وحدودها وأخضعوا كل جيرانهم . . وقد ظهر لنا توسع الأسرة الثانية عشر الطبيعية إلى الجنوب حتى الشلال الرابع ويبدو أنهم أقاموا مملكتهم الجنوبية هناك وقد تعبت تلك المملكة الجنوبية وصارت تابعة لهم ، أما عن ظهور المظاهر أو الحاكم المقيم . . . رغم انفصال هذه المملكة عن سيطرة مصر فى عهد الأمر المقبلة ولكن زواج أول ملوك هذه الأسرة الملك (امورتيس) الأول من أمينة ملكة إثيوبيا وهذا ما نرجحه بأنه كان يقصد به مملكة الشلال الرابع (كرمه) وليست إثيوبيا الحبشة .

تزوج أمورتيس بأبنة ملكة إثيوبيا (كرمه) وهذه المصاهرة لا يمكن أن تكون قد قامت بدون مقدمات . . فلا بد أن تكون مملكة إثيوبيا قد بلغت شأوا من التقدم والازدهار حتى تتطاول لمصاهرة ملك الشمال . . أو أن هذه المملكة كانت لا تخدع من ممالك الأسرة الثانية عشر واحتفظت بزعامة إثيوبيا وتعود مرة أخرى بعد إستيلاء الآمن فى هذه الأسرة الثانية عشر لمساعدتها فى حروبها على ممالك النوبة والعرب المحيطة حتى انتهى منهم بمساعدة دول إثيوبيا . . وهذا الاتحاد بين الجنوب والشمال ، خضعت منطقة النيل حتى الشلال الرابع لمظاهر الحصار المصرية مرة أخرى . . وبه المصاهرة بين ملك طيبة وأبنة ملك إثيوبيا فقد نشطت التجارة بين الشمال والجنوب وازدهرت العلاقات وأصبحت الملكة انوية السكينة التمرد عسيرة بين ماكين توجعوا بالمصاهرة ضد أعداءها وبذلك قلت خطورة وتمرد الجماعات الصغيرة . وربما تكون فى هذه المرة قد خضعت كل مجموعات القبائل لشراف لدول الإثيوبيا ، وتم تهجيرها بطاهر الحضارة القرعونية بعد تمرد النوبيين الذين عرفوا بعدم الخضوع لآلى تمرد جديد .

ثم بعد وفاته إستلمت وصاية الملك زوجته نفر تاري على ابنة (امنفيس)

حتى شب هذا الملك وفي عهد وصايتها قوت مملكة إثيوبيا وجاء ابنها قائم
لخضاع الممالك النوبية وصمها لمملكته . ولا شك أن هذا الاخضاع هذه المرة
كان كاملا لا يتوقف على الجزية والعتوبات وان كان طريقة لإشمل بتعيين نواب
على هذه الممالك . وهؤلاء النواب لا شك كانوا من القرائ المصريين والإثيوبيين .

ثم جاء بهد إمنوفيس الثالث (تحتمس الاول) مصمما على ضم الشام
والنوبة . وبايع النوبة خائفه تحتمس انشأ بلاقال وهذا يعني خضوع هذه
الممالك لهذه الاسرة والاعتراف بأى ملك جديد تكشف عن نفوذ وتسمية
هذه الممالك النوبية وذلك من جراء الدم الذى تسرب إلى بلاط المملكة المصرية .

ثم جاء تحتمس الثالث الذى استولى أخيه (هاتاسو) على الحكم
نسبة أصغر سنه وانفردت بالحكم ووسعت بلادها وقوسعت فتوحات المصريين
في هذه الفترة .

ولما توفيت عاد الحكم إلى أخيها تحتمس الثالث أعظم ملوك مصر الذى
وسع مملكته وجند شعبه هذه الفتوحات حتى أخضع الحبشة والنوبة ومعظم
أراضى السودان وقد وصلت فيه لأول مرة جنود الحضارة المصرية إلى نهر
الغطيرة . ولم يكن لا يمكن أن تعزل الحضارة قد دخلت إلى هذه السهول والحبشة
فقد كان الاخضاع عسكري وتجارى لم يسمح ببذر بذور حضارة هناك النيل
وفي هذا العهد توسعت المملكة المصرية إلى الموصل والعراق واليمن وكردستان
وأرمينية وجزيرة قبرص ثم جاء بعده إمنوفيس الثالث الذى أمكنه
أن يخضع السودان لسيطرته حتى النيل لاررق . . وبعد هذا التوسع المتقطع
الظير كان لابد أن يثقل كامل الدولة بمرقبة لائن والنظام وهذا يحتم وجود
ملوك عظام على مر الزمان .

وايكن ما حدث في نهاية هذه الاسرة ثمانية عشرة طيبة ان اضطرب الحكم في هذه المملكة التاسعة . . وتمردت الممالك السودانية هذه المرة التي اشادت لها قلاعاً وحصونا على طول النيل وعرفت المعابد المصرية بدخول الجنود المصريين والكمفة ورجال العمارة حتى تعلم أهل النيل هذه الفنون والعبادات وكثرت مظاهر الحضارة المصرية من عادات وقرن عند أهل السودان رغم ما عرفوا به من عدم الخضوع لرأى سلطة خارجية فقد كانوا كثيرى التمرد والعصيان الامر الذى قاد لارسال جيوش مصرية عظيمة في عهد الفتوحات وبناء القلاع المصرية للحماط على طاعتهم . ولكن الفتوحات المصرية كان قل تعدادها في عراصم النيل والنوبة حتى اصبحت عدد هذه الممالك مدهون بقرة الملك في طيبة واستعدادا السريع لتأديب هذه الممالك المتمردة .

الاسرة التاسعة عشر الطيبة (١٤٦٢ - ١٢٨٨) ق م

كان رمسيس الاول اول ملوك هذه الاسرة الذى وجد تركه ثقيلة وعماكة واسباه الارجام تفككت اوصالها في الشمال والجنوب والشرق وكانت أميا مصدر فاق لهذا الملك .

وعادت الحروب من جديد لاحتضار اثيوبيا والنوبة والعراق والشام وإعادةتها إلى حدود المملكة القديمة . . و تطورت الفنون في عهد هذه الاسرة التى ظهر فيها ملوك عظام مثل تحتمس الرابع ورمسيس الثاني . . ولكن بعد عهد هؤلاء الملوك اختلفت مظاهر التمرد والعصيان من جديد . . وتعرضت مصر لهجوم من الشمال من اليونانيين والليبيين وساء حال الحكم في مصر وذلك لكثرة الجند الذين أصبح في أماكنهم المتمرد وقد كانوا من شتى الشعوب التى خضعت لحكم مصر . هنا تجمع أعداء آخر ملوك مصر الخلفاء ووضعوا على عرش الملك رجل من عامة الشعب .

الأسرة العشرون الطيبة : (١٢٨٨ - ١١١٠)

ظهر رمسيس الثالث في عهد هذه الأسرة وهو من سلالة أولئك الملوك العظام ولكن حال هذه الأسرة لم يَخْلُبْ عن الأسرة السابقة في مراجعة صعوبة الحفاظ على هذه الممالك الواسعة وهذه الشعوب المنمردة ..

الأسرة الحادية والعشرون الصائبة (١١١٠ - ٩٨٠)

بعد انتهاء الدولة الطيبة الثانية استولت على الحكم أسرة من (صاي الحجر) وانقسمت مصر إلى قسمين مصر الوجه القبلي تتبع إكهنه آمون وعاصمتها طيبة والوجه البحري وكان فراعنتها الصائبين وقاعدتها صان ..

كان سموس هو أول ملوك صان وقد حاول إخضاع طيبة في عهد ملكها الكامن (حرحور) - الذي لم يرضى بتغلب الصائبين عليه فأخذ مع الممالك الجبورية الأنيوية ووسع مملكته حتى سنار واتحاده هذا لاشك كان مع مملكته كرامة عند الشلال الرابع التي استطاعت أن تقوى نفوذها وتحفظ بسيادة جنوب النيل حتى النيل الأزرق ويبدو إن العنصر المصري والديانات الفرعونية كانت خاضعة لأمون الأمر الذي حتم تطويع هاتين المملكتين في زمن الشدة وبمحاولة الصائبين القضاء على عبادة آمون . . .

الأسرة الثانية والعشرون البسطية (٩٨٠ - ٨١٠)

وبعد عاز الاضطراب مرة أخرى لمصر بدخول شعوب كثيرة إليها حتى سقطت مصر في أيدي الشعوب المجاورة وخاصة شعوب آسيا الذين مهد لهم هؤلاء الدلتا بالعمل والوصول إلى مراكز عظيمة وانتقل الحكم في عهد هذه

الأسرة إلى مدينة بسطة وهي من الأسرة الطيبية وأستولى اششف على الحكم وهو من المنصر السامي ثم حارب ملوك طيبة وأخضعهم وبذلك مهد لا تفصال اتحاد مملكة طيبة واثيوبيا واستقلال السودان مرة أخرى

ولم يستتب الأمر للأسرة من هذه الأسر المتعددة التي بائت تمرص بعضها البعض ومحاولة إستجلاب الأجانب والجنود المرتزقة لتسرد على الملك وخضعه ؛ ثم ظهرت الأسرة الثامنة والعشرون الصاوية .. (٨١٠ - ٧٢١ ق. م.) خالعة للأسرة الصاوية التي ساعدت على اقسام مصر إلى أكثر من عشرين أمانة وبذلك تفككت الدولة المصرية العظيمة وأصبحت غير قادرة على الحركة في الداخل والخارج بعد أن اهكتها أطباع الأسر المختلفة بملك ..

وقد أغوى هذا الحال ملكة اثيوبيا لتقدم واستيلاء طيبة حتى عاد الصايون مرة أخرى لاسترداد طيبة من الاثيوبيين .

الأسرة الرابعة والعشرون الصاوية (٧٢١ - ٧١٥)

سادت الطوف في مصر وأصبح الملك أمنية كل قادر وأصبحت الأسر القديمة التي ورثت الحكم كل منها تحيك المؤامرات الأخرى حتى خضعت طيبة مرة أخرى لنعود الاثيوبيين وذلك لاختلاف ملوك الوجه البحري .. وقد انتمز الاثيوبيين بمساعدة الصاريين لاستعادة ملكهم واستولوا على أرض الوجه القبلي حتى ظهر تفتحت وطلب من لاثيوبيين فرض الشروط التي يطالبونها والاعتراف به ملكاً على الوجه البحري وكان هذا مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين . وجاء بعده (كوريس) القانوني الشهير الذي قضى سبع سنوات في نزاع مع لاثيوبيين طمعا في طردهم من مصر ولاشك أنه كان يستعمل المرائض وتفسير القوانين بهم شرعية حكم الاثيوبيين وبمهم في مصر ..



أهرامات مروي شرق معهد البكل حيث قامت ملكة نفته في القرن الثامن قبل الميلاد.



معبد الأسد بالنتيجة . . بناء الملك فاما كادين (١٥ ق . م . - ١٥ م) تابع لمرى القديمة .



ملیكة نیتہ خلدما . لاسکما طہرۃ العظیم .

المجلد الثاني
العدد الثاني
الطبعة الأولى
الطبعة الأولى



كما استمر الآثيوين في محاربتهم لضم الوجه البحرى إليهم ولكن يبدو أن الدولة الآثيوية بدأت تدخّل مراحل التوسّع الذى طرأ على المملكة الأولى وأصبح بعد عاصمتهم (نباتا) على الوجه البحرى حائلا دون توسعهم حتى ظهر الملك (بكوريس) ملكا على الوجه البحرى فحارب الآثيويين فى عهد ملك (نباتا) (الملك سباقون) الذى خلع (بكوريس) وأحرقه واستولى على ملك مصر جميعها وانتهى بذلك عهد ملوك الاسر المصرية لتدخل مصر فى حكم شعب الجنوب من القرن الثامن قبل الميلاد ...

الاسرة الخامسة والعشرون الآثيوية (٧١٥ - ٦٦٥)

أحب شعب وادى النيل ملكهم سباقون بعد أن قضى على الفتن والمؤمرات للملوك ومعاماته الطيبة الحسنة للرعية وخط سياسة وشيدة لدولته الجديدة حيث لم تختلف ديارهات وعبادات دولة نباتا عن الوجه القبلى وعبادة آمون . . وأعاد الحياة والتجارة بين شمال النيل وجنوبه وتوسع فى مملكته وأشاد المباني وأعاد بناء القديم وتوسع فى منشآته من المدن والمعابد والقصور ولأول مرة ينعم شعب وادى النيل بالاستقرار ويتفرغوا للعمل والحياة الطبيعية ولكن إطماع هذه الدولة الجديدة الشابة المنتصرة حاولت التوسع جنوبا حتى النيل الأزرق وسبيل البطالة والحشة وإخضعت لإرأسطالسودان وضمته لهذه المملكة وفرضت عليه مظاهر الحضارة الفرعونية التى إنتقل مركزها من الدلتا إلى طيبة ثم النوبة حتى وصل إلى البركل ثم مروي القديمة ...

ومن فضائل (سباقون) انه ألغى حكم الاعداء . . . وبعد أن نظم حكم مصر وترك مصر تحت رعاية أمة المملكة (اميزيئس) وذهب لنجد ملك الشمال (هوشع) ملك إسرائيل (وحرثيا) ملك يهوذا وأمراء فلسطين

الذين استجندوا به من ملك آشور الذي هزم هؤلاء جميعاً بما أضطر سبائون
للمودة لمصر ووجد أمراء الوجه البحري قد تمكثوا في غياية ولصاعهم بأنهم
جيشه أمام الاشوريين أعلنوا استقلال الوجه البحري (الدلتا) وحاربوه حتى
طيبة حيث أقام إلى أن توفي بها . .

وخلفه ابنه سيخون ورأى نار الفتنة تدب من جديده بين أمراء الوجه
البحري فأغار عليهم محارلاً إسترداد الدلتا إلى ملكة حتى تمكن من
استرجاعها . . .

هنالك اختلاف حول إستلام ترهاقا للسلطة فبعض المصادر تفيد أنه قتل
شيكنو بعد أن استولى على عرش نبالا والبعض تفيد أن شباكو أوصى به له .

ثم إستلم السلطة ترهاقا بعد أن أقصى سيخون (شيكنو) وفي عهده فاض
النيل واستبهر الناس بهده . . وكانت الدلتا وأرض فلسطين والعراق تضيح
بالحركة وطامع ملوك آشور لامتداد سيطرته إلى النيل ، وتطلع ترهاقا لبسط
نفوذه على أرض الشاميين والهلستانيين التي كرهت سلطه المصريين وبطشهم .
وكان ترهاقا ذكياً فطناً فلم يعمد إلى محاربة خصمه (أسرحدون) ملك آشور
مباشرة بل عمد إلى دس الدسائس بين الولاده التابعين لآشور حتى يفكك جبهة
القتال التي تقف بينه وبين (أسرحدون) وقد بلغ الاخير محاولات ترهاقا
لبث الثغرة بين عماله على فلسطين والشام . . فاضطه ذلك وتقابل الجيشان
وانهزم ترهاقا وتابعته جيوش الاشوريين إلى ما وراء الشلال الاول . . .
واستولى الاشوريين على منف ثم عاد ترهاقا واستعادها ثم استردها الاشوريين
مرة أخرى وصار الصراع بين الاشوريين وترهاقا على مصر حتى تسارل
الاشوريين وعقدوا صلحاً مع ترهاقا . . ومن ثم قامت سلطة الآثوريين
على الوجه البحري

بظهور دولة الآشوريين القوية في الشرق ودولة نيباتا القوية في الجنوب
جعلها مصر أرضاً للحرب وميداناً للقتل بين قوتين شابتين حين دب فيها الفساد
فأمرأها لا يستطيعون أن يقفوا صراحة مع آشور أو مع ملكها ولا يستطيعون
أن يعادوا هذه ولا تلك والحرب يوم نصر لها ومرة لعدوه بما أضعف الوضع
فيها وإضداف أعاد حكم يساندون أحد القوتين لضعيف نصر كامل حتى افتتح
الاثيويين بطيبة ثم جاء بسامتيك الأول الصاوي على الوجه البحري واستعان
باليونانيين على بناء دولته وتلومها وحفظ ود الاثيويين بزواجه بأميرة من
بنات الاسره المالكه الاثيوية فاسترجع طيبة وضم مصر الجنوبية وعادت دولة
الاثيوية إلى قواعدها الاولى حتى ظهر قمبيز ملك فارس وأدخل مصر تحت
حكمه عام ٥٢٧ ق م وبذلك دخلت مصر عهداً جديداً في خضوعها لمظاهر
الحضارة الفارسية ثم بعد ذلك لمظاهر الحضارة اليونانية والرومانية . . .

أما دولة اثيوبيا فقد أصبحت بعيدة عن سهام الفرس كما إنها اقتنعت
بحدودها وامت نظرها لوسط نفوذها للجروب حيث كانت تمتد جنوب النيل
الازرق فبازل الشك والعناصر السودانيين التي كانت تسكن أرض الجزيرة
القنية والنيل الأزرق .

دولة نيباتا

بعد إنهاء حكم الآثيوبيين في الوجه البحري والقلي وجلاء الآشوريين عنها اعتلى عرش الوجه البحري الأسرة السادسة والعشرين الصاوية وفي عهد الملك بسحاتيك الاول الذى استعان باليونانيين على تنظيم البلاد وتمكريمهم والاحتفاء بعلماهم استطاع بمعاونة اليونانيين من طرد الآثيوبيين من طيبة وجنوب مصر وبذلك انتهى أثر السيطرة الآثيوبية على مصر وكان ذلك فى عام ٦٥٠ ق م وبعد أن استتب الامر لبسحاتيك ، بدأ إعادة الحياة لمصر وقرب اليونانيين وجندهم وجعل منهم قواده وأكردهم إلى حد جعل جنود المصريين يغضبونهم ويقصدون إثيوبيا حيث رحب بهم ملك نيباتا وكرمهم وإستعداد بهم فى تنظيم جيشه وفتوحاته لداخل السودان .

ورغم قلة المصادر حتى الآن عن دولة طيبة بعد القرن السادس الميلادى إلا أننا يمكن أن نتصور حال البلاد بعد أن اكتمت دولة نيباتا بالانتصارات الداخلية وإمتداد فتوحاتها إلى انداغل وانتشار العمارة والفنون والاستفادة من الجنود المصريين الذى تركوا خدمة بسحاتيك الاول الذى بدأ فى ادخال علوم اليونان وقواتهم اليه ، بذلك لدخول الحضارة اليونانية عن الحضارة الفرعونية :

فى السودان يتوسع فى نشر هذه الحضارة الفرعونية جنوبا وتخضع له كل الممالك الناجية على النيل الا فى حق سنار وتظهر عاصمة ثانية عند مرمى القديمة ناحية كبوشية لتتولى ادارة البلاد وتتولى نيباتا العاصمة ادارة الجزء الشاى .

كان هذا فى هذا العصر الذى بلغت فيه الحضارة الفرعونية عظمتها ورقيا

في السودان وامتلا النيل بالمعابد والقصور والفنون الفرعونية من حلفا حتى
أرض الجزيرة .

وبمرور الزمن دخلت الحضارة الفرعونية في عصر الركود والخرول من جـ ام
دخول الحضارة اليونانية ثم بختريخ مصر لحكم فيبيز ملك فارس عام ٥١٧
ق م وتأسيسه الاسرة السابعة والعشرين الفارسية التي نكلت بالمصريين وعباداتهم
وحرمت عليهم عبادة لجل آبس ، وأبطال الشعائر الدينية مصرية ، وكان
السودان في ذلك الوقت ملجأ للهاربين من بطش الفرس والراغبين في نهضة
السودان لإيقاظ مصر من وحشية الفرس . يشر ان حكم نبالا لم يتركوا
في هذا العمل مرة أخرى بعد هزيمة ملوكهم العظام بعانخي وترهانا بحاسب قوة
الدولة الفارسية التي ادهبت العالم ونكلت باعدائها أشد التفتكيل هذا كله جعل
حكام نباتا لابتقدمون لإيقاظ مصر خوفا من ادخال انفسهم وممالكهم في حروب
مع هذه الدولة القوية الرشدة التي ربما زحفت عليهم ودمرت حضارتهم بعدها
دمرت حضارة مصر واذانة شعبها من العذاب وحرمت عليهم شعائرهم الدينية
وعباداتهم . . وبذلك افصل تاريخ السودان من ذلك التاريخ عن مصر ولم
يحول ان يدخل نفسه في شئونها وداخا لضمها الذي بدأ على دولة تدنة وثوسها
وانقسامها الى أمارتين وخصموع مصر لبطاة دولة قوية بحسب دانتها
عن ديانه وحضارة السودان المصرية - وربما حذفا على هذا التراث من
المؤثرات التي طرأت على مصر وازدهرت فيها واعادت لها الحياة من جديد

افتتح السودان بأثار الحضارة الفرعونية التي لم يأتى ملك عظيم ليرفع من
شئها أو يوقدها ولم يستتب الامر مع ذلك للفرس في مصر فاعمالهم الوحشية
ومساعدته اليونانيين المصريين لذين كثر عددهم في مصر وبدوخ دولتهم حرص
المصريين للثورة على الفارسيين حتى أنه وهم ولكن ذلك لم يعطها استقلالها نهائيا

وإنما كان تمهيدا لإحضار مصر مرة أخرى للحضارة اليونانية بدخول الإسكندر المقدوني عام ٣٣١ ق م مصر وضحاها لامبراطورية الرومانية بعد أن فتح بلاد آسيا الصغرى وصيدا وصور . واستمر حكم اليونان في مصر حتى اعتلى إحد فواد الاسكندر بطليمون بن لاغوس عرش مصر ودخلت مصر في عهد البطالسة حتى آخر ملوكها كليوباترة سنة ٣٠ ق م .

وفي هذا الأثناء تطورت حياة مصر العلمية والفنية بإنشاء جامعة الاسكندرية ودخول العلوم اليونانية كالفلسفة والفلك والعلوم العقلية وأزدهت حياة مصر العلمية والفنية خلال ال ٣٠٠ سنة التي خضعت فيها للحضارة الرومانية . ويبدو أن هذه الحضارة بعلماتها وفنونها وعاداتها قد وصلت للسودان وخاصة الفنون . لأن حسن الجوار بين المماليكتين كان قائما فلم تحدث أى غارات أو هجوم بين الدولتين خلال تلك الفترة ولم تفكر إحدى الدولتين في بسط نفوذها أو مظاهر حضارتها بالقوة على الأخرى واستمرت الحياة التجارية والتبادل الثقافى والفنون الرومانية تفد للسودان عن طريق الهاربين والتجار والعلماء ولكن هذا الأثر كان يسيرا لتعاين هذه الحضارة وتعاليمها مع الديانات المصرية بالسودان فلو سمح بدخول العلوم اليونانية يبنى ذلك الاعتراف بديانة أخرى غير ديانة الفرعنة والحضارة الفرعونية التي استوطنت السودان .

ويبدو أن السودان دخل في مرحلة من مراحل الضعف والنفك في هذه الفترة فلم يحاول أن يستفيد من العلوم والفنون الاغريقية أو الرومانية على غرار جامعة الاسكندرية أو إرسال المبعوثين أو إقامة الأروقة وذلك لانعدام الصلة بين حكم مصر من الرومانيين وبين حكم نبتا ، الذين كانت لهم علاقات طيبة مع حكم مصر من الوطنيين وصلت حد المصاهرة والمعاملات والمساعدات العسكرية .

وخلل تاريخ الممالك السردانية الفرعونية خلال تلك الفترة يقع تحت الاثرية وبعثت بقايا الآثار مبعثرة لم تكشف عن نفسها شيئاً يذكر حتى دخل السودان في العهد المسيحي ، ولم تحاول الدولة اثيوبية مره أخرى أن تعاود الهجوم على مصر الا في عهد أغسطس وإل مصر الذي خرج لاحتلال شبه الجزيرة العربية وانتهم حكام ونباتا ، هزيمة وبمسده عن صعيد مصر لاحتلال مدينة اسوان وضواحيها ، وكان ذلك قبل ميلاد المسيح ببضع سنين ، ولما كان أغسطس عاد وحارب الاثيوبيين حتى عاصمتهم ونباتا ، وأجلاهم عن مصر مره أخرى وهذا يدلنا على قوة مملكة ونباتا ، حتى ظهور المسيح ودخول مصر في ملك للدولة الرومانية ..

المسيحية في مصر والسودان :

ولد المسيح بأرض فلسطين بقرية بيت لحم ولما بلغ من العمر سنتين أتت به أمه إلى مصر مع يوسف النجار حيث عاش فيها أربع سنوات ..

طلت مصر تحت حكم متقلب بين فسوة القياصرة الرومان وعمتها الفتن وعاش الشعب في ظلم شديد في آخر عهد القياصرة . وفي هذا الاثناء عمّت الديانة المسيحية الشرق ولقي روادها الاوائل الكثير من صور العذاب والاضطهاد وقد لقي رواد المسيحية بمصر التعذيب الأكبر من هذا العذاب ، من القياصرة الرومان . وقد طهر بمصر رجالاً تحملوا عبء هذه الرسالة . وقد كانت الاسكندرية هي المقام الاول لهذه الرسالة . ولكن فسوة قياصره مصر لم يسمحوا للمسيحيين بإعلان إيمانهم بل طاردوهم وجند الجند للقبض على كل من ثبت عليه إيمانه بالمسيحية حتى قادت هذه المماردة وهذا التعذيب لظهور مذاهب وسلوك رجال الكنييسة فيما بعد .

اضطر الاضطهاد الدينى فى مصر المؤمنين بالمسيح بعد البطش والتمسكيل ، أن هجر المؤمنين بالمسيحية المدن القرى واعتصموا بالجبال والوديان وقد عبر وادى النطروفي بحجرة من الهاريين من هؤلاء المؤمنين . كما كان صعيد مصر ملاذا لهؤلاء النساك ، فوجدوا فى وديانه وشعاب جباله وبعده عن أعين الحشد وأعداء الدين أمانا لحياتهم وللعمادة والهروب إلى حياة للنسك وقد كانت الواحات والصحارى أحسن الأماكن لإقامة هؤلاء النساك ومنهم الانبياء ياقوم الذى تولى الاشراف على النساك فى الصعيد عام (٢٧٧م) وخط فى حياة الكنيسة القبطية مبدأ الرهبنة والعمل الجماعى . . . لأن الكنيسة حتى القرن الرابع الميلادى لم تولد وحياء الرهبنة لم تبدأ بعد بالصورة التى نراها اليوم . فقد عاش رجالها يناضلون ضد الظلم والتعذيب حتى خطر لسانهم هذا السلوك .

تعمل المسيحيون من الأقباط رسالة المسيحية والاحتفاء . . . الواحات والوديان وأوجدوا فسكرة الدير .

عاشت المسيحية فى مصر حتى القرن السادس والسابع الميلادى فى صراع مرير بين الأتراك من الحكم وبين التفسيرات الدينية بين كنيسة الإسكندرية ورومان وادى النصارى وكنيسة القسطنطينية وكنيسة الامبراطورية الرومانية الغربية . . . وحركة الرديئة الى طهرت ورفعت فيها كنيسة الاسكندرية ورجال وادى النطرون موقفاً مشروراً فى شريعة المسيحية .

نبذة عن ملوك السودان العظام

(كشتا - سبافون)

لم يترك لنا ملوك مملكة نباتا أو الدولة اللايوية أى كتابات حتى يمكن عن طريقها كشف التاريخ القديم أو حياة هذه الممالك ونحن لا نستطيع أن نقول أنه لا توجد كتابات أو أنهم لم يخلفوا لنا أى آثار . ولكننا لم نستطيع حتى الآن أن نعثر على آثار تدعنا تكشف لنا عن تاريخ ملوك عظيم رغم قدم الدولة اللايوية وصدافتها لدولة طيبة وتوسع هذه المملكة جنوباً حتى سنار والحبيشة والنيل الأزرق .

من أخبار مملكة نباتا نعلم أن كشتا ليس هو مؤسس هذه المملكة ولكن بما خلفه من الآثار نعلم أنه من أول الملوك العظام الذين وصلتنا أخبارهم ، إذ أخذ مصر من سيطرة الليبيين ومؤمرات الأسر المتعددة للحكم وتطاع الآشور والسيطرة عليها فقد وصلت مصر في قرابة ثمانين قبل الميلاد إلى حالة من التفتك والمؤمرات مما جعل استعباد السادة لبيت أولئك أمراً مستحيلاً وقد رأينا أسر كثيرة متعددة الأسماء تتطلع إلى حكم مصر حتى تقسمت مصر في عهد الأسرة الثالثة والعشرين المصرية (٨١٠ - ٧٢١ ق م) إلى أكثر من عشرين إمارة . سهل غزو مصر الدولة العظيمة التي اشتهرت إلى أمارات صغيرة من جراء الميوز والصراع على السيادة كما أن تدخل اللايويين المستمر في طيبة والمصارعة التي قامت بينهم وبين الأسرات المختلفة جعلتهم على علم بواطن الأمور في مصر كما أن اشتراكهم واعادتهم مع أكثر من أسرة جعل لهم نفوذاً عظيماً في مصر فقيدهم بالديانات المصرية جعلهم يحفرون على مصير هذه الديانات حتى وصلت

مصر في عهد الأسرة الثالثة والعشرين الصافية لتلك الحالة من التكاثر وكثرة
الأمارات فيها وتدخل الليبيين وتطلع الاشوريين للزحف عليها الامر الذي
جعل مملكة نبتة القوية المنيمة حاذية ديانته آمون تتحرك لتتقدم مصر وتوحد
وكان ذلك في عهد الملك العظيم بعنخي .

وأول ملك أثيوبي (سوداني) أعتلى عرش مصر وكون الأسرة الخامسة
والعشرين الاثيوبية (سباقون أو كشتا) الذي دار على بكروريس ملك الوجه
البحري وأحرقه وأخضع جميع مصر تحت ساطة ودانت له دولة تمتد من الدلتا
إلى النيل الأزرق وتمتد ..

ولنصف هذا الملك يجب علينا أن نرى الظروف العصرية التي كانت تعيش
فيها مصر والفتن الداخلية وأمر الامارات على بعضها وطمع كل ذي سلطة
قديمة في الملك حتى اضحى الوصول إلى الملك أو الامارة مغامرة من مغامرات
القرون الوسطى التي حدثت في أوروبا وانجلترا . جاء كشتا إلى أرض طيبة
والوجه البحري وشعب مصر يقف معه ويحبه لما أبداه من حسن ونظام
وعدل وطرد الليبيين من مصر .

وفي الداخل مازالت أطاع الأمراء السابقين ترادهم ولا يمكن أن ...
يصمت مثل هذا العدد من الطامعين في الحكم بالهزيمة . هذا في الداخل أما
خارج مصر فتمتد استجد به هو شع ملك اسرائيل وحذفا ملك يهوذا وكذلك
أمراء فلسطين من خطر ملك آشور الذي كان يستعد لغزو هذه الممالك إلى
مملكة آشور .

فما كان من كشتا إلا أن جرد جيشه وفاده بنفسه ودار تتبعه جيوش هذه

الممالك الا ان ملك آشور هزم بحيشه العظيم هذه الجيوش المنعده و فرقا
عما اضطر كشتا للعودة الى مصر لاسترجاع قوته واعادة النظر في خطته لهذا العذر

وفي هذه الاثناء انتهز امراء الوجه البحرى هزيمة جيوش كاشتا ضد جيوش
آشور فاعلنوا تمردهم وانفصلوا عن سيطرة كاشتا وتصددوا لاجيش الممزوم
وردوة الى طيبة حيث استقر واعاد النظام الى ملكيته الواحدة حتى توفي بها .

. . .

شيككو : (٦٩٨ - ٦٨٣ ق . م .)

خائف شيككو عنه سباكوا على عرش نيبانا وقد اعتلى العرش وما ذالت
أحلام مملكة مصر هي توحيد مصر ، وطرده خطر الآشوريين منها تراود
حكامهم . ولكن المنية لم تسمح لهذا الملك أن يستمر في الحكم إلا أنه بحسب
درايته عرف من يستطيع من أسرته اقيام بهذه المهمة الخطيرة بتوحيد البلاد
وتأديب الآشوريين غير أخيه الأصغر ترهاقا :

ترهاقا : (٦٨٨١ - ٦٦٢ ق . م .)

ظهر ترهاقا وهو يترك المسئولية العظيمة التي ولاها له أخيه شيككو
بالحفاظ على وحدة وادى النيل وطرده الأعداء منها والمحاولة لجدة شعوب
فلسطين والشام التي أخضعها الآشوريين قسرا . . . فما كان من ترهاقا إلى أن يعيد
الاهل إلى أمراء هذه المناطق ومحاولته إرسال المناديب وتأليبهم على الآشوريين
حتى أنكشفت خطته قبل أن تأتي ثمارها بما جعل أمر حدرن ملك آشور يحتار
له جيشاً لمحاربه . والقي الجيشان على الحدود وأهزم جيش ترهاقا وفشلت
خطته في إزالة خطر الآشوريين . ولم يترك الآشوريين جيش ترهاقا المنهزم
فقط ، بل تابعته حتى الشلال الاول . ولكن الملك الفتى لم يقنع بالهزيمة فعاود
الكره على جيوش الآشوريين حتى إقتنعوا بمنف وأستمر القتال بين الآشوريين
وترهاقا زمنا طويلا مرة ينتصر عليهم ومرة يهزمون عليه حتى تركه الآشوريين
مقابل أنارة سنوية . . وقد أحييت هذه الحروب أطباع أمراء الوجه البحري
من جديد .

وكان الوجه البحري مصدر قلق وازد لللدولة الأثيوبيه . خلال محاولة
بسط سيطرتها عليه .

ثانون أموت :

استلم السلطة بعد وفاة خاله ترهافا وكان ثانون كحال له شجاعا ذا أضلاع وطموح في إعادته توحيد مصر وطرد الآشوريين والليبيين عنها فجرد جيشا لطرد الآشوريين وقوبل جيشه عند طيبة استقبالا حاراً من شعب مصر ثم سار إلى الدلتا حتى دانت له ولكن الآشوريين لم يتركوه يهضم أمراء الوجه البحري حتى عادوا مرة أخرى بجيوش عظيمة لطرد الليبيين من مصر حتى أقنع ثانون أمون الهزيمة وعاد لمعاينة نباتا وبعده لم يتطالع ملك بعده لإعادة توحيد مصر بعد أن قويت دولة الفرس وأصبح خطرهما يهدد دولة نباتا فاقبضت بالسلام معها وتوسعت مملكتها داخل حدود السودان .

(دولة نباتا ومروى القديمة)

بعد أن همز على ملوك دولة نباتا الاحتفاظ بالسلطة على مصر حاولت إصلاح أمورها الداخلية والرقى بعبادتهم ومنشأتهم فأنشأوا المعابد والقصور وأصبحتوا حاضري الفراعنة بعد أن دخل الفرس مصر وأسماها معاملة مكانها وديارها ومعابدها حتى نهضوا على معظم معالم الحضارة الفرعونية .

أصبح السردان بعد عودة ثانون أمون ملجأ للفنون والفنون الفرعونية وبذلك اندخل الحكم في ازدهار هذه الحضارة على أرض النيل جنوبا وأقاموا مراكز لهم في جنوب نباتا وفي هذه المراكز الهامة مروى القديمة التي انقسمت الحكم مع نباتا وأصبحت هي المشرفة على المنطقة جنوب شندى حتى منطقة الجزيرة والنيل الأدنى .

دولة أكسوم المسيحية في الحاناب الشرق من السودان

تحدثنا عن علاقه السودان القريه مصر ، وقيام الحضارة العظيمة على النيل في الشمال وقيام دولة (نبالا) العظيمة لتزحف في القرن السابع قبل الميلاد لتحرر مصر من الاضطرابات وتبعد عنها خطر الاثوريين واللايين وتمسك بزمام ملكها طيبة ثم تستولى على الوجه البحرى . . .

وتابعنا قصة الحضارات والإمبراطوريات العظيمة التى ظهرت في الشرق ودخلت مصر وأبعدت عنها السودانيين . وذلك من قراءة الوثائق والآثار التى خلفتها لنا تلك الحقبة ولكننا لم نتطرق إلى شرق السودان والبحر الاحمر خلال تلك فترة حتى ليظل أن هذا الجانب من القارة الافريقية . كان مبعثاً معدوم الحياة والسبب راجع لالرغبة المؤرخين في تجاهل هذا الجانب ، ولكن لفقدان أد دليل يلفت النظر إلى ذلك الجزء من القارة الذى شد لانتباهها اليه في القرن السادس الميلادى ولإمهصاص الوثائق والروايات التاريخية عن حضارة عريقة في هذا الجزء من افريقيا والبحر الاحمر وعلاقته بالجزيرة العربية وخاصة اليمن .

تحدثت الوثائق التاريخية والآيات القرآنية عن دولة عظيمة لها من القوة والمادة ما يجعل تصور نشأها وتطورها إلى عدة قرون قبل الميلاد .

ظهرت دولة أكسوم وملكها ملك الملوك « غالب » الذى كشف تاريخه عن حضارة الحباشية وقدما وسيطرتها على هذا الجزء من إفريقيا وفرض سيطرة شعبها عن الامارات الديرية في اليمن .

وتحكي لنا قصة أكسوم وملكها « غالب » ان الاثوبيين كانوا يقيمون بأعداد

كبيرة في اليمن وأن المسيحية دخلتها في القرن الرابع الميلادي وهي في أوج مجدها وقوتها وأصبحت هذه الامبراطورية العظيمة على الهضبة الحبشية قائدة للتبشير المسيحي في أفريقيا وجنوب الجزيرة العربية وبل وفي السودان .

وإذا كانت الوثائق لم تكشف لنا حقيقة قيام دولة إكسوم بالمحرم على دولة مروي القديمة وتخريبها ولكن غير هذه الدولة على المسيحية ومحاولة بسط نفوذها وقرصنتها عبر البحر الأحمر على العرب تبين لنا أن الباعث الأول كان لتعظيم ملك الحضارة الدينية التي أقامت على الجزيرة العربية والنيل الأحمر الذي قاد لتعظيم تلك الحضارة الوثنية في السودان وممالكها وظهور مملكة علوة المسيحية بعد هذا الدمار الذي لحقته دولة إكسوم بمملكة مروي القديمة .

وتروى قصة ملك الملوك ، غالب ، ملك الحبشة بعد أن تعرض بعدد الأحباش المسيحيين للقتل باليمن ، أن أرسل قواته لليمن وقتل منها أعداداً هائلة من عباد اليهودية وبناء الكعبة تس في محاولة الجريئة التي ذكرها القرآن بقيادة قائد جيشه إبراهيم وعبدوره للبحر الأحمر ودخوله الجزيرة العربية . وهكذا لتعظيم الكعبة وفرض المسيحيين على العرب وقصة الفيل والطير الأبايل التي جاءت في القرآن والأماكن البعيدة العظيمة التي كانت لدى هذا الملك للانحراف في هذه الحقبة لليمن أو إلى مكة تكشف لنا عن مدى تقدمها وقوتها كما تكشف لنا وسائل النقل عبر البحر الأحمر كانت يسير ، والسفن تعرف عبر هذا المضيق ولم يكن هناك مانعاً أمام الأولين بل كانت الملاحة أمراً عادياً .

فشلت حملة إبراهيم قائد جيش غالب ملك إكسوم عام ٥٧٠ م . وعادت المحاربة إلى حالتها الأولى بعد هذه الخسائر ومحاولتها لمحاربة اليهودية في الجزيرة العربية تكشف لنا عن العلاقات العريقة بين القارة الأفريقية والجزيرة العربية

وخاصة اليمن ووجود أعداد هائلة من الأحباش باليمن وكذلك وجود أعداد هائلة من العرب بالحبيشة .

هذه المملكة القوية كان لها أثرها على الحياة السودانية في فرص المسيحية ديناً عليه بقوتها ووطشها ، وربما لولا محاولة المملكة أكسوم وتحطيمها المملكة مروى لما تقدمت المسيحية كثيراً في السودان كما يكشف لنا أهمية شاطئ البحر الأحمر وحيويته ونشاطه من قديم الزمن وقيام ممالك قديمة بالقرب منه .

وقد حاول العرب الاتصال بالقسطنطينية لئتمدها بالجيوش لتردع جنود أبراهام وتنقم منه بتهديم مملكته في الحبيشة إلا أن القسطنطينية لم تلبى طلب العرب واعتذروا بأن الملك غالب أخ لها في الديانة المسيحية ولا يصح أن تحاربه وتعاون من يحاول أن يحاربه ولم يفتتح العرب بهذا المنطق بل حاولوا الفرس ولكن محاولاتهم لم تنجح .

وأرسل إمبراطور الفرس لينفذ اليهود العرب بمحيشه تعداد أربعة ألف جندي واستطاعوا القضاء على كل الحبيشة المسيحيين الذين كانوا بالجزيرة العربية وتخلعوا الملك الحبشي الذي كان على عرش اليمن وبذلك انتهت المسيحية في الأراضي العربية لتفتتح المجال لظهور الإسلام بتعاليمه الجديدة .

ويظهر الإسلام في الجزيرة العربية وإسلام اليمن وسيطرتهم على البحر الأحمر ضعفت قوة دولة أكسوم الحرية بعد أن سادت علاقتها مع حيراتها من العرب : حتى كان القرن العاشر (٩٦٠ م) وقد وصلت حالة من الوهن والتدهور والتطاحن على اتاج الأسر الذي قادها إلى الخلافات الداخلية المكثيرة وشغلها منها هذا عن محاولة الامتداد أو التدخل في شئون السودان .

وظهر هذا الشقاق بمحاولة الأسر والمتعددة للوصول للسلطة كما صارت حالة الكنيسة وخضوعها لذلك وذلك بفرض رئيس عليها من أقاربه دون إعتبار للمكانة العلمية . الأمر الذي جعل علاقة هذه الكنيسة مع كنيسة الاسكندرية ضعيفة وجعل مكانة رؤسائها مشكوك فيه وسرى عليها النظام الذي كان ساريا في وسط أوروبا .

محاولة ملوك اكسوم لإخضاع الكنيسة لسيطرتهم واحتفاظهم بسلطانهم الآلهية القديمة على الشعب جعلتهم يدخلون في شئون الكنيسة ويساءكون نفس الأسلوب الذي اتبعته الكنيسة الإقطاعية في أوروبا . الأمر الذي أقل من هيبة الكنيسة وأحط في شأنها الديني والعلمي حتى ضعفت وأصبحت غير قادرة على حماية المسيحية وذلك كان واضحا في البعث التي أرسلتها كنيسة علوة من البشريين لطلب العون العلمي من كنيسة الحبشة هجرت عن تقديم العون العملي لرهبان كنائس سوبة وحاولت الاستنارة بكنيسة الاسكندرية كما جاء في الروايات التاريخية وإنما هو تبرير للرفض . . . وأقرت عدم تقديم العون لهذا التبرير بعدم موافقة كنيسة الاسكندرية حتى اليوم .

السودان بين الركود والعزلة بعد القرن الثالث الميلادي :

آخر الاخبار التي وصلتنا عن السودان هو دخول بعثة التبشير المسيحية الارثوذكسية وتمهيدها ملك علوة وأفراد أسرته وحاشيته ودخولهم في الديانة المسيحية في القرن السادس الميلادي ولقد نقل المناهضة السودانية من جوار مصر إلى داخل السودان إلى سوية وبذلك إهتمت عن أخبار الحياة والنشاط السياسي الذي كان يربطها مع مصر . وتركت مصر إلى تنفصل عنها في أمورها السياسية إلا أن وهدت قواها وكثرت فيها الجيوش الاجنبية وتغيرت الملامح الحضارية في مصر بدخول نفوس والاعريق والرومان من القرن السادس قبل الميلاد إلى القرن السابع بعد الميلاد . ثلاثة عشر قرناً وهي خاضعة لتأثير حضارات هذه الشعوب حتى بعدت الشقة بينهما وبين السودان وأصبحت الماديات والمعادن تخفف . وذهبت الممملكة السودانية بهذه الحضارة الفرعونية بعيداً عن هذا التأثير السامى والإغريق والرومان والمسيحي . ولأنهم صلت الحضارية وأعصرت حصاراً النيل القديمة داخل السودان وانجحت آثارها رمظاها من مصر ، إلا أن هذه الآثار الباقية التي لم تعد تشد إليها روح المواطن المصري بعد أن فرضت عليه العبادات الرومانية والمسيحية إلا غيرة ملك السودان التي لم تقف سلمية عن مصير هذه الحضارة الأم . وقد رأينا في أوائل القرن الأول للمسيحي محاولة النوبيين لاسترداد طيبة والصعيد مرة أخرى إلا أنهم نالوا ما يستحقون من العقاب وادخلة في تلك الدولة الرومانية التي يستعان نفوذها وحضارها على البحر الأبيض المتوسط بمجمل ملك السودان يوفقون التمهيد مرة أخرى في العودة لئلا هذه لمحاولة مع الامبراطورية الرومانية .

ثم ظهرت المسيحية والسودان يتبع الأحداث في مصر ويشارك في إلهواه المصريين المسيحيين . ثم قبل المسيحية ديناً له في القرن السادس الميلادي وبدأت

الصلالة تقوى من جديد يربط ملوك الممالك السودان بكنيسة الاسكندرية وملوك مصر ، إلا أن هذه البداية لم يكتب لها الاستمرار إذ ظهر عمر بن العاص في القرن السابع الميلادي وفتح مصر وأشر الدين الإسلامي بين ربوعها وانتشر الجند العرب يحرسون المدينة الإسلامية . . . وصمت السودان إلا من محاولة النوبة وملك دنقلة للوقوف ضد هذا الدين الجديد الذي جاء ليغير ديانة مصر المسيحية بعد أن اعتنق السودانيون المسيحية ولم تعمّر أكثر من قرن يأتي هذا الدين ليفرض عليهم ديانة جديدة بعد أن عدلوا من عباداتهم الوثنية بالديانة المسيحية بجوارح للتأثير العام الذي حدث في وادي النيل وأصبحت الديانات المزعومة غير قادرة على مقاومة تأثير هذه الديانات السماوية .

ووجد العرب السودان الشمال غير مغرى لبقاهم لضيف النيل في تلك المنطقة وشراسة أهله غير ملائم لبقاهم ولحياتهم البدوية القديمة وهادروا بعد أن ضمنوا ملامحة إقامة الشعائر الإسلامية وعادوا وتركوا السودان المسيحي عن مصر المسلمة المسيحية الوثنية . . فالديانات الوثنية القديمة ظم نقرط كلية في حياة المسيحية حتى ظهور الاسلام ثم عمت المسيحية أراضي واسعة ولم تتمكن من القضاء نهائياً على الوثنية وإذا بالاسلام يطهر على أرض الدلتا والوجه البحري ، فانقطعت للعلاقات بين السودان وبين مصر التي باتت تحت أيدي المسلمين العرب وانزوى حكم دنقلة بعد المريمة التي متواها في عهد عبد الله ابن السرج في حين عاشت الممالك الجنوبية في خوف من وصول جنود هذه الدولة الإسلامية التي نشرت نفوذها على كثير من الشعوب ولم تحاول الممالك المسيحية في نبالنا أو مروى محاربة هذه الدولة العظيمة بل قاد ظهور هذه الدولة في تغير عواصم الممالك المسيحية السودانية فانتقلت إلى الجنوب وأصبحت سوية عاصمة الجنوب وسيطرت على أملاك الدولة القديمة على النيل الأزرق والجزيرة المحصورة تلك المنطقة من شمال السودان . الاسم الذي قاد لكافة سكان منطقة

النيل الأزرق والجزيرة دون غيره من مناطق النيل التي كانت فقيرة في السكان بعيدة عن بعضها ، تعداد سكانها بسيط ومبانيها قليلة وتعيش على ضرائب "تجدة" أما عطبرة فلم تكن موحدة غير خيام بعض الأعراب في أوائل قرون "تاسع عشر يعيشون على الرعي وفي حالة من الفقر والاعتماد على خدمة بقرافل التجارية ثم الدامر مدينة المجاذيب وعيشة سكان هذه المناطق .

يقول حوب لويس بوكهارت الذي زار هذه المنطقة سنة ١٨١٤ م ويمكن من وصفه تصور حالة هذه المنطقة القليلة السكان إلا على ضفاف النيل قبل ظهور العرب المسلمين . ولهم في الشمال وتعمير سهول لبطانة وإستيطان لنيل يقول مقرن (نهر عطبرة) وهو الحد بين إقليم رأس الوادي والدامر . ورأينا السواقي على ضفافه الخثرية ترفع الماء من البرك ودلنا ترتيب الحقول هنا ونظامها . ووجود لمساقي الصغيرة على أن الزراعة تلقى من "عناية قسماً لا تلقاه في الأقاليم التي جزناها من قبل " .

والدامر قرية أول بلدة كبيرة قراءها خمسمائة بيت من السكان وهي نظيفة تفضل في شكلها بوير لما فيها من مبنى حديثة ولحلوها من الخرائب وفي بيوتها شيء من التنسيق وشوارعها منتظمة وتنمو في كثير من أرجائها الأشجار "لوارقة" الخلال ويسكنها عرب من عشيرة آل المخدوب ويردون صلهم إلى جزيرة العرب وحلهم من رجال الدين أو "فقراء وليس هم شيخ يتزعمهم بل فقيه يسموه "مقيي الكبير" وهو لرئيس "معي ولقاضي الذي يفصل في خصوماتهم . وليس في البلد سوقاً يومية ولكن فيها سوقاً أسبوعية يعرض فيها كل تاجر بضاعته . وذكروا أن المبيع في الماشية فيها كثير وأن الحصر الدامرية لمصنوعة من خوص الدوم تلقى رواجاً كبيراً في البلاد المجاورة كلها .

أما شندى فيقول عنها بوكهارت (أكبر بلد في شرق السودان بعد سنار

وكوني بشارفور ويقوم التجار إليها أكبر من عاصمتي دقيقة وكردان وتتم من عدد من الأحياء تفصلها عن بعضها البعض الميادين العامة أو الأسواق ، وقوامها ثمانمائة بيت إلى ألف وهي مبنية فوق سهل الزملي عن نحو نصف ساعة من "ساحل الرمي" وتشبه بيوتها بيوت بربر ولكنها أعمر منها بالماني الكبيرة وأقل منها ضرائب .

هذا جزء من صورة المدينة والحركة التي سكنت "شاسي" وسعود لذلك في فصل مفصل ولكننا لو أردنا أن نتصور حالة هذه المنطقة والمناطق الأخرى من العمر قبل ألف سنة قبل دخول "عرب سليم" ولما ظهر فيها ويظهر لنا اعتماد هذه المنطقة "سيلية" على التجارة وشجرة فشنق ساحر مع بربر ودقيقة وسار وهي أكبر مركز تجاري وسط "كردان" وكذلك مع شعوب دارفور ووقوع شدي في وسط السودان وعن أرض يدي خصبة وأرض رعيه أكثر من لشال جعل لها هيبتها من قديم الزمان وهذا ما يبدو واضح من مدينة مروى من مدينة المحورة لها تحتل هذه المنطقة الغنية بالأراضي الزراعية والصناعة للرعي المسيطرة على طرق التجارة .

وهذه مرة أخرى إلى حالة الكود والحركة التي سادت السودان في تلك السبع الميلادية إلى قرون لم نعلم الميلادية وفي رأينا تأثير الأحداث في مصر في حضور الأولى كان له تأثير مباشر على السودان وكانت أهداف سودانية لتدعيمه تحاول أن تكون غاشية مصرية من حدود المملكة المصرية ولكن هذه الحصان مصر ودخول حرب الإسلام في ذلك قعت تلك السودان في حلف داخل السودان وذلك بعدت عن شمس مصر ومشاكها وهذا هو الكود والحركة إلى هذه نصيب الممالك المصرية القديمة وإلحاقهم إلى سولات عبدة داخل "سودان" الأسس وكانت وحدة القوة القديمة التي كانت تقوم القويحات . وهذا "التفكك" التي لانسك نتيجة لتوسع أفراد الأسر الممالك خلال

الثقة المسيحية ، مما ساعد على ضعف سيطرة الملوك على سكان السودان نتيجة للحلافات الداخلية بينهم . فقد كانت مبادئ الوثنية امريعية حتى قرن السادس الميلادى تجبر الأفراد على عبادة الملوك وتوجهه أن 'آلهة آمون وكانت للملوك سلطة روحية على هذه الشعوب فجاءت المسيحية تحرر العقول من هذه السلطة الوثنية وعادت للناس حرية "عبادة الأمر الذى كان له أكبر الأثر فى تفكيك الدولة الوثنية بعقدانها سلطان روحياً قوياً على الناس وبذلك قل ولاء الناس المطلق للملك و"عبادات الوثنية ، كما تدخلت الكنيسة فى كشف جانب كبير من الحياة الروحية والعقلية لهذه الشعوب منها حياة الدير والرهبة وسماعهم لأول مرة مثل هذه الآيات المسيحية :

- (١) بالحقيقة تؤمن بالرب . .
- (٢) الله الرب ضابط الكل . . .
- (٣) خالق السماء والأرض مارى وما لا يرى . . .
- (٤) تؤمن رب واحد يسوع المسيح بن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور . . .
- (٥) الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا . . .
- (٦) الذى ليس للملكة إنقضاء . . .
- (٧) تؤمن بالروح القدس الرب المحي . . .
- (٨) وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى .
- (٩) ونعترف بمعمودية واحدة لغفر الخطايا .

مثل هذه الآيات الكريمة من الانجيل كان لها ولاشك تأثير بلغ على التفكير العام عند الناس . فقد كانوا يؤمنون بالاساطورة والوهية الاصنام والبشر وإذا بهذه الآيات تفتح لهم أفقا جديدة في التفكير للحياة والآخره وتعيد لهم إنسانيتهم وفرديتهم وحريتهم من التبعية لآى فرد . مثل هذه الافكار الواردة فى تلك الآيات الكريمة . لاشك خلقت نوعا من الانفصال والتعرد وعدم الطاعة وفصلتهم من حياة المسخرة لأن طاعة الملك كانت عندهم طاعة الالهة وأرضاءه هو ارضاء الالهة وذا بهذا الدهن الجديد يفتح لذهنانهم لعالم الحق وعبادة صحيحة تذهب إلى اله واحد خالق لكل هذا الكون

كان تأثير هذه الآيات ليس وفقا على عامة الشعب ولكن على الملوك الذين أول من آمن بالمسيحية وأفتح عندهم حقيقة الحياة وإنكشف لهم نور الحق ولاشك إنهم تأثروا حتى لمنهزت ادمهم للتكفير عن خطاياهم السابقة وتسخيرهم للبشر وإقتنعوا بالايان بمعاملة الناس بالحسنة واللين ومايرضى الله وقلة مطامعهم فى الدنيا وأنشغلوا بالعبادة ومعركة أسرار هذه الآيات التى فتحت أذهانهم للحقيقة الكاملة مثل هذه الآيات (الذى به كان كل شيء) وأيضاً بأنى من مجده لبيدين الاحياء والاموات ، وكذلك مثل هذه الصلاة « يحيا البشر الصالح ، سيدى يسوع ، لطامب إليك لانظرحنى عن شمالك مع الخطاة . ولا تقل ايضا أننى لست أعرك ، اذهب عنى يا مستعد للدار الابدية لا لأنى أعلم بالحقيقة لآنى خاطى . : أمتحنى يا رب توبة كي أنوب قبل أن يخلق الموت فآى فى أبواب الجحيم وهذه من الصلوات الخاصة بالرهبان التى كثيرا ما كان يسمها أهل الحاشية ولا مكانية البيت المالك دخلت المسيحية عليهم واثرة فيهم قبل غيرهم فى قلوبهم وتمكيرهم حتى شغلته بخطاياهم وأثامهم والتكفير عنها .

دخلت المسيحية وفتحت العقول نحو الحياة الابدية والخطايا والغفران

وشغلتهم عن مكاسب الدنيا والتموجات وقل بذلك نشاط الحياء اليومية لانشغال الناس بالعبادة والخوف من العذاب في الحياء الأخرى مما شجع لصرف الأموال في سرعة فائمه لبناء الكنائس والأديرة واحترام الرهبان والمتعبدين وشاركت الكنيسة العامة بتصويب وإفر في هذا العمل المفيد في الآخرة .

ملأ الإيمان بالله قلوب الناس والملوك وأصبحوا يتسامحون حسب وصايا الرب في كل شيء . حتى مع العرب الازحين من الشمال ببشائر دينهم الجدد . وترك لبقية الناس حرية العبادة ولم تفرض عليه الديانة الجديدة وما جاء نقلا عن « جكنسن » في عهد السلطان عميد القادر الذي خلفه للسلطان عميرة حوالي ١٥١٧ م أن أهالي جبال موبا وشندي ظلوا يقدمون عطاء كل عام قربانا للالهة كي لا تمنع عنهم المطر وذلك نقيحة للتسامح الديني الذي جاءت به المسيحية .

هذا يكشف لنا الوضع العام للحياه الاجتماعية والحرية التي تمتع بها الأفراد بعد دخول المسيحية ورغم أن السودان كدولة موحدة لم يظهر ويهتم بالاحداث الخارجية إلا أنه الحركة التي خلفها العرب والاسلام في الأراضي المجاورة قادت لشل هذه الحركة رغم تعرض السودان لكثير من المناوشات من الشمال والشرق بما قاد لتدهور الممالك السودانية من ظهور بمالك إسلامية جديدة لم تستطع إخراج السودان من عزله وتفاعله مع الأحداث نتيجة الاضطراب التي عمته الشرق وأريقيا وسنحاول أن تتبع الحياه قرنا بقرن حتى يستطيع نملا هذا الفراغ الذي أوجده الكتابات التاريخية .

دخلت المسيحية السودان وفي الحضارة الفرعونية في السودان يتدهور بتدهور الدولة وضعفها ، وإنقسامها وانفصالها عن أرض طيبة وأصبحت الحضارة الفرعونية معزولة عن أرضها الأولى وذهبت تجوب أرض

أسودان حتى وهنت قواها ووقفت حركة الساء والتشبيد التي هي عهد العبادات الفرعونية وحضارتها .

كانت عبادات الوثنية الفرعونية هي الحافز الأول لاردهار "بين يده الحضارة القمية وهذه التماثيل الخمسة وهذه المعابد العديدة . عرف الإنسان الأول "من كأجل شيء ممكن أن يؤثر ويربح الفرد ويطور هذا "من بعد أن أصبحت الآلهة قطعة قمية . وكان لوما عن "الساغ" في خلق هذه الآلهة في أسبع صورة قمية . وكان سابق لهما لارصاء الآلهة وبمراعاة "الكهنة" هو المدافع الأساسي هذا المتطور التي أنى ملأ البين وفاق حد التصور في تلك العصور البعيدة حتى تطور وفاق كل العمل الأساسية الأخرى .

شطت حركة "من في تلك العصور من جادب مواهب الإنسان الأخرى ولكن الآلهة كانت هي اسمى ما يتمسه إنسان ليل . أن ترضى عنه الآلهة . . وكانت دنية لسان أن ترضى عنه الآلهة ليحدها ويضعها تماثلاً أو يرضى عنه المحدث أو الكهنة باعتبارهما يمثلان الآلهة ورضاهما جزء من . صاء الآلهة . وكان الأساغ ضمورة أو حدها هذا الحافز وهذا الحب وتشر الص في كل أرجاء ليس وأصبح عمل التماثيل الكبيرة "الصغيرة هواية وأمية لكل ود . وهذا تكشفه لنا الأعداد الخمسة من التماثيل الصغيرة بالآلهة بن خلقها لما تلك الحقة من الحضارة . . وقد قال المؤرخ الإغريقي هيردوت الذي زار مصر في اقرب الزمان قبل الميلاد أن المصريين يتمسكون بدينهم وعاداتهم رجة بالغة ويموت المراسيم أكثر من أى شعب .

هذا ما قاله هيردوت الذي رأى المصريين وحدهم لعباداتهم وهو تصور بسيط لمحاولة تتى كان فيها الإنسان على سبيل . فقد كانت "عبادات" بها

عبادة الآلهة والملوك وسكوتهم هي "قوى" المسيطرة على طاقة سكان النيل وكان
سكان النيل عجبية طيبة في يد "الفر سنة" وسكوتهم لتسخيرهم هذا التسخير وتقديم
آلاف ضحايا لتقديم بقول الأحجار المذنب في ذلك الوقت الذي لا توجد فيه
الرافعات الحديثة والإمكانات التي لدى الإنسان الآن .

طلت الآفة هي "قوى" المحركة واستطاعت على طاقة الإنسان وكان "نعم" هو
ضرب الآلهة فأبدع إنسان النيل ليرضى هذه الآلهة وقامت المعابد في سنة ورومين
وإبرك . . . وبقيت آثار بركل تكشف لنا روعة فن تحت والبناء الذي يكاد
لا يوجد عند إنسان عصر نابل يكاد فن تحت لا يوجد عند الآن لا شك
الروعة ولا بأقل منها لا يحط به هذا فن من عصور ساحقة قديمة منذ ظهر
المسيحية في وجدت الحضارة الفرعونية قد وقفت ثمها في مصر وعلمت سائر
الحضارة الرومانية وحت محالها إلا من المحاورس للمعبد القديمة والذين حافظوا
على عباداتهم الوثنية وسكن رعاية الملوك لها وتسخير إمكانيات الدولة لمديته
لأن في هذا قد وقفت وكذلك الحال في "السودان" بعد أن سقطت حضارة
الفرعونية في مصر تحت إغرام الحضارة "الترسية" والإغريقية والرومانية التي
تقلت تبها . ووقفت عنده حركة "النقد" التي ، وأصبحت المعابد القديمة كافية
لنقصاء العبادات وقامت حمية الناس لآلهة العبادات بعد أن سقطت مديش آلهة عباداتهم
تحت تأثير عبادات أخرى كما قلت تبها أنه كالتسخير ليس اسم والتعبير
حتى قلت لا بد من المراهقة . وضعفت تبها الناس الرغبة في صنع الآلهة بنفس
الجنس "قديم" حتى جاءت المسيحية من زيادة اللاهوت ، وهي تعين بتسميها
الحديد لإيقاف صاعقة تهايش والمذهب والمذنب فن تحت في "السودان" ، وبشرت
لا بد من على طول النيل وبشرت تعاليم المسيحية تحرم عبادة اللاهوت وبذلك
وقفت فن تحت في "السودان" ويمكن أن نؤرخ لبدية وقوف هذا فن من
القرن السادس الميلادي أيتم ملك سوسة بالمسيحية ، وبأيمان المسيحية فقدت

العبادات الوثنية مثلها وهو المذبح والذي كان يجبر الساس على إنشاء التماثيل
وقيام المعابد . . .

وربما ظل بعض الأفراد على عباداتهم الوثنية يصنعون تماثيلهم الصغيرة
ولكن هـ — هذه الحالة لم تكن كافية للاحتفاظ بالثقافة التي نشأت في حضن
العبادات الوثنية .

جاءت المسيحية ولم تؤثر في الحياة العامة كثيراً مثل تأثيرها على إيقاف تطور
الفن — جاءت المسيحية وعادات أهل السودان القديمة ما زال منها بقية حتى الآن
ولو نحن تابعنا ما قاله هيردوت — لن وصل إلى جنوب مصر في القرن الرابع
الميلادي وما سجد عن عادات وأخلاق أممهم إلى لا تحف في كثير من عاداتها
عن عادات أهل السودان على أرض النيل .

عادات أهل مصر في العصر الفرعوني

إن معظم اخلاقهم وعاداتهم منافض تماما لاخلاق وعادات غيرهم من البشر فقدم نساءهم الاسواق وبتاجرون ، بينما يمكث الرجال في البيوت أمام الأنوال وبينما يتبع بقية العالم في النسيج أن تكون اللحمة فوق السداة فأن المصريين يجعلونها أسفلها . كما إن النساء يحملن الاثقال فوق اكتافهن بينما يحملها الرجال على رؤوسهم . ويتناول المصريون طعامهم في الطرقات خارج بيوتهم وبأروى الى بيوتهم للأغراض الخاصة وحجتهم في ذلك أن العمل غير اللائق والضرورى في وقت واحد يجب أن يتم في سرا أما الامور الحالية من أى شىء غير لائق والضرورى فيجب أن تحدث في الطرقات علنا ومحظور على المرأة الاشتغال باعمال الكهنة سواء للإلهة أو للربات في حين يقوم الرجال بوظيفة الكهنة لكليهما ، ولا يلزم الابناء بكفالة والديهم الا باختيارهم — أما البنات فلزمات بذلك سواء كان هذا برضاهن أو على كره منهن .

يطبل كهنة الدول الاخرى رؤوسهم أما كهنة المصريين فيحلقون رؤوسهم ومن العادة في جميع بلاد العالم أن يحلق الناس شعورهم حداً على الاقارب اما المصريون الذين من عاداتهم أن يحلقوا رؤوسهم في الحالات العادية فيتركون لحاهم وشعورهم ورؤوسهم تطول عندما يموت قريب لهم ويعيش الناس في البلاد الاخرى بهزل عن الحيوانات ولكن المصريين يعيشون دائماً مع الحيوانات وتتخذى الشعوب الاخرى بالشعير والقمح بينما يعتبر المصريون ذلك عاراً أى عار ويتغنون بالذرة الهندية التى يطلق عليها البدض اسم ذبا ويعجنون الدقيق بأرجلهم أما الطين فيحلقونه بأيديهم كما يحملون القاذورات والتراب بأيديهم ايضاً وهم الشعب الوحيد في العالم الذى يعرف الختان ومن يعرفه من الشعوب الاخرى

فقد تعلمه من المصريين ويابس رجالهم ثوبا من طاهتين إما ثوب النساء فمن قطعة واحدة كما يلبسون الخوانيم ويربطون حبال الاشرعة من دانتها رما غيرهم ويربطونها خارج الشراع ولا يكتفون كما الاعريق من اليسار أو اليمين بل من اليمين الى اليسار ورعاهم هذا يصرون على انهم يتجهون نحو اليسار ويتجهون نوعين من الكتابة ويطلقون على أحدهما اسم « المتدس » وعلى الثاني اسم « العادى » .

ويتمسك المصريون بدينهم الى درجة بالغة ويتلون المراسيم اكثر من أى شعب آخر ويتبعون هذه المراسيم - يشربون في أقداح نحاسية .

ويجلبونها كل يوم ولا يشد عن هذه العادة أحد قط ويلبسون ثيابا من التبل يحافظون دائما على أن تكون منسوجة حديثا ويحاولون الختان بقصد النظافة مفضلين أياها على حسن المظهر . ويحلق المكهنة جميع جسمهم كل يومين حتى لا يعلن به القمل والافئدة الاخرى . وهم يقومون بخدمة الالهة . وثباتهم كلها من التبل وأحبتهم من نبات البرد ولا يصلح لهم أن يرتدوا ثيابا أو أحذية من مادة أخرى غير هاتين ويستحمون مرتين يوميا بالماء البارد ومرتين في كل ليلة وعلاوة على هذا العادات لهم الاف من العادات الأخرى .

وقد استرعى هيرودوت عدم تعسف الفلاح المصرى في سكن مع أعمامه . وجميع رؤسها بأيديه والاستعداد منه وخط "طين" بأيديهم كما قال أنهم "شعب توحيد" الذى يعرف الختان وهذه العادات التى مرت عليها الاف سنين تكاد تجددها عند "فلاح المصرى" . وقد معظم سكان السودان لم كان خصص بالختان فرعونى الذى ما زلنا نحفظ به في الأقاليم أو غيره . وهى لا تدرى ما هو تاريخه أو ماضيه .

بقاء معظم هذه التقاليد القديمة ولأنى لا أساير التطور ولا معالم الأديان .
تكشف لنا عن حقيقة هامة وهى أن إلهزم الحضارة المصرية لم تكن إلهراما
لكل عاداتها وأخلاقها . كما يكشف لنا أن تعاليم "كديسه" التى دخلت قبل
الإسلام لم تكن بالتوسع والانتشار حتى تطور تلك العادات والتقاليد . وكان
يجب أن يحدث هذا . أن نضيف الأديان إلى حضارة الشعوب ثقافة وعصر
وبعث ، والذنب ليس ذنب المسيحية أو دعائها أو رسالتها الذين دخلوا السودان
ولكن ظروف هذه الدعوة فى السودان ولأحداث التاريخية فبعد قرن من
دخول قبائل السودان وظهر الإسلام أصبح لكل أديان ، وأصبحت مصر
دولة إسلامية ، وانعزل السودان عن حركة مسيحية فى لعالم حيث كان لها
سد عالمى لشرها والدعوة لها بعد أن استقرت فى شرق البحر الأبيض
واعترفت بها قياصرة الروم .

جاء الإسلام إلى أرض سين والمسيحية ما زالت فى مهدها فى السودان
تمارس تعاليد بصعوبة فائقة ، فكثيرا باللاتينية والقبطية بخلاف لغة أهل
السودان وكثيرهم المروية القديمة . وتخرج رهبان من أهل السودان كان يتطاب
رما ليس بلهين ودخول الدعوة المسيحية عليهم ليس بالامر اليسير . ولكن
رغم ذلك لايمان موت دمنة ودعوة بالمسيحية ، توسعوا فى إنشاء الكنائس
وقامت الأديرة بجوار كنائس . لكن التدبر فى السودان حسب طرزه
دخول المسيحيين لم يجذب الناس اليه كما كان فى مصر ، فقد اضطهد المسيحيون
فى مصر حيث دفعهم الاضطهاد لاختد سلوب خاص فى لعبادته . . . ما فى
السودان فقد دعى ملوك علوة ودقة لهذه الديرية فكان أمرهم اصعب لمش
الدعوة ثم ترعب الأفراد فى أحد حياة الدير كروع من السمو فى العبادة .

عمدت الديانة المسيحية على تحرير العقل السودانى من تسلط الملوك

والكهنة والعبادات الوثنية وفتحت له الحياة من جديد ليأخذ بمنهزم حديد
بجلاف ما توارث عليه الأجيال . ولكنها عجزت أن تقف بجأبه وتسد
له هذا الفراغ الكبير الذي حدث في نفسه بعد عودته لتلك الأرواح والتمسكين
فيها لم تكن لمكانيات المسيحية بالقدر الذي يتيح له أن يعلم سس جميعها
تعاليمها أو المغة الجديدة التي جاءت بها الديانة .



أحد أفراد قبيلة الشكل التي امتد نفوذها في العمود القديمة
إلى أرض الجزيرة . .

الريثة كانت من أجل الأشياء المحبة إليه . . تكشف عن
طبع رقيق وغم الصرامة البادية عليه .



«عائید الاقریبه» در خانه صمیمه خانم و خانمها. نفر دس و بیست
 «شش» یازده لایحه انجمنی. بیستون خارج انجمنی در حدود



استخدام الآلات والحراثت في مصر القديمة.



کتابخانه عمومی و مدرسه و کلاس درس و کلاس درس و کلاس درس
در این تصویر به یک دوره از زندگی مدرسه و کلاس درس و کلاس درس

الكنيسة وماقدمته للحضارة في السودان

وفيل الإجابة على هذا السؤال يجدر بنفسنا العودة إلى نشأة الكنيسة في الاسكندرية ووادى النطرون وعلمكك بوردبا ونشأة الأديرة والنظم الكنسية في مصر والعالم الذي استقار بخبرهم وتعاليمهم :

بعد الاضطهاد الذي رجمه المسيحيون بمصر ومحاربة أباطرة الاسكندرية وقيصرية الروم للمسيحية وقتل كل ما يمسق هذه الرسالة التي تحالف تعميمهاهم وآلتهم لجأ معظم المسيحيون إلى الجبال والوديان والكهوف للمباداة والتمسك سالكين في ذلك مسلك المسيح وحياة الوحدة والصوم والصلاة جعلتهم مثلاً يحتذى به بين الافراد لمسيحيين وأوضح ذلك في رسالة بولس الرسول إلى الكورنثيين حيث تضمنت رسالته إليهم تفصيله لهذا النوع من الحياة وإن لم يكن أمراً هم ولاكنهم كان دعوه لأفضل الطرق للحياة المسيحية كما تصورها حين قال (إنى أريد أن يكون جميع اناس كما أنا) أى أعزب (وأكرس لكل واحد موهبته الخاصة من الله الواحد . هكذا ولاخر هكذا وليكنى أقول لغير المتزوجين وللكرامل أنه حسنهم اذ لبثوا كما أنا - ذن من تزوج غشنا يفعل ومن لا تزوج يفضل أحسن .)

وبهذا المفهوم للمباداة خرج المضطهدون في المسيحية من المدن المصرية إلى الصحارى والجبال ولم يكن في خلدكم لأنهم يرويه هذا والنجاهم للوحده من الظلم والبهش والعيش على الكفاف سيحسون المباداة العامة للحياة المسيحية ووجال الكنائس في المستقبل .

وقد أكثر عدد لرجال المحرمين والجبال يؤدون صلاتهم وصومهم وشعرهم

الدينية كل في ادى منفرد بمبدأ عن الآخر .

وقاد الضنط والارهاب الى ازدحام هذه الاودية ومنها وادى المطرون وجبل تريا وسليا وبرية شبيب والصحراء الشرقية وسفنا والصعيد حتى وحد هؤلاء النساك المذاهدون في الحياة في وقت ما أنهم قد ملأوا الاودية والصحاري بعضهم في النسك والعبادة أن دفعت بالكثيرين الذعاب إليهم لتخليصهم حياة النساك والوحدة والعبادة . وكانت هذه أول خطوه ليلاد تعالم النساك والرجعة في العالم وأزداد عدد المسيحيين الهاريين كما راحت سيرة هؤلاء النساك من الدين بشو' الآخرين في هذا السلوك وجعلهم مثلاً أعلا للراغبين الدين إنهموا حولهم طاباً للصحية والارشاد أرويض الجسد على تحمل جوع وانقشع وتكران الذات والشبوات الجسدية .

وكان وادى النظرون هو أول مدرسة يجتمع فيها هؤلاء التلاميذ حول المشايخ من النساك ليخطروا لهم المسيحية ومستقبلها .

وما يذكر إن القديس أنطونيوس (٣٥١ - ٣٥٦ م) هو المشو' الحقيقي للنظام الرهباني بعد أن مهد له ما سبقه من النساك .

وقد ذهب الشاب أنطونيوس إلى الكنيسة فسمع تكلم بشو' من لاجل ، ولكن آية واحدة وقعت في نفسه وملاكت عليه فمكره وهي (إن أردت أن تكون كاملاً فذهب ربع كل مالك وأعط الفقراء وقم أنتهم ويكون لك كنز في السماء) فما كان منه إلا أن عمل بإساءة في ليله وراح يملكه وقسمها للفقراء وشرع إلى شكل ثوب من قريته وبنا له كوخاً إلى جوار الشاطئ يدرس نفسه

على حياة السك والعزلة . . . ولكنه لم يقم بهذه المنطقة طويلا لوجود كثير من النساء بالقرب منها . فرحل إلى المقابر ثم في حصن مجهور في منطقة يسير على الصعدا الشرقية على النيل . . . وكان يمدد بعض الناس بالحطب الجاه ثلاث مرات في العام دون الاتصال به وجدت شهرة القديس أنطونيوس كإير من التلاميذ إليه ولكنه لم يقم في هذا المكان طويلا فقد أشرك في تشجيع المستشهدين والمسيحيين الذين لهموا حفيظهم حين هدمت الكنيسة وأيق المسيحيين أكثر عار القتل والاستشهاد ثم ارتحل القديس أنطونيوس إلى الصحراء الشرقية . وهناك بجانب الصحراء والوحدة شغل نفسه بالزراعة . . . ووجد القديس أنطونيوس بعد درس وجهد أن المنطقة قد امتلأت بالأممشر والأكوخ من تلاميذه الذين لم يروا أن يعدوا عنه . . . فاعتذر إلى الرعيخ لرغبتهم ليزودهم من مجاربه في حياة النسك والوحدة وهكذا كانت المسيحية في مرحلتها الأولى هو اكتشاف الأسلوب المناسب لترويض الجسد والروح لعبادة ، فرضته ظروف ظلم والاضطهاد الروماني للمؤمنين ثم طور هذا النظام الراهب بباخوسوس الذي أشرك في الحملة التي جردها الامبراطور قسطنطين الإضضاع إلى الحبشة المتمرد . ولما عاد بياخوسوس من الحملة ذهب إلى قرية تبس قرب قرية معا ومات أن اجتماع الرهبان حوله وبدأت لأول مرة حياة الشركة الجماعية للرهبان وحاول بياخوسوس إلى حظ تلاميذه ونظام الجماعة . . . وسمى المكان الذي اجتمع فيه جماعة من الرهبان باسم الدير . وفي داخل الدار وضع لهم بياخوسوس نظاما دقيقا لحياة الرهبان . وأول هذه الواجبات الطاعة لعمياء الرئيس . ووسع هذا الدير حتى وصل عدد الرهبان به إلى ألفين وخمسمائة عاشوا حياة جماعية لأول مرة في حياة المسيحية وبدأ التوسع في الأديرة عن نظام هذا الدير الأول .

وتم الالام بباخوسوس الخدمة في داخل الديرين ثم عنه كل حسب قدرته الجسدية منهم الخبازين والخبازين والفرجية والعمادين والمعين من الشيوخ

الورعين وبيت لضيفاوة يشرف عليه راهباً ورعاً يستقبل الراغبين في حياة الدير
وسمى بمتحنون ويثبت صلاحيتهم لهذه الحياة في فترة اختبار لمدة ثلاث سنوات
وجعل لكل دير راهباً مشرفاً مالياً عليه

ودخلت الدير اللغتين القبطية والأغريقية حتى تيسر للمجتهدين الاطلاع
والدراسة حتى تؤهلهم لمراكز قيادية في حياتهم الدينية وتعلمه وظهر كذلك
دير القمام وقد تمكن من اخوات هؤلاء الرهبان الذين حاولوا ان يشاركون
المرأة في هذه احياء الديرية حتى تسو بتركها لمادات هذه الدنيا من اجل الحياة
الاخرى ..

أما الحياة الداخلية للراهب وكان معناه الفقر والتعسف حيث تقول الآية
(اظروا الى طيور السماء فانها لا تزرع ولا تحصد ولا تحزن في الاهراء وأبوكم
السموي يقوتها)

وقول السيد المسيح في الاغتياخ الحائسين أمواته عن فعل الخير . (دخول
جمل من ثقب إمرة لمسر من أن يدخل غنى إلى مراكوت السموات) وكلمه
يواس الرسول ينصح الغير قديس و لكن سير تكلم خاتمة من صفة المال وكما نوا
م كمين عا سكم . لانه قال لأعمشك (لا أتركك) واسكن هذا الكراعيه تسكن
و كبريه لم تحدد عليه الكنيسته في العصور . في تدخل فيها السج في أدرب في
ترشح رؤساء الكهنة وحدث الكنيسته مرحلة الإلطاعين في العصور الوسطى
كما كان في أوروبا وكنيسته اعبد في ام في اسودان فهم تصور الكنيسته هذا نوع من
الافتراء تدريتها بدو كانت في حاله عليه حسنه بالسيه بعد لمكان التي
قامت في شباب السودان ومدينة س . في وصلت فيها إلى عدد هائل وها في
جميلة ورائعه .

ونقضى الحياة اليومية عند الرهبان وهي الأساس لتطوير الفكر الديني وتأثيره على المجتمع والقراء الاثني عشر من اول هذه الواحات الصمت والاعتزال والصلوات ويقول الظم الذي وضعه القديس مكاريوس الكبير (إذا بلغت الساعة اثنا عشر (حوالي الساعة الثانية صباحا) وقف قدام الصليب واجمع افكارك في فم تقراء التي قرأت وأوجد بتخضع لربنا بوجع ودموع ، لمعطيك دم زمور داود وإذا ابتدأت بالصراخ فلا تستعجل بل اخلص المعرفة الحقيقية في المزامير وإذا كنت صلاة الساعة السادسة كالعادة ، فانه ان لم يصوح عن الاباء أفرا كتاب الاباء إلى الساعة السادسة (منتصف الليل) وأهم ماقرأه ثم مع الكتاب وقدم التسبيح وأسجد قدام الصليب وأعطى يمينك إلى يسار المسيح ومن لسانه إلى الساعة (الثالثة بعد الظهر) إن كان لك عمل يدوي فأصنع ماتريد ولا تترك قانون الطائفة (السجود ، من أجل عمل يديك لأن الاباء عملوا في الملاينة بمعاونة الله من غير شره)

ومن هذا يتضح لنا أن الصلاة والصمت والتفكير والتأمل والافراد كانت من أهم واجبات لراهب وعدم شغله بالحياة العامة ... إلخ ، التفكير في الحقيقة الكبرى ومحاولة تجميع حياته تأملية تنفذ لرهبان عن تجربات الامور خارج عالمهم والمشاركة فيه وشعرا بنفسهم أفضى العباد بهذا السلوك وما يعينها في هذا السلوك هو التوسع في التفكير الديني المسمى أما عندا ذلك فقد كانت الصلوات والمزامير أفضل منه .. والكتب الدينية كانت أفضل منه دونها من الكتب ولذلك كانت مكتبات الأديرة فقيرة من النفاقة العامة وأما تلك الكتب الدينية وهذا لا ينفي وجود الكتب التاريخية والادبية ولكنها لم تكن تحبب الرهبان مثل الصلوات والمزامير الا لمدين أرادوا أن يتزودوا من معارف الدنيا وأذعنوا بأمر عليه داخل الاديرة وشغفوا في حجبهم لعدم الاستعطاء من وقت صلواتهم للاطلاع والقراءة . الأمر الذي أخرج من الكنيسة الاوربية في

العصور الوسطى، وحالاً منها دو فكر ثاقب ثوروا على جهود تدعيمها
وخضوعها لملوك أوربا، وثورتهم على مواقف الكنيسة عن مشاكل العصر الحديث
تعرضت الشعوب الأوروبية لظلم وبطش الأمراء والملوك والاقطاعيين في أوروبا
ورأت الكنيسة أن عذاب الجماهير نوع من الرضا والتكبر عن الخطايا وأنه
مفيد للحياة الانسانية المملوءة بالخطية ولم ترى في جرم الاقطاعيين غير تركهم
لعقبات الاحرء ولم تحاول أن تقف موقفاً إيجابياً لايقاوم هذا الظلم الامر الذي
قاد لظهور موجه الاصلاح في القرن الثامن والتاسع عشر باتخاذ . . الكنيسة
الخاضعة لسلطان الملوك الاقطاعيين هذا الاسلوب السلي من الجوع والمشردين
والمعتدين من بني الانسان في حين تعيش هي التي تدعو لانتعاش حياة اقطاعية
وسميت الآية التي تقول : (لا تحبوا العالم ولا شيء مما في العالم فمن أحب العلم
فليسست فيه محبة الله) وأسكتوا الجوع والدميد بهذا المفهوم ولم يحاولوا هم أن
يتجردوا من اقطاعيتهم ولم يحاولوا أن يجردوا الاقطاعيين من املاكهم
ويتمنعونهم ببطلان الحياة .

المسيحية في السودان

كان لرهبان وادي النطرون أثر كبير في حياة المسيحيين

كانت الفترة من القرن الاول لظهور المسيح إلى القرن الخامس والسادس هبة نصبة في حياة مصر بين صراع المسيحية وعداوة "قيصرية الرومان وبين اصرار رواد المسيحية الاوانس وتحصنهم "العدب" و"صمود امام التعذيب والتشرد وضرب أروع الأمثلة في الإيمان ولتشف و"تواضع وسواد رويدا الاوانس" فنادى المتواضع جوس فهداه الله قوة سحرية بين عامه الناس وبين لصحات لتي قددها أسماء الاعيان لاسرار الكبره وللمسهم "الوروا" ميش والصبر على الاكل وتحمل العذاب كل ذلك تنحصر كانت تنفق المسيحية إلى الاراضى التي لم تظهر فيها وفهم الاقباط في مصر لهذه الديانة أروع الأمثلة وجرح مهم نصر كان له الأثر الكبير في اندفاع وبقاء هذه الدعوة على أرض النيل .

ظهرت المسيحية في مصر وهي تروح تحت بطر قيصريّة الروم وأبشروا دينهم وحضاراتهم وسقطتهم عملاء أرجاء مصر . ظهرت هذه الديانة والرومان محتزون بمجهودهم وحضاراتهم وفريقهم وآهتهم . قد أثرت هذه الديانة التي جاء بها رجل بسيط . بسيط في كل شيء في ثيابه ومسارده وحديثه وأفكاره وأمثله جاء هذا الدين لشبهه الاعلى خطم آلهة هؤلاء المعرورين بدياناتهم وآهتهم . هؤلاء الذين كانوا يظنون أنهم أسيا دأ دلى كل الدنيا وأنهم أفضل المجموعات ... يتجرأ راعى بسيط ويقدم ديانة جديدة تدعوا إلى آلهة غير إلههم ويحرقون إلى تحطيم إلهتهم وعنده الاعتراف بها . وبينما المطق صب قيصريّة الرومان حام غضبه وبطشه على كل من يحرر للاقترب من هذه الديانة الجديدة . ولكن

الرسالة كانت أقوى من بطش القيصرية والايمان بها كان يسعد بالنعيم . . .
كانت مثل هذه فترة مقدسة للمسيحيين من تسطه الارقياء كافيه لحقن اروحهم
الاستشهاده الصبر على الاذى ورفع مؤمنين درجة عاليه من الايمان والاعجاب
بنامه لسوء

انتخب مصر وكثيصة الاسكندرية و هدى وادى بطش و مكاره سميصة في
تاريخ المسيحية وكان لهم فضل كبير في حمله المسيحية بعيداً عن بطش قيصرية . . .
في أقصى الشرق حتى وضعوا لها من التقاليد ما بات منهجاً حتى اليوم وسوء من
تعاليم المسيحية كما اصاب يهون وادى لظهور فكره اسرار حيله الكنيسة
وادحووا دير الرهبان وكذلك تعجزوا دوراً كه أفي الصراع الكنيسى الذى علم
بين كنيسة الاسكندرية وكنيسة القسطنطينية وكنيسة روما حتى كان هذا الصراع
سبباً كافياً لحدوث الانشقاق المسيحي وبتفكر في هذا الصراع الذى دار بين كنيسة
قسطنطينية التى ادعت ان المسيح على اصاله بطريركس سقف قسطنطينية
في نصيبه للسيدة العذراء برادة لالهة وان المسيح شخصان متساويان يعمل كل
منها مستقل عن الآخر أحدهم آلهى وذيها لالهة فتحدث الانشقاق بين
الاباء كيرلس الاول لاسكندرية و ابراهيم و اثناسيوس و اثناسيوس في بولس
المسيح شخصية متكاملة جمع فيها بين اللاهوت و البشريته جمعاً لا احتلاط فيه ولا
لامتزاج ولا تغدير ووقف بحسب الاب كيرلس رهبان وادى بطش و

وحرج الرهبان من الاعتصام بالجدل والادوية سداع عن فئدتهم وارتفع
شان مصر وعلى اسم رهبانها كنائس العالم وأصبحت مزاراً لرهبان
مختلفة وخرج منها رهبان إلى كل الشعوب تروا في منهج المسيحية وسوء
روادها وابتدعوا لهم انسل الاعمال عباده النذر وأعطاهم من تيجان
الكبير .

وقد كان صعيد مصر وواحاتها موطناً للرهبان من أبدي بطش و تسكيل وظهر
الرجال لسطاء العرب المتعشقين بين السمرق والوديان بين القديس أنطونيوس .
فكان مطر هؤلاء الرهبان حافراً كبيراً لجلب كثير من الانصار للمسيحية . .
وكسب عطف الناس على هؤلاء المساكين ...

لقد جاء في حاحه لكل عون لسانى وقد أحبوا الله في أبهى صورة . .
وبذلك لم يجدوا أى معاملة قاسية من الخنافس التى يرون عندهم أو تقابلونها
ووصل منهم لبعض لشمال السودان فقد كانت ممسكة بؤديا شمل دقته مكرراً
هاما من مدارس الرهبان .

بقى المسيحيون الكثر على أيدى قيصرية الاسكندرية وايمك المسيحيين
بمجموعات كثره وكان الهروب هو الوسيلة الوحيدة لفهمود كان شعب السودان له
ذا علاقه طيبه بهم فبعضهم انزل من بحارر القيصرية وما فعه امك دوقموس
قيصر عام ٣٤٩ م من بحارر ومطاردة للمسيحيين والرهبان كنيل بأن يضطر هؤلاء
عزل للهروب إلى الوديان والاحمال وكهف حتى اراحهم الله من هذا
"عذاب باعترق قسطنطين الاكبر ٣٩٥ م المسيحية وحملها عن الحكومة بعد
بطش الامبراطور دقيديوس ٣٨٤ م وأهل مصر لتمررد ونهبها عليه فقتل
لكم من وخرق الاسكندرية وأخذ الناس على عتدها لاصنام وعرف باسم بارج
الشهداء وهو تاريخ السنة القبطية .

وأثر رهبان مصر في نشر المسيحية وخرجه إلى كثير من بقاع لعالم بعد أن
عمت المسيحية مصر وأصبحت دين الدولة ومن هؤلاء الرود "رهبان الذين
تلمذوا على رهبان وادى لطررون القديس أوغسطين لئلى ترك روما عام ٣٨٨ م
قاصداً شمال أفريقيا ونشر المسيحية في الحبشة والشاصى الأفريقى .

وأول ما أسسها بمدينة هيبو حيث عاش وأطاع عام ٣٩٦ م خط الحياة الرهبانية ومعت المسيحية بين شعب شمال أفريقيا ونقل إليهم نظام الدير للرهبان والراهبان حتى كان من محيط عمت المسيحية شرق أفريقيا والحشة .

وقد ظل السودان بعيداً عن هذه الدعوة إلا من التجأ إليه من المسيحيين حتى ظهرت المسيحية بين سكان النوبة وشمال السودان .

وأخذ الصراع المسيحي يفر بعد أن أصبحت المسيحية دين لدولة بين مذهب كنيسة الاسكندرية الارثوذكسية ومذهب كنيسة روما . وكان من مظاهر هذا الصراع تناقض الامبراطور جستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥ م) وبين روحته ثيودورا التي كانت تتبع للكنيسة القبطية . فقط سمعت أن زوجها قد كلف البطريرك ثيودوسيوس لنشر مذهب كنيسة روما في أرض النوبة والسودان وحيث كانت الكنيسة القبطية هي صاحبة الشأن في مصر .. عمت ثيودورا بؤساً زوجها وأنصت بالأسقف لوجينيوس ليكون أسقفاً على بلاد النوبة ويشر المذهب الارثوذكسي قبل وصول البطريرك (ثيودوسيوس) في عام ٥٦٩ م .

وقد نجح رسول المملكة ثيودورا في الوصول إلى نوبة قبل عهده حيث قفل الطريق أمامه لتقدم في أرض نوبة . وقد وجد هذا المذهب لأرض مهددة لقبول هذه الدعوة فقد كان رواد الكنيسة الاوائل يجربون هذه المساق وكانوا يلجأون إليها للاحتواء بها بحاسب أخبارهم إلى وصلت إلى هذه المذقة وأستعد الناس لقبول هذه الديانة الجديدة وهم يرون دينهم المروعية قد طمسها الديانات الرومانية تمحات هذه الديانة الجديدة بصورة غير التي لفوها وسمعوا بأبشار هابيل سكان مصر .. فقلت عصبتهم بديانهم القديمة وياتوا في إنصار هذه الدعوة الجديدة ... وقد كانت شخصيات هؤلاء الرهبان هي السبابة

الطبيخ لهذه المدينة بين هؤلاء القوم اومنيين عباد آلهة الفراعنة ، وكما يحج
أوغسطين في (بيرو) ، وانتشار المسيحيين في الحبشة جميع هو لافى شمل السودان
وقد اعترض حكام المقررة لونيجهوس مبعوث المذهب الارثوذكسى حتى اضطر
إلى الابتعاد عن النيل وسلك طريق القناص اليحاوية في شرق حتى وصل إلى
مملكة علوة وعهد ملكها وأفراد أسرته وحاشيته عبدا للمسيحية

انتشرت المسيحية في مصر على أكتاف عامة الناس وقد اشترك الافاط في
نشرها وظهور المذهب الارثوذكسى .. وحيث كانت اللغة الاغريقية لغة الانجيل
فقد كان تعلم هذه اللغة ليس متيسرا للكثيرين ولكن انتشار هذا الدين المسيحي
دفع لتعلم هذه اللغة في حث حلت اللغة القبطية في نشر هذه الرسالة .. وبهدد اللغة
أدخبت المسيحية السودان وأصبح تعلم هذه الديانة ولتعلم فيها يتطلب تعلم هذه
اللغة واللغة لإغريقية الاسر اندى كان شافاً على السودانيين ..

وكانت مهمة تعليم الرهبان من الافراد سودانيين فيه ، كثير من امشقة ويبدو
أن هذه الدعوة لم تقف امامهم ، هذه الصعاب فانشأت الكنائس بعد ان ملك
عروة والمقررة وحكام الامم في شمال المقررة وجنوبها حتى حدود مملكة عروة
وأرض الحزيرة وقامت الاديرة التي كانت المدرسة الاولى لحياء المسيحية
وتخرج رواد صبورين ذاع شأنهم في لفيق وسهول وطمت المسيحية تنقسم في
السودان وتجد المساعدة من تدفيس كيسة الاسكندرية وكيسة روم وأرسال
المبعوثين من لرهبان وتعمد بطارقتها حتى دخلت مصر في الفتح الاسلامي
بدخول عمر بن العاص لمصر عام ٦٤١م ودخل الاسلام مافاً أحدياً الديانة
المسيحية - فآمن معظم الناس بالرسالة الجديدة التي كفلت حرية اديانهم المسيحية
وأعطى عمر بن العاص لضمك لطريق الاسكندرية وعدم التعرض لكنايسه
ورعاياها وقدم لهم المساعدة . ولكن هذا الدين المنافس الجديد الذي ظهر
في الجزيرة العربية ووصلت أخباره إلى شعب مصر والروايات التي وصلت عن
النبي عليه الصلاة والسلام حملت عدداً كبيراً من الدين ثم يؤمنوا بالمسيحية يميون
إلى هذا النبي الجديد الذين لم يفقهوا الإجيل يميون إلى هذا الدين السهل البليغ .

كان دخول الاسلام مصر يعنى الحد من تقسم المسيحية والاحتفاظ بمواقعها كما يقولون وزحفت القبائل العربية وخرج لرومان من مصر وابعد شمس الامراطورية وقلة سيطرة الدولة في نشر الديانة المسيحية واطام عمر بن العاص جامع عمرو واقامت الجوامع في المدن الكبرى ودخلت مظاهر الاسلام على ضفاف النيل وزهد الرهبان في هذه الارص المفعولة وفضوا العمل في أدبرة غرب أوروبا وآسيا حيث فقدت المسيحية مساندة الدولة وبهذه رغم إسمها لم تقف معارضة منها .

وبذلك دخل السودان في المسيحية في القرن اثناث والرابع والخامس في شكل رهبان هاربين او افراد لاجئين حتى كان القرن السادس تقبلها حاكم علوة والمقرة .

ولم يمض قرن حتى دخل الاسلام مصر واولئاً أمام توسع هذه الديانة باندعوة للإسلام والأيان لمبدنا محمد عليه السلام بخاتم المرسلين . .

وبدخول الاسلام إلى مصر زحف العرب على النيل وأرسل عمر ابن العاص قائده عقبة بن نافع عام ٦٤١ م لاحتضاع الغربة وهه قابلهه النوبة بالقوة ولم يستسلموا له حتى عقد الصلح بينهما واسكن عادت النوبة المسيحية مرة أخرى للتمرد على عهد عبد الله بن السرح فرحفت جيش المسلمين عليها ولم يكتفى هذه المرة بتمديد المسيحيين من النوبة المحاورين لحدوده الجنوبية بل وصل إلى عاصمة النوبة المسيحية ونقله وحاصرها وضربها بالمنجنيق عام ٦٤٣ م حتى استسلم ملكها قلميدوروت وعقد صلحاً بين الطرفين لم تمس عبيده النوبيين ، كما أنه ضمن سلامة حياه المسلمين الذين يعتنقون الاسلام في أقامة شعائرهم .

... بعد الانتقال إلى اتقع حياه العرب في السودان بعد ظهورهم في مصر وأه يقام حتى لنا أن ناتمس أوجه النشاط الثقافي والحضارى في هذه الفترة وما تركه الحضاره الفرعونيه والمسيحيه . كما رأينا دخلت المسيحيه السودان دون حرب أو فرض عليهم وكان دخولها تصاحبه بعض العقبات منها الامة القبطيه واللاتينيه لعه الاديره التي حاورت الكنائس التي قامت بكثرة وسرعة على حلول النيل في صادف ودنقله والسنة ومروى وكورنى وشمل كريمة عند الشلال الرابع وأنشئت المسيحيه حتى وصلت مملكة سوبا الى قامت فيها أعداداً هائلة من الكنائس الجميلة الرائعة .

دخلت الاديره السودان وأحتلت ابنية المعابد الفرعونيه القديمه وكذلك قامت بعض الكنائس من بقايا هذه الأعمده والمباني المدينه الال لم تعد صالحه للعباده الفرعونيه . .

وبانبرت المسيحيه رسالتها في شر الدعوة وتعليم الناس رسالة المسيحى في الحياه إلا أن الرمن لم يمهل هذه الكنائس أكثر من قرن حتى دخلت مصر بجوش العرب المسلمين وسلك نهجها ورصه تطورها وازدهارها كما كان في الحبشة بل وبكعش رهبانها داخل أديرتهم ووقف تطورهم العيسى واشغل الناس منها بالمذخر في الدين الجيد الذى بات يباسها وأرصها وفقدت الكثير من مصطف وامسعدات التي كانت تنفها من المراطيين وربما وفقدت بعض أرصها التي إقدعتها لنفسها لعباده لرهبا . وعمهم وكملالك لكانسه كما كان شامأى ذلك العصر . و تمتلك الكنيسه أرصها اشاسه وتستغل دحها للصرف على الرهبان وأوجه تقدمها وشؤونها المايه .

بعض لائن من نخطوط ابى وجدت قريباً من المساجد التي كانت كنائس

اكتشف أنها مخطوطات من الانجيل باللغة القبطية كما أن الرسومات التي وجدت على صدارة سكتانس تكشف ان الروح القبطية كانت هي "تغالبية على الكنائس وأن لم يمع ذلك في إنبشار اللغة اللاتينية داخل الاديرة والكنائس وتعرض هذه الآثار بعد الإسلام لكثير من التحرب أضغ "كثير من أثر هذه الفترة إلا ان عمران سويبه وكثرة كنائسها وأستمراره في دء رسالتها حتى القرن الرابع عشر الميلادى يكشف لد أن رهبان شمال "سودان بعد أن قل عدد المسيحيين بالشمال نرحوا محسوب كما إن خريجي تلك الأديرة وجدوا في حياة سويبه الوادعه وحاجة السكان هناك إليهم وعدمهم عن الاعتراف بوضع الرهبان لمذهب لاجنوب وأستقرت المسيحية في كنائس وأديرة سويبه في القرن السادس والسبع حتى فيم دولة لقويج "ل وجدت هذه الدولة مسيحية فقيرة من المعلمين والرهبان .

توغلت المسيحية في المنسوب في حين زاد بمرور السنين دخول الدين الاسلامى ل لشمال وبعثت كنيسة عوة الارثودكسية عن كنيسة لافط في الاسكندرية لى كانت مركزاً هاماً في شرق الارساء المسيحية وكنائسها . وتطور هذه الشعائر وابتدع عنها . وتقطع خط صمد من سريره "الكنيسة الام في الاسكندرية .

وكانت هناك في الشرق كنيسة الخنشة الارثوذكسية أيضاً التي كانت تابعة لكنيسة الاسكندرية لى بدأت تمهد لكثرة من البرواد جندد كما أن بعض الحكام من المسلمين لم يتركوا هذه الخنشة في حده لاطلاق لى كانت عريضة كنيسة في أوروبا ل وصلت من قوة عن طريق الإقطاع مركزاً مالياً عظيماً حتى باتت هي القوة العظمى في أوروبا .

أضأت الكنيسة للفنون وحضارة المراعنة الفن القبطى واثانة القبطية والفن الاغريقى واللغة اللاتينية التى لم تخرج عن الادييه بمعيده وتطور الفن داخل الكنائس والاديرة ووقف نمو الفن والحضاره الفرعونية إلا ان التمايل للفرعونية لم يزول فى مياه نرس وذلك لضعف رسالة المسيحية التى لم تجد المعلمين والاكتفاء بالقيام برسالتهم بين المواطنين ومحاربة تلك العادات الوثنية .

ونحن إذا أردنا أن تتبع تطور المجتمع السودانى فى القرن السادس الميلادى حتى القرن الثامن عشر فلن نجد أى مخطط طات غير آثار لم تنطق بعد ولم تكشف تاريخ هذه المرحلة غير أننا يمكن الاستعانة بما خلفه بعض الرحالة — بعض المؤرخين من مخطوطات معروفة الحياة الاجتماعية وسبل كسب العيش وتكوين المدن — نجد ذلك فى مخطوطة ودصيف الله وهى تكشف لنا حالة الصومية ومشاط الاسلامى الذى قام على اكفاف لرجال الصالحين والصور الغريبة والروايات المبالغ فيها عن الخوارق التى كان يأتى بها الأفراد . وهى تكشف بصورة عامه عن تدهور العلم حتى استطاع العقل السودانى من جراء الجهل فى قبول تلك الادفكار العربية وتفسير بعض الحركات المرضيه على أنها علامات صلاح كما يصيب لنا بوكوارت عن احوالة المستقره المجتمع على النين وحالة القبائل وسط حالة لنجدة وشجع حكام المدن عبر النيل فى ربر وعطيره والدمار وشدى وأعماد دخل ورؤساء الجماعات على ضرائب التجاره . . .

إلا ان التجارة كانت هى الحياة فى بحث حركة العمل فى نفل حاصلات أهل الدين ورؤامده وسفر عن طريق شتى سحر وذاقور سقة . إلى سواكن أو الدرد عن طريق الاربعين بحاف محبات نواح طريق من مسمم الذى كان يعيش فى أرض الرافعات فى القرن التاسع عشر وديجومه المتواصل على القوفل ونقسم أمواليه على الساكنين ويرت للبر البرية وتكشف لنا وحلة بوكياوت

والتونسي أن تعاليم الدين تكاد تكون معدومة أو مجهولة وانتشار السكر
والسجارة حتى في مدينة مثل البام حيث نشأت بيوت لهم وصوفية وبيت
المجاذيب وما لاقاه بكهوت في تلك المدينة يكشف عن رهبة رجال الصوفية
على جميع المنطقة التي حوليهم واحترام ناس حقوق رجال صوفية إلا أن
رجال الصوفية لم يتناولوا أن يتدخلوا في حياة الناس العامة أو تقويمها وانتشار
بيوت الخمر والسجارة حوليهم كان يكشف عن حالة المجتمع وتمككه .

كما تكشف لنا رحلات "تونسي" ارفور في أوائل القرن التاسع عشر أيضا
عن حالة المجتمع "قبلي" والمعربي في غرب السودان وانتشار الجهل والخصومات
القبلية والصراع انسي كان يلاقيه اعلم حتى من رجال الحاشية والحكمة بانك .

القرن السابع الميلادي

قبل الحديث عن الأحداث الداخلية في السودان يجب علينا أن نطل على الأحداث الخارجية خارج السودان التي كان لها أثر دلي تطور السودان وسنحاول في هذا القرن تتبع النشاط الانساني والتوسع العربي مما كان له أثره في الحياة السودانية فقد اعتمدت معظم الدراسات التاريخية بتمتع الحركة العربية في السودان واستخدام الحوادث المرمية لدخول العرب السودان وأبعدوا هذه الاحداث ليومية عن مجرى السياسة العربية والاسلامية في تاريخ الدولة الاموية والعباسية والفاطمية وربط هذه الاحداث وإنكسارها على الحركة الإسلامية والتوسع العربي . لانه بدون تتبع الوضع السياسي للدولة الإسلامية في القرون السابع الميلادي حتى القرن الخامس عشر الميلادي لانستطيع أن ندرك سبب إنتشار العرب والدوافع السياسية والعقائد والمذاهب الدينية التي كانوا يتبنونها وأثر هذه المذاهب في تاريخ الدولة الإسلامية ودخول العرب إلى أفريقيا الوسطى .

كان القرن السابع الميلادي هو عصر الفتوحات الإسلامية وانتشار الدين الاسلامي في الجزيرة العربية حتى شرق إفريقيا . وحين دخول الاسلام إلى مصر في هذا القرن كان السودان ينعم بميلاد المسيحية وهي في طور شح بها وأردها وبدأت المحاولات العربية لاختضاع مملكة دنقلة المسيحية إلا أنها لم تكن بمقدور صاحب مملكة دنقلة قيلندوروث عام ٦٥٢ م . جاء فيه أنه لا يجارح المسلمون النوبة وبالعكس وأن يدخل المسلمين بلاد المسيحيين بجزائير غير مقيمين فيها وعلى النوبة حلف من نزل بلادهم من المسلمين حتى يخرج منها ، وعليهم رد كل أبى دخل بلادهم من عبيد المسلمين وعدم حفظ المسجد الذي إبتناه المسلمون بدنقلة وكفسه وإسراجه وتكرمه إلا يمنعوا عنه مصليا وإن يدفعوا في كل سنة ثمانية وستين رأسا من إوسط رقيقهم غير المعيب يكون ذكرا :

هذا الحادث كان من أهم الحوادث التي حدثت في حياة السودان السياسية والاجتماعية إذ تعرض لأول مرة لقوى من القبائل العربية وهم لم يعرفوها من قبل وخاصة سكان هذه المنطقة إذ لم تستطع مصر من قبل تحت سيطر العرب إلا في عهد العرب العاقبة .

وإن لم يأت هذا الحادث بنتائج سياسية في حدود الدلالة السودانية إلا أنه كان علاقة تاريخية وبمرآة مأمونا لدخول العرب في هذه المنطقة ووقوف الجامع بين السكائن وإقامة الشعائر الإسلامية من صلاة وأذان وأدخل على حياة الناس في تلك المنطقة لشبابه أسلوبا جديدا في المعيشة لم يألفوه وديننا جديدا مباركا جاء ينسبهم دينهم القديم

لما ما سدا ذلك فقد استمرت الحياة السياسية والاجتماعية في السودان كما هي ولم تحدث حوادث خارجية تؤثر في حياة السودان في المستقبل غير الحركات العربية التي كثر نحو شرق إفريقيا والتي أضطرت لإحراق الهجرة لدخول أفريقيا وأواسطها والتأثير في منطقة اقرير وكانهم وردى والسفاح وتممكتو .

هنا في الشمال أما في غرب السودان فيه سبب جديد الحالة الاجتماعية في تلك المنطقة لعدم وجود أي وثائق أو معنومات عنها ولا يكبر من العمران والحياة الاجتماعية الملائكية التي كانت سائدة في دارفور ومنطقة جبل مرة حتى القرن الخامس عشر الميلادي . إن هذه المجموعات عرفت الحياة الاجتماعية ونظم الحكم في دترات بعيدة من ديانة وعبادات شوب تلك المنطقة كانت تختلف عن سائر البلاد بما يدل أنها بعيدة وعزوبة في هذه المنطقة البعيدة بالخبرات الطبيعية والانهيار والوديان التي هي المصدر الأول لخلق النجم والجماعات المختلفة الأولى .

سليخون :

بعد وفاة (سباقون) إعتلى عرش طيبة إبنه سليخون ، وخلف له والده
عدواة أمراء الوجه البحرى ومرارة هزيمة الاشوريين ، شغل أن يعمد هذا
الملك إلى سياسة فرق تسد بين أمراء الوجه البحرى إلا أن الممية عاجلته قبل أن
يتمكن من إعادة وحده البلاد كما كانت عاينها حتى أعطى فرصة لليبيين لظهور
مرة أخرى وتدخلهم لمساعدة أمراء الوجه البحرى لطرد الاثيوبيين

بمنخى :

ومن ملوك الدولة الاثيوبية بمنخى العظيم الذى خلف له اثنوا كثريرة
تحدث عن مجده وعظمته وشهرته فقد سمع هذا الملك بمحاولة الليبيين لتجميع
أمراء الوجه البحرى وطرد الاثيوبيين من مصر فجرد بمنخى جيشا عظيما وأرسله
لمصر رخصا طيبة من سيطرتهم ولحقهم هاتخى بجيش آحر وطارت دلول
المنزعين حتى تمت له السيطرة على الوجه القبلى كله وإستمد لمحاربة بقايا أمراء
الوجه البحرى وإحتل بنصره فى معبد آمون بالكرنك ثم واصل زحفه
على أمراء الوجه البحرى حتى وقف عند حصون منف والقوية وقد أخلة نفسه
حتى كسر شوكة حصون منف وعامل أسراة أحسن معاملة .

أما في أواسط السودان فتدكانت منطقة الجريرة أكثر كثافة بالسكان
وخاضعة لمنطقة النيل الأزرق وجنوبها قبائل الشالك الوثنية وقد اعتنقت شعوب
تلك المنطقة المبادئ الوثنية وبعضها أخذ المسيحية بظهور ملائكة علوه (سويه)
في تلك المنطقة وافتهال الحكم اليها بعد مجرم الحبيبة عليها في القرن الرابع
الميلادى وتدمير مروي القديمة .

* * * *

* * *

نشاط الحركة الثقافية في العصور الأولى للإسلام

دون أن نضيف للتاريخ بعض العبارات غير العلمية ودون أن نتصور من أشياء صغيرة حقائق كبيرة تعطينا صورة بعيدة عن الحقيقة ونجعل التاريخ الحقيقي صورة بعيدة عن الواقع. قبل حيناً أو محاولة إعطاء ما عشنا شيئاً من المحر بأسلوب فيه كثير من العطف والحب . . . ولكن الأجدر بنا حتى نقف على انصوره الحقيقة بتوبة للتاريخ أن نقف منه موقف العالم الذي يفسر الأشياء كما هي دون اعتبار للتأنيج ان كانت قرضينا أولاً قرضينا .

لو تتبعنا حركة البعث الاسلامي المصاحب لنهضة الفكر العربي نجد ان ابتداء في جنوب الجزيرة مع مولد الرسول (صلعم) ثم انتشرت الدعوة لتشمل ثم عرجت على شمال ادرية ثانيا ثم غرب أوروبا المثل على البحر والمحيط .

بدأت الدعوة الاسلامية بحماس ديني شديد ثم انحرفت بحماس للدولة الحريده التي قسمت المسلمين إلى أقسام كثيرة منهم من تبع حكم معاوية بن سفيان وعائته ومن عارضه من أمرو على بن أبي طالب الشيعة ثم كان الخوارج عارضوا الجاهلين المتنازعين على رعاية المسلمين .

في بداية عهد الخلفاء داخل الجزيرة العربية وانقسامهم إلى ثلاث جهات كل فئة تترصد بالآخرى وتعمل للإساءة والإطاحة إلهما دعت بالدولة الاسلامية إلى اتحاد جديد . وهو التركيب على تقية الدولة الاموية ان كانت أو الامامية عسكريا ، وتنظيم حال للدولة حتى تساهم أن تطارد وتمحق على الفئات الاخرى التي تحاول أن تسيء أو تكون الاطاحة بالدولة الاسلامية قائمة

هذا الصراع الداخلي داخل الدولة الإسلامية حد من نشاطها الإسلامي والثنائي بل دفع بكل امكانياتها بل «مضاً إلى محاربة الخارجين على القانون» والمعارضين من العرب بإبواب المشاكل الخارجية . . . وهذا هو السبب الذي دفع بالمدعوة الإسلامية أن تفقد وحدتها وقوتها التي خرجت بها من جزيرة العرب في زمن الخلفاء الراشدين .

بدأ الحكم الأموي عام ٢١ هـ - ٦٤١ م واستمر صراع داخلي مرير كلفه كل امكانياته لمحاربة الشيعة والخوارج ، لا سبباً في الأمن في الأراضي الجديدة التي فتحها العرب الإسلام ، الأمر الذي جعل الدولة الأموية تتعارض مع الشعوب الأخرى خائفة من أنصار الشيعة والخوارج ، حتى انتهى الحكم الأموي عام ١٣٣ هـ ٧٥٠ م وكان سبب انتهائه هو الصراع الداخلي الذي واجهه من الشيعة والخوارج مع اتساع رقعة الامبراطورية الإسلامية .

لا شك أن خروج العرب من الجزيرة العربية واتصالهم بحضارة كبيرة كحضارة الاغريق والرومان والفراعنة وأخضاعهم لمعظم شعوب هذه الحضارات كان لابد للعرب أن يكونوا في مستوى أقوى من هذه الحضارات . وقد كان لهذه الحضارات بقاءها الخالدة التي كان لابد للعرب أن يظلموا عليها وحتى يستطيعوا أن يفرضوا منطقهم وفكرهم وثقافتهم على هذه المناطق . . . فوجه هذه الدولة الإسلامية سيطرتهم على فكر وحضارة هذه الأمم وملازمة الفكر العربي مع هذا التراث كان لابد للعرب من أن يظلموا على هذا التراث بعد هذه الفتوحات التي أخضعوا بها هذه الحضارات عسكرياً فلا بد إذن من إخضاعها فكرياً . . . وقد كان لهذه الحضارات سميتها في هذا الضمار ولا شك الحضارة الاغريقية والرومانية ، وما تركته الحضارة الفرعونية من آثار وما أخرجته جامعة الاسكندرية من علم وفكر .

سقط الحكم الاموي ليبدأ الحكم العباسي عام ٧٥٠ م - ١٣٠ هـ وبدأ الصراع العربي من جديد أكثر وحشية داخل العرب المسلمين أهل الدعوى في عصبية الحكم أنستهم عظمة الرسالة وهدف الرسالة إنما شهوة الحكم دعوت إلى أقوى لدكرسى الدولة الإسلامية الامر الذى مزق وحدته الامة العربية منذ ذلك التاريخ إلى طوائف وأحزاب .

في ظن هذا الصراع اتسعت الدولة الإسلامية في العهد الاموي والعباسي ولكنه اتساع على حساب قوة ومركزية الدولة الإسلامية وزيادة مسئولياتها وععب للدولة بجانب هذا التصدع الداخلى المريع الذى طل علم الدولة المركزية والحاكم باسم العرب والمسلمين حتى فتح هذا الباب لكثير من الاجناس الاخرى أن تنقسم إلى كراسى العرب المسلمين .فرض المساعدة ضد الطوائف الاخرى - أفاد الثقافة العربية والعسكر العربى لاشتراك تلك العناصر غير العربية في مجال الثقافة والفكر والإدارة في مرحاته الاولى قاد في النهاية لانقسام الدولة الإسلامية على عدة دول في حلب وبغداد والقاهرة والمغرب .

اتسعت الدولة الإسلامية ولكن ما قيمة ما صرفت في نشر الثقافة والفكر العربى في الاراضى الجديدة والاسس التى قامت عليها هذه الدعوة في عالم جديد عن حضارتها ، وأرضها . . . وسنرى الفواعل التى قام عليها الفكر الإسلامى لنشر الثقافة العربية في مصر ثم السودان .

تخطيط العرب لنشر الثقافة والفكر العربي

بعد حكم روماني قام بعد مقتل كيونانتره في عام ٥٤٤ ق م إلى ٦٤١ م .
بدخول عمر بن العاص ليهن سيطره المسيحية على أرض النيل والرومان عنها
ولبدأ عهداً حديداً في حياة مصر العربية وحياء أفريقيا و"نيل" .

أنشئت ابدولة الإسلامية على أرض "نيل" وامتدت حتى حدود المنسكة
السودانية وأرسل عمر بن العاص في نفس العام قائده عبد الله بن سعد إلى
مملكة دنقلة المسيحية ليهن هجومه على العاصمة دنقلة بالصلح وبمعية تبيع
للمسلمين إقامة شعائرهم ومساجدهم وضمان حرية مرور العرب .

كان لابد للدولة الإسلامية لترتكز الدولة سلطانها في أرض النيل أو في أي
بقعة جديدة من إقامة الدولة القوية ثم نشر الدعوة و"علوم الإسلامية" مما فيها
من شريعة وفقه وحديث وكتاب الله وتفسيره .

كان الجيش هو قوام الدولة الإسلامية وكان الجامع هو المدرسة الأولى لنشر
الثقافة الإسلامية .

قامت مدينة المسطاس بعد فتح عمر بن العاص في عام ٦٤١ م بعد أن
بسط نفوذ الدولة الإسلامية على مصر ومد هذا النفوذ إلى عاصمة الدولة
المسيحية السودانية دنقلة .

إشاه عمر بن العاص المسجد الجامع أو جامع عمر أو كما كان يسمى المسجد
العتيق أو جامع مصر أو مسجد أهل الراية .

وإذا انطلقنا من هذا الجامع الأول وهذه المدرسة الأولى لنشر العلوم
الإسلامية والثقافة العربية على أرض النيل وتمتع نشاط هذه الخرامع وازدهار
هذا الحجاب العلمى من ندرة الإسلامية حتى يمكن من رصد هذا التطور على
الثقافة العلية فى السودان بحجاب العراجل الأخرى والمصادر الأخرى .

واستمرت مصر فى خلافة الأمويين ثم العباسيين ولم يجد فى حياتها العلمية
أى إضافة جامع عمرو لى كان مبرا لى مصر . . . وقد كان مسجد هو
المسجد الرسمى فى إقامه الأول ليجمع اولى برعيته بعبد صلاة الجمعة لالقاء
المعظمة والأوامر والنشر بعبد الخديفة . . . كان الجامع هو المسجد لنشر
سياسة الدولة الإسلامية أيام الجمعة . . . وكان يقرم بحجاب هذا الدور بعقد
الندوات والندوات وحقت الدراسة منذ إشاهه ولكن هذا الدور لم يأخذ
شكلا الواضح . . . بل كان نشاطه ضئيلا بالنسبة لموقع الدولة الحديثة التى
عاشت فى اضطرابات احكامه وصراخ الشيعة والامويين والخوارج لم يتيح لها
أن تخطط للدراسات والعلوم الحديثة لتتطور بحجاب الدولة الخديفة . الأمر
الذى جعل من هذه الخوامع كمثر عم للحضارة الرسمية .

وقبل أن نحكم على هذه لظاهرة بحد بنا أن نلقى نظرة على مجتمع
المصري قبل الفتح وبعد الفتح سم نلقى نظرة علمية وعلمية لإشاه جامعة
إسلاميه تقوم بتدريس العلماء والفقهاء والمفسرين ولتشرح كافة رجال المعرفة
تحتاج إليهم هذه الدولة الجديدة .

قبل دخول العرب مصر كانت الاسكندرية هي جامعة مصر تنقل اليها علوم
الاعريق وترسل الوفود وتستقبل الوفود ، وعرف نعرف أن بعض العلماء الافانار
في العلوم قد خرجوا ونهضوا من جامعة الاسكندرية وقد انشأت جامعة
الاسكندرية ومكتبتها في عهد بطالسة أو بطالمة ، وقد عرف أهل ايب العالم
« نكريس » في مذهب السولة والنواين ثم ذانوس ، الذي أنشأ مدينة « رغوس »
في فسه المورده « وفلاطوب » فيلسوف الحضارة الاعريقية العريقة تتلمذ عن
كهنة من كهنة عين شمس أخذ عنهم علم مصر القديمة .

ثم « نطليموس » أس الاسكندرية وأبو علم الفلك والجغرافيا « دوفيناغروس »
صاحب النظرية ومطور علم الهندسة والذي رفعه علمه في نظر تلاميذه حتى
« دعوا » به إلى الآخرة (أبو لون) ثم « يوسيبوس » مؤسس الفلسفة التي
تعرف باسمه والتي تدعى « ليرة » لإرادة والإيمان به وترفع عن المادة وترويض
الجسد من الشهوات .

هذه الجامعة التي نقلت حضارة الإغريق والرومان وبعثت الحياة العلمية
والتفكير من جديد في مصر — بعد أن سكنت الحضارة « الفرعونية » التي أعطت
أقصى إمكانياتها ثم بدأت تدب لتفسح المجال لشعوب أخرى لتأخذ دورها
في التطور .

كان المجتمع المصري يعيش تحت ظل الدولة الرومانية بعينها وفلسفتها بعد
أن ظهر المسيح ليفتح أفقاً حديثاً للعقل البشري ليفكر في الله والوجود ويخرج
الإنسان من عالم العيب والله الأعريق والفراسة إلى دنيا حديثة مبنية بالحق
والنضجيات . . . وقد وصلت آثار هذه حضارة إلى حوب النيل وعرف

سكان السودان العن الإغريق وآفة الإغريق ولكنهم لم يبدلوا آلهتهم بآلة الإغريق حيث لم تكن هناك سيطرة لهم على السودان إنما المعاملات التجارية التي كانت قائمة بين المملكة المصرية الرومانية والمملكة السودانية النوبادية التي عاشت حتى بعد القرن الثالث الميلادي في حين وقف نمو الحضارة الفرعونية في مصر من القرن السادس قبل الميلاد .

كان المجتمع المصري هو مجتمع "بلاط الملكي وحشده وحاشيته ومجتمع الفلاحين الذين يخدمون هذا "بلاط . . . العن والفكر للذين يدورون حول القصر أو الذين يسكنون فيه أما بقية لشعب فهم عبادة الآلهة وزراعة الحقول . . لياكل السادة ويجبون الضرائب ويعشوا في عالم آخر قائم على عرق هؤلاء الأشقياء الذين رأوا فيه جنة بالنسبة لحكم المرس الذين حكموا البلاد بالبطش والإرهاب .

في ظل هذه الحضارة التي امتدت من شمال البحر الأبيض المتوسط إلى جنوبه حتى عمت النيل طهر المسيح منافس حديد لآلهة هذه الحضارة . . ومع الإنجيل الذي حير الفلاسفة وأهل الفلسفة في معتقداتهم وآراءهم .

إن ظهور المسيح لا يمكن أن يكون حدثا سهلا بالنسبة لرجال الفكر والفلسفة في ذلك العهد . . فقد جاء رسول بعقيدة تحالف كل فلسفاتهم وأفكارهم . . كما أنهم وجدوا أنفسهم في مكان إمتحان قاس بالنسبة لبقية الشعب الذين يستقنونهم في آراء هذا الرسول كما أن موقف الكهنة من هذه

الديانة السماوية الحديثة أمر ليس بالسهل . وأخذ الصراع الطبيعي بين
المعتقدات القديمة والديانة الحديثة زمتا ليس بالقليل حتى سادت المسيحية
وأصبحت ديانته الدولة وفرضت نفسها على بقية الشعب وامتدت إلى المملكة
السودانية الفرعونية التي أثرت فيها وبهلت دينتها في القرن الرابع
الميلادي حتى وصل هذا الأثر إلى داخل السودان . إلى مملكة علوه قرب
مدينة الخرطوم .

دخول العرب والإسلام السودان

سنبحث بعد الآن في نوعين من المؤثرات على حياة المواطن السوداني أولا دخول القبائل العربية - كقبائل لها عاداتها وأخلاقها ووكرها الذي يختلف عن فكر وعادات وثقافة المفاطيق الحديثة التي ارتادها العرب مكرهين أو راغبين وسنحاول أن نمتع المؤثرات التي خلفوها على الجماعات السودانية في شمال وشرق وغرب السودان كما سندرس أثر الدين الإسلامي كدعوة جديدة جاءت إلى قرى مسيحية وقبائل وثنية . .

دعوة جديدة تدعو لوحداية الله وعبادته . . وسنرى إلى أي حد كان دعاة هذه الدعوة أو رسل هذه الرسالة توفقوا إلى توصيلهم إلى هؤلاء الأعراب عنها، وكيف استطاعت أن تحل مكان الوثنية ومكان المسيحية في الشمال وفي وسط السودان.

عرفنا أن زحف القبائل العربية بدأ بظهور الإسلام في أفريقيا وأوروبا من أجل نشر الدعوة الإسلامية ثم هروبا من العصبية السياسية من إلتصار لدعوة الاموية والعباسية والفاطمية .

وقد كانت مصر هي نظر أمير المسلمين عمر بن الخطاب حين دخل عمر بن العاص ناشرا الدعوة الإسلامية في أقوى دولة في أفريقيا في ذلك الوقت وفتح الطريق للقبائل العربية لتنتشر خارج حدود الجزيرة العربية .

دخل عمر بن العاص مصر عام ٦٤١ ميلادية ولم يكن دخوله إلى مصر دخول

عابر أو احلال دين مكان آخر وعملية التحويل نفسها لا تأتي بالقوة أو بين يوم وليلة
أنه تغير في معتقدات الناس وفي معاملتهم .

وإذا كان دخول عمر بن العاص إلى أفريقيا عن طريق مصر يعني أولاً عزل
أفريقيا عن حضارة شمال البحر الأحمر المتوسط التي سيطرت عليها منذ عام ٣٣٢
قبل الميلاد ففتح الاسكندر المقدوني مصر ودخول الحضارة الاغريقية لمصر
وأفريقيا ثم أعقبه لرومان من عام ٥٤ ق م إلى ٦٤١ ميلاديه .

إذا وضعنا في اعتبارنا أن المنطقة النيلية التي قامت عليها الحضارة والمباني
الفرعونية تمتد من الاسكندرية إلى النيل الأزرق بالسودان لأدركنا أن سيطرة
الحكم على الاسكندرية أو القسطنطينية بالنسبة إلى الإنسان أما احتضار كل هذه المملكة
ذات الحضارة القديمة لحكم الشمال أو ثقب الجنوب لهذا الحكم الجديد الذي
استولى على مقاليد الحكم في الشمال . . . وستطل الممالك الجنوبية في ذعر وخوف
وترقب فتتظر زحف هذا الحاكم الجديد على مصر أن يغزوها . وإذا لم يحدث
الغزو يحدث المفاقم والتمارين ، وهذا ما حدث كان جنوب النيل ليس يتوضع
هام الاغريق . للرومان رغم أن رحله هيروذوت في القرن الرابع قبل
الميلاد تكشف لنا رغبة الاغريق العارمة لمعرفة منابع هذا النيل ومحاولتهم
للسؤال عنه أو استكشافه . هذا يضاف إلى أن قساسة هذا النيل واسطوريته
عند الاغريق . وما وصل إلى اسماء عن وتسميتهم ل منابع القمر البيضاء ،
والتي رجح أخيراً أنها تعود بضمه جبال المنجاريو وشلالاتها . . . وهذا يكشف
لنا إلى أحد هؤلاء المكتشفين الاوائل قد قرب من هذه المنابع أو أن
المعلومات قد وصلت إليهم . . . أو أن تصورهم قد بلغ هذا الحد الرائع
لنسابع النيل .

هذه الحضارة المدمرة التي كانت قائمة على شفاء النيل وكان لها أثر مباشر على جنوب النيل كما جاء سابقاً يمكن أن يكون زوالها بسبب عاصفة تغطي على القديم وتترك المكان مسطحاً للجديد لميت بل العكس إما عمالية صراع رغم الغلب الظاهري الذي امتز به العرب والاسلام على شمال أفريقيا .

ولكن فرض الثقافة العربية والاسلام والحضارة العربية مكان المسيحية وحضارة شرق البحر الابيض المتوسط وشعوبه ليس أمراً هيباً ومسيراً يتم في عام أو أعوام بسيطة . أن الجيش الاسلامي ربما يدخل ويفرض الحكم الاسلامي وربما ينتشر الجند في كل بقاع المملكة ... ولكن الحياة العربية لن تظهر إلا بعد أن يغلب هؤلاء العرب عددياً وعسكرياً وفكرياً على الواقع الموجود . وهذا ما يكتشف لنا دخول العرب السودان في جماعات كبيرة ظاهرة بعد سبعة قرون من دخولهم مصر رغم أن عمر بن العاص (عام ٦٤١) أرسل عبد الله بن السرح لأمين الحدود الجنوبية من المملكة المسيحية والقبائل الجنوبية لضمان سلامة مملكته من الجنوب ومحاربة بعض هذه الدعوة للجنوب . . ولكن لقته امكانياته للتوسيع جنوباً اكتفى برسولته عبد بن السرح بعد أن ضرب دققة بالمجهنق بعقد معاهدة صلح مع حاكمها بأن يعترف بالدين الاسلامي ولا يعاديه . . وان لا يقف ضد من يؤمن به . . وهو بذلك ضمن حرية اعدائه المسلمين في ذلك الزمان . المسيحية . . كان هذا أهم حادث في تاريخ السودان الاسلامي . وأن يفرض الحاكم الجديد على مصر على حاكم شمال السودان المسيحي بأن يحترم الدين الاسلامي . . وأن يحترم المسلمين ويتركهم لآراء شعائرهم وقد كان من حسن حظهم أن هذه المملكة المسيحية لا تملك من المنفعة أو المعاومة لها المانع الجديد الذي أزهاه فوجاته كل ممالك اقاليم وأصبح يرعب كل ملك ينتظر قدومه .

كانت معاهدة بن السرح هي وضع الراية الإسلامية بن فباب الكنائس في أرض السودان في النصف الأول من القرن السابع الميلادي .. وعاد راجعا بعد أن ضمن حرية العبادة للمسلمين ولكنه في الحقيقة لم يكن هناك مسلمون فهم دعوة جديدة دخلت عليهم بالقوة ولكنه ظاهرة التسامح والعقد الذي أعطاه بن السرح لما كدولة فتح الباب لهذه الدولة أن تدخل قلوب المواطنين في أرض مسيحية متعصبة لمسيحتهم وربما غاضبة لاهزام مصر المسيحية أيضا وسد الطريق أمام هذه الداء إلى الاسكندرية والامر الذي قاد لحرق هذه المسيحية في حدودها وربما عزلها عن العالم المسيحي المشط الذي كان يعمل في شروق البحر الأبيض المتوسط لتنشيط رسالة المسيح وتدعيم الكنيسة المسيحية وزعامة أور بالمشراعية لمسيحية .

في القرن السابع الميلادي خضعت مصر وشمال أفريقيا للإسلام ولسيطرة الحكام العرب والقبائل العربية والتكاثر عدد النازحين العرب في شكل جيوش أو متأخرين يذهبون حيث امتدت دولتهم الإسلامية فالحكم العربي على هذه البلاد فتح لهم باب الهجرة والنزول بين هذه الأمم حتى سيطروا عليها وفرضوا لغتهم وأغلب عاداتهم

أما في السودان فلم يحدث غزو الوضع دولة سلامية عربية كما حدث في بقية البلدان التي خضعت للإسلام والحضارة العربية وكل مقوماتها فقد ظل السودان في شدة سلام من هذا الغزو الإسلامي والحضاري مكنتها بعزلتها المسيحية .

ولكن هل يقف الإسلام والعرب عند ذلك مصر ، بالطابع لا .. فقد امتدت

الطجرات العربية لتأمين الحدود الجنوبية لهذه المملكة الإسلامية التي لها وضع إستراتيجي بالنسبة لماصمة الإمبراطورية الإسلامية العربية وبالنسبة لشمال إفريقية وإسبانيا .. وكانت مصر ملق مركز هام لهذه الدعوة ولهذا الانتشار العربي .

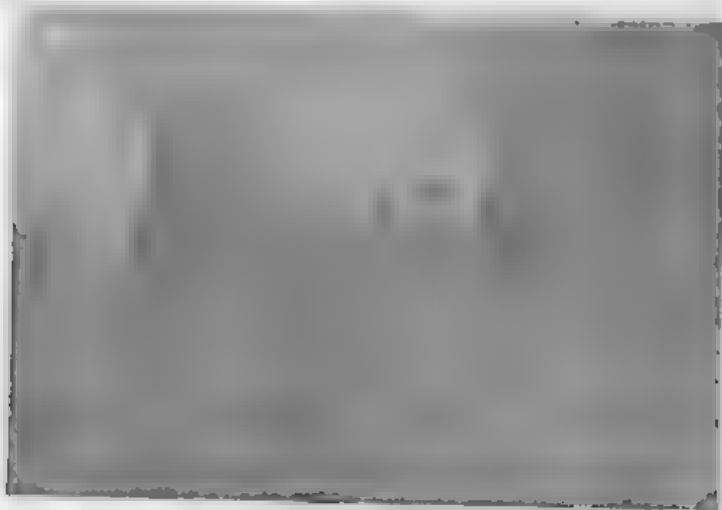
أن ظهور العرب و أى مكان أ. بين أى محركات لا يحدث في لحظة . . . وإذا أردنا أن نتصور أو ندرس التاريخ كما هو ، علينا أن نسأل أنفسنا بعض الأسئلة كيف كان يعيش هؤلاء العرب مع هذه المجموعات . . . أى حرفة كانوا يتكسبون منها قوتهم . . . ما نظرتهم للقوم الذين بينهم وما نظره القوم إليهم . . وما صناعه هؤلاء القوم . . . ما هى العلاقات الاجتماعية بين هؤلاء السكان وما معتقدتهم . . هل وجدوا هناك ثقافاً بين طباعهم وطباع العرب — هل وجد العرب منهم طباعاً نعلمهم يتعزلون عنهم أم وجدوا تقارباً بينهم في الملامات والأخلاق حتى سهلت عليهم عملية التدايش والتعامل . . . اللغة التى كان يتكلمها هؤلاء القوم قبل قدوم العرب هل كان يعرفها العرب — هذه كلها أسئلة يجب أن نتصورها حتى يمكن أن نتصور حركة التاريخ أما إذا حاولنا أن نبدأ بعد غلبة العرب والإسلام إليهم . . . فستضع علينا ملامح المجتمع الجديد الذى جاء نتيجة هذا الزواج والاعتزاج .

ولنضرب مثلاً أن جماعة العرب التى حكمه أسوان كيف توسر لها أن تحكم أسوان . . وحتى تظهر لنا في القرن الحادى عشر الميلادى مملكة عربية كنزيرة تسيطر على جنوب مصر . . . هل حدث هذا الحكيم في لحظة البصر وأصبح حقيقة واقعه أم هناك تدرجاً حدث حتى حدث هذا التغلب .

والصورة يحدث كما بلى . . . وهو تغلب العرب المسلمين على مصر دوح لمرض



من قارب رومانية تمتد إلى حدود وادي النيل بحضارة النخلة
صيف إلى شاطئ حوض النيل بمكاريات حضارة نيل البحر
الأيض المتوسط.



الحيرة من الحفوفات انفسه . ضياء أثار النخلة

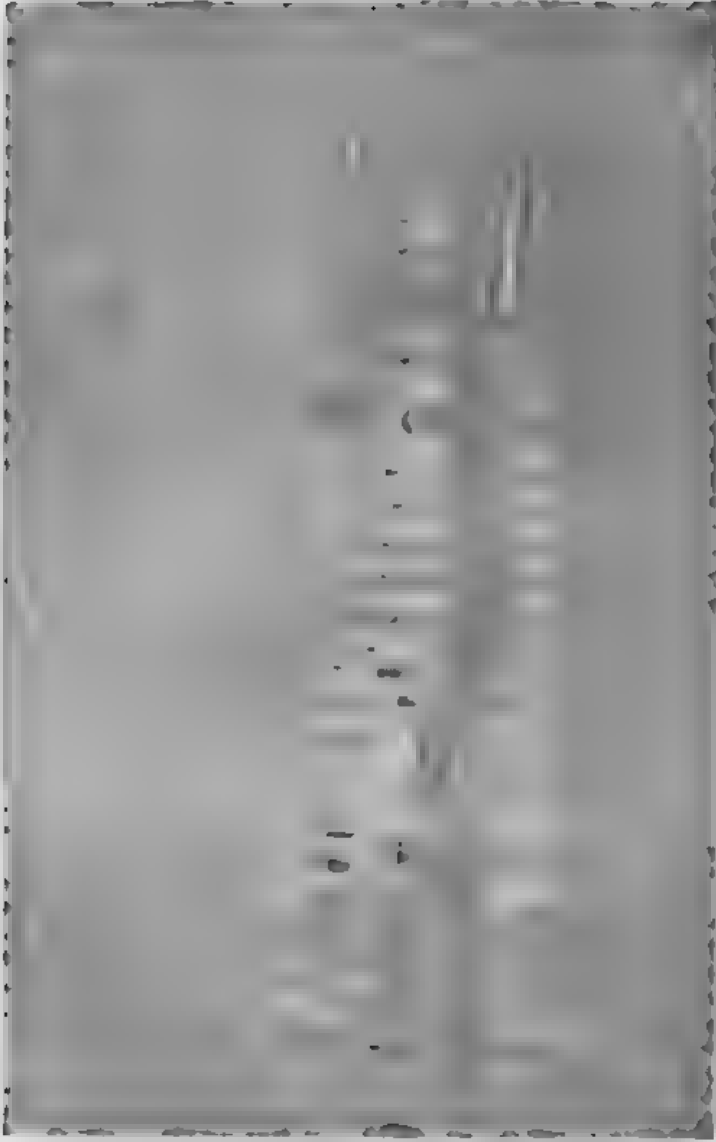


الفن المسيحي والقبلي بالمديرية الشمالية . .

الممثل في حضارة انسان النيل.



المنطقة المحيطة بالمسجد الكبير في القاهرة
التي كانت من ممتلكات الدولة العثمانية



أطلال مدينة سواكن مبدية - لبحر الأحمر في شرق السودان واجهة الحضارة العربية في الشاطئ
الآخر من البحر الأحمر.



الفن المسيحي والقبلي بالمديرية الشمالية ..

الممثل في حضارة انسان النيل.

حكّام على المراكز الكبيرة ولما كانت أسوان من المراكز التجارية اقامة بين حدود مملكة مصر . . . وممالك النوبة المسيحية ولما جاء التجار به عن طريق القوافل لبيع حاجيات أهل السودان لمصر وحاجيات أهل مصر للسودان . . . وتمرور الزمن وفترة هذه الممالك الجنوبية كثر عدد العرب بها . . . وحينئذ كثر عدد العرب بها . . . رجع إليها بعض مجموعات القبائل العربية التي كانت تجدد في ظل الممالك العربية هناك وحماية لها من اى منطقة أخرى

وحينما كانت علاقات أسوان بممالك النوبة دائما في نخرش بسبب الدين والقوافل التجارية . . . ولم يجرم النوبة إلى حدود هذه المملكة المسلمة . انتهى الامر بأن تغلبت المملكة الجنوبية الاسلامية على ودع المملكة النوبية المسيحية وقرض دية عليها .

إذا اعتبرنا الفتوحات الاسلامية هي البداية العظيمة لهجرة العربية خارج الجزيرة و بمجوسات كثيرة ولو اعتبرنا أن العرب وصلوا إلى حدود المملكة المسيحية السودانية دفقة في النصف الأول من القرن السابع الميلادي . . . من اصطدامات هدمت قبائل كنانة دفقة رجع العرب لمصر الحدود المصرية وأقاموا في أسوان قاعدة جديدة للحرب.

وفي القرن السابع الميلادي كثر في روايات عن بلاد النوبة والبيجة وبهمسة والسودان في كثر العرب في كائنات قائمة على الرواية والاعمال وهو أمر له الآن معروفا من قبل وظهر اسم القبائل السودانية في روايات كثيرة وانتباكت مع العرب بعد القرن الثالث لهجرى الامر الذي يجعل نفق عند امير كقاعده 'ملاقى العرب والمسلمين داخل السودان .

شديد العرب بأسوان حصناً قوياً ضد غارات النوبة والبحر وسكنت القبائل العربية في المناطق المحاذرة لاسوان وذلك بعد حكم عثمان بن عفان الذي في عهده عقد الصلح بين النوبة والعرب على أن يدفعوا جزية سنوية قدرها أربعمائة رأس في السنة

النوبة :

عرف العرب السودان بأرض أريه جنوب أسوان إلى ... عنتقي النيلين الأبيض والأحمر كما أصدر الناحية إلى أرض أريه ... وذلك كان سكان السودان عموماً بالنسبة إليهم نوبة وقد عاشروهم وعرفوا كرم طبعهم مما جعل النبي (صلعم) يقول من لم يكن له أخ فإني أخ له أحاً من نوبة

وعند ظهور الاسلام على حدود السودان كانت هنالك عن شمال ملكة النوبة المسيحية وعاصمتها دنه ... وفي الجنوب ملكة علوه المسيحية أيضاً وعاصمتها علوه (سويه شرق الخرطوم) ... وهذه المنطقة الشمالية حتى جنوب النيل كانت تخضع للمسيحية في حين كانت قبائل البجة المنتشرة في وادي النيل الأحمر وغرب النيل حتى حدود أسوان طبعاً للدرعي وهي قبائل وادية لا يجمعها ملك إنما لكل قبيلة رئيسها وهي قبائل كثيرة منتشرة .

وقد عرف عن قبائل البجة المنتشرة إنها قبائل شرسة ميالة للقتال والنهب وقد كانت كثيرة الغارات على طرق القوافل التجارية ولعدم انضمامها ، وخضوعها لحاكم كبير كانت تتصرف هذه المصروفات الفردية التي لا يقع معها سلف صالح أو صلاح إنما كانت هذه للأنبياء ثم تبيع طبعها احتوايه ... وهذا السبب يكفي حاجتها المادية لحيرات الأرض لتعييه بما يصبه مصر أو أرض السودان .

أما النوبة فقد جاء في معجم البلدان للأمام شهاب الدين بن عسكارة بأفرت بن عبد الله الحموي الماتوفى عام ٦٢٦ هـ . (أن أنوبة بخلاف ديانتهم المسيحية القبطية) (بما قبله) كانت حالته الاجتماعية متدنية وكانوا أصحاب أبل . بجانب وبترو وغنم ولما حكم خيل عتاق وللعمامة براذين وفي بلدتهم الحنطة والشعير والدرة ولهم نحل وكروم ومقل وأراكي) .. وهذا الوصف لا يتفق مع سماك أنوبة إنما ينطبق على أرض — العربية عامة التي أعظم العرب ومساكنهم أن النوبة كانت لهم ماشيتهم وكان لهم زرعهم . لهم قديم مقعدهم . النوبة ومدينة مدمنة ودولة متحضرة عريقة لها تراثها وحضارتها . كانت دولة حربية أو بحرية متفجرة كما في شرق السودان .. وهذه الحضارة أحدث لها مراكز داخل السودان حيث امتدت مروي القديمة قريب شندى ثم حين ظهرت المسيحية انتقلت الحضارة إلى الجروب عن ضفة النيل الأزرق عند مدنتي الدين في هذه المساحات الكبيرة لم تكن بحبوكة أو منزلة أو بدائية بل بالمدى لها قوتها وتنظيمها ودينها وأصلها الخارجي .

ما في شرق عقد كانت عند قبائل المتحددة من لوجه . . . نوبة عرقية لأندين حاكم أو ملك أند لكل قبيلة زعيمها . يحكمها قاديو أو قادي . كل ما كانت هم أن قبيلة ودية كانت لهم مكانة عند القبائل الأكرن وكان يحشى بأسها وقوتها . . . ما لقبائل الصغيرة فهي لاسمك تمارك مع حصنها " بعض أس من حن أو من حل الرمن أو من أجل المهلب ودية المشية القليلة الحراسة الضالة .

هـ - في الخط مرص من وجه تحول لإسلام وتغرب من . . . مدينة مسيحية قديمة ذات حضارة عريقة ودية حديثة ودية متطه

قيمة عمرها أربعة عشر قرناً أقدم من حاضرة العرب وهي في شمال أفريق
و أعرق . . . تضم في تل قيمة أصيلة ذات تماثيل وشجاعة جعلتها تحتفظ بمكانها
بعيدة عن لسيطرات الحارحية التي خيمت على مصر فخرية هذه الشعوب ليس
بالأمر الهين واحضائها ليس أمراً سهلاً لأنها قبائل قديمة عرفت الأمر
والقتال ولم تستسلم يوماً . . . وبما كان دخول العرب من النيل ليس
أمراً سهلاً أمام مجموعات لها دينها وبأسها واستعدادها ومما لعتها الخاصة .
أربعة عناصر قوية ترحب بدخول "عرب والإسلام من النيل" . الحكومة
تقره بريقة الشعوب المتبعة على هذا الصدد والتي لا تخضع بسهولة .
واللغة المتعلقة عن اللغة العربية . ثم تارة المنسجمة التي بسطت مودها على
طول النيل .

هو ما يخص حبه النيل أما ما يخص احبة سرقية في تلك القدرات البدوية
المتعددة المشاكسة . . . فلو كان هناك من يحكم هذه القبائل لا يمكن إحصاء
الملك بالقوة بالهسيب من قوة وبذلك يمكن إحصاء جميع قبائل . ولكن
الأمر هنا أصعب . فهمة الدولة الإسلامية ليست سهلة . . . فعليه أن تصح
جميع هذه القبائل توجهه نحو الأخرى . . . هذه من ناحية السيطرة على هذه
القبائل . . . وبأنى عصر آخر هو الماع وهذه القبائل لا تتحدث لغة العربية
بما يجعل مهمة التناغم معها أمر أصعب . . . وتعليم الإسلام أصعب . . . وهي اعتقد
المشاكل فكيف يكون فهم بين هذه القبائل وبين العرب المسلمين . . . وكما
أن ديانة هذه القبائل هي ديانة وثنية لا يسهل توصيل هذه الرسالة لهؤلاء الغوم
الوثنيين الذين لا يصدقون إلهاها . . . فلو كانوا يؤمنون بالمسيح لا يمكن أن يهمل
سهولة وبالحد . . . أما أن يخرجهم من الظلمات إلى النور بدون سابق
معرفة . . . أو نهي، لهذا اللقاء وهذه القوة فليس بالأمر الهين .

هـذا هو الخط الشمالى الذى واجه تدخّل العرب والاسلام والعناصر التى حددت من انطلاق العرب والاسلام الى السودان بعد القرن السابع الميلادى كما حدث بسرعة، فى بقية سدان شرق أفريقيا . . . هذا لما جعل العرب يتمتعون بأسوان و يقيمون بها لوقت طويل .. ويكتفون بالجزيرة على مملكة النوبة المسيحية ذات الخيرات والحضارة والتنظيم وتركت القبائل النوبة فى شأنها . ولكن هل استمر الحال على هذا الخط الشمالى صد تدفق العرب والاسلام أم أن لزمن كان له عنصر مساعد فى ذلك .

بعد القرن الثامن بدأت اعداد القبائل العربية تكثر على شمل المملكة السودانية . واصبح العرب أصدقاء للنوبة وتحالطوا بهم . وتدومت بعض القبائل بشكل كبير على هذا الجزء منها ربيعة و جهينة وعكرمة على هـذا الخط الشمالى وبذلك قوت شوكة العرب العددية وأصبح لهم وزن وتحالطوا بسكان وادى النيل وانتشروا على السهول الشرقية وعرفوا القبائل المجاورة . . . ولكثره هذا العدد تسنده دولة قوية . . . أرهب العرب سكان هذا الخط الشمالى وسحوا لهم وحبوهم يعيشون بينهم يشاركونهم فى التجاره وخالطوهم . وبرز جيرانهم لاشك تحتى الطرقة الغربية للجانب الآخر فالعرب اللاوائى الذين سكنوا بأرض نوبة لاشك كما وانظروا نظرة غريبة للنوبيين . . . ولم يعرفوا عندهم عبدا . . . كما أن النوبى كان ينظر للعرب كمعصر دخيل عليهم يحافه لهم نهو يحالفه ويتحاشاه ولكن أحماد هذا الجيل الاول جنبا يشمون مع بعض محدثين أنفسهم مع بعض تحتى حدة هذه النظرة وبرزوا السنين تقارب الاحلاق والعادات والنفوس وهذا ما حدث ، وحتى النوبة أن يسكن لعرب بينهم ويسيروا فى ديارهم ويقبضوا شئائهم حووا فى البدايه . . . وصداقة بعد مرور السنين واكتسب هؤلاء المستوطنين كان لابد من أن يتزوجوا منهم . . . واكتنهم لا يزوجونهم بأنهم للنوبى المسيحي والاعتزازهم بمعصرهم العربى . . .

ولكن الأجيال الجديدة التي وادت في الوطن الجديد ولم تعرف شيئاً عن تقاليد وألاق الوطن العربي القديم ولم تتمسك بهذه الثمرات إذا أسلم أحد النوبيين .

الذين وفدوا إلى السودان في القرن الحادي عشر

وبتدق هذه القبائل رويداً إلى الجنوب كان أعضاؤها للمملكة المسيحية والدين المسيحي وبداية لهابة الدولة المسيحية . . . في القرن الحادي عشر قامت دولة بني كنز أمرة إلى كبر الدولة وإلى الحاكم بأمر الله على أمانة أسوان فقد أقام كنز الدولة دولته العربية عند أسوان وقويت شوكته في حين كانت موارد الدولة النوبية تقل ليدخل العرب في الحياة المعيشية ولكثرة عددهم في الدولة وعدم إمكان تحصيل جزية منهم ولمشاركتهم في التجارة . . . لم يرسل حاكم دنقة الجزية لأمير أسوان الأمر الذي قاد لاعادة تأديب هذا العاصي ولاظهار قوة العرب المسلمين من جديد في القرن الحادي عشر .

وبقوة هذه الدولة الكنزية كثرت القبائل العربية من ربيعة وجبنة كما ذكرنا وأصبحت درعا منيعاً لهذه القبائل بأن تتجول وهي واثقة بأن خلفها أمانة لها وزن في الأرض المحبولة وهذه القبائل المتعددة المشاكسة فهي رغم ذلك تخاف القوى الذي في استطاعته أن يبطش بها .

هذا يبين لنا كيف كان دخول العرب من جهة النيل عند النوبة بعد أن أصبحت أسوان أمانة ومركزاً تجارياً هاما في هذه القوة جمع إليه كثافة السكان ، ففيه تجارة مصر . . . وبضائع السودان وبضائع العرب . . . فن السودان كانت الماشية والعبيد وريش النعام والصمغ والنزرة والذهب والعاج والبلح . . . وهي الشمال كانت المنسوجات وبضائع الهند والسكر والودع وما شابه ذلك مما كان ينفع الأهالي الجنوب والمناطق البعيدة التي يجلب منها من القيل وريش النعام والصمغ لتبادل السلع عالية . . . وكان الذهب من

أهم هذه المواد .. وكان السودان مركزا هاما لهذه الساعات .. وما ساعد
تسكك العرب ظهور تبر الذهب في أرض الماعدن ووادي العلاقي شرق أسوان
.. وكانت هذه المناجم التي يخرج منها تراب الذهب ملكا لرؤساء
القبائل النجاوية .. ولكن حاجة الإنسان المعيش وللحسب جعلت القبائل
العربية تزحف نحو هذا الوادي .. وزحفت لقبائل العربية أول زحفها
إلى الشرق ثم إلى الجنوب وكان وادي العلاقي وأرض الماعدن هو بداية هذا الزحف
وكان ذلك في القرن التاسع الميلادي .

وكثر عدد القبائل العربية بين هذه القبائل النجاوية .. ولاسك أنها
في البداية لم تستطع القبائل النجاوية هذه الهجرة .. وهذا ما حدث أن شنت
القبائل النجاوية الغارات على هذه القبائل وعلى شواطئ النيل الأدنى أزعج
أمير أسوان فأرسل إلى المتوكل على الله في بغداد يشكو أمرهم فأرسل إليهم
هذا محمد بن عبد الله القمي ، واشتبك معهم وهزمهم ، ثم عقد صلحا معهم ..
بعد أن قتل زعيمهم .. وأفتدب ابن أخيه ليذهب لبغداد ليأخذ بلط المتوكل
على الله :

وكان هذا العقد الذي وقع في القرن التاسع الميلادي هو جواز مرور للقبائل
العربية والسماح للإسلام أن يدخل السودان من الشرق وأن تقوم شعائره
ولا يؤدي المسلم -- كل هذه الضمانات التي أعطيت للعرب المسلمين كانت هي
أشارة دخول للعرب وللإسلام وبذلك كثر تدفق العرب من هذا الجانب حتى
وصلت بمرور السنين إلى أرض البطانة عن هذا الطريق .

كانت قبيلة الحدار به (عربية أصلا) وهي من القبائل السكيرة في
هذا الخط هي أول من عمد للصالح وأسلم بالجواري ومن هذه العلاقة أقيمت

الشعائر الإسلامية وصاهر العرب زعماء هذه القبائل ليأمنوا شرهم . . . وبهذه الوسيلة دخل العرب في حياة هذه القبائل وتعلموا عندهم . . . وانتشر العرب من هذا العراق طالما للمرعى أو بحثا عن الوحده أو المرعى الجيد أو لحق زعامة لملك قبيله عربيه بعد أن أصبحت لهم السيطرة العددية والتزاوج مع هذه القبائل ليجدوه التي تشاركهم في نفس المناخ والحياه المهبشيه .

وحينما أصبح القبائل العربيه السيطرة على هذه السهول الشرقيه حتى ميه . عذاب شجع هذا الهجرة العربيه لكثير من القبائل امريه من جوبيه وريعه منهم من سار حتى النيل من جنانب لصفه الشرقيه حتى وصل العرب إلى ملتقى النيلين وساروا غرب النيل .

أما من ناحيه غرب السودان فقد كال الأمر يختلف عن الشمال . . فقد انتشرت القبائل الزنجيه جنوب الصحراء الاثريه قبل طهر الاسلام . . . عاشت حياه بدائية في الاول ثم تطورت هذه المجموعات بسرعة أكبر من مجموعات جنوب السودان الى وفرت الطبيعه دون استقرارها أو ربما خيرات الطبيعه للمجموعات الزنجيه التي لا تكاد جمدها التي عطلت الخلق والانداع . . . وقد وفرت الطبيعه للمجموعات الزنجيه التي تسكن جنوب السودان كل الخيرات من ثمر وأماكن طيبه وحيوان بأقل جهد . فالأرض خضراء كثيفه بها شتى النباتات والأشجار المثمرة التي ساعدت تلك المجموعات على الراحة . . . والطبيعه لم تطلب منها الذهب لغرس الجيوب ورعايه الخمول . . . وقد منحتم الطبيعه هذه الميزة لبوفر طاقته ووقته للدفاع عن نفسه من الوحوش الممترسة التي تعيش معه داخل الأشجار والحشائش والمستنقعات فلو فرضت عليه الطبيعه الواجب الطبيعي للبعث والتعب والاجتهاد في لقمة العيش من غرس وحصاد . . الخ

كانت مكنت "لوحوش" ضاربة من صيده ولما وحده الوقت الكافي والطاقة لمحاربتها والمهروب والاختباء منها .

أما في غرب السودان والأراضي سافنا تحتمل اختلافاً مناخياً ونباتياً عن منطقة الجنوب وأرض الجزيرة التي كانت فيها مضي كثيرة الأعشاب والأشجار والمستنقعات . . . والأرض في غرب السودان رملية . . . وبها بعض الجبال والوديان مما يساعد على الزراعة والرعي وهذه الحفرة تكون المجتمع الزنجي الغربي الأول الذي امتد جنوب الصحراء حتى النيجر والسنغال .

ولكن حل هذه القبائل لم يستمر كما تحب وقد حدث ضرب سياسي غنيف في الدولة الإسلامية . . . سقطت دولة الأمويين بعد أن انتشرت عن طول شمال أفريقيا بانتصارها وفيها لتظهر دولة فتية قوية هي الدولة العباسية .

ولم يكن سقوط الدولة الأموية هو سقوط حاكم واحد أو بيت أو قبيلة إنما كان سقوط نظام تملية عصبية راسخة حاده الأمر الذي ملأ النفوس بالحق والكرهية لكل أنصار الفريق الآخر الأمر الذي حمل تدفق القبائل العربية المناصرة لبني أمية هاربة إلى خلف الصحراء الأفريقية أمراً متبرحلاً ومعقولا حتى فرضت هذه الهجرة العربية شخصيتها وكثرتها على القبائل التي تجاور الصحراء مما قاد لانتشار العنصر العربي في وسط أفريقيا ولا انتشار الإسلام بين القبائل الزنجية واختلاط القبائل المواطنين مما قاد لقيام دوليات إسلامية في وسط أفريقيا في السنغال والنيجر وبرنو وكانم ووداي ودارفور .

ومن هنا تبين لنا صورة حدود السودان الغربية التي واجهت هذه الدوليات الإسلامية العربية الزنجية التي تمتد من نهر السنغال فالنيجر وتشاد وبرنو وكانم .

وإذا عرفنا أن سقوط دولة الامويين كان في القرن الثامن الميلادي
وبدا زحف هذه القبائل التي تطاردها العصبية القهيلة الحاكمة والعداء
المذهبي أن توغل في أفريقيا وقد أخذت هذه القبائل وقتا طويلا لتتأقلم مع
المجتمع الجديد الذي واجهته والظروف السياسية التي تحيط بها ولا شك أن
موقفها السياسي فرض عليها السكون وطلب المأجور أكثر من محاولة إثارة هذه
القبائل والا أصبحوا محاصرين بعداوة الحسك العباسي من الشمال ثم الفاطمي فيما
بعد وهذه القبائل الزنجية في شمال ووسط أفريقيا . . .

وحينما وصل العرب إلى هذه الأراضي لم يجدوها خرابا بل وجدوا فيها نظاما
للادارة والحكم والتجارة رائجة . وطرقها سائرة بين الجنوب والشمال والشرق
والغرب .

ومن هذه الدول القديمة قامت دولة وثنية في غرب السودان هي دولة
دار الفور أو سلطنة دارفور قبل وصول العرب من العصر السوداني الذي
استوطن وسط أفريقيا ثم مهد هذا التجمع إلى ظهور سلطنة الفور الإسلامية
فيما بعد .

العرب في السودان الشمالى بعد حكم الفاطميين :

كما جاء فى دخول العرب على غرب السودان ببداية زوال حكم الامويين وقيام دولة العباسيين وانشقاقها بقيام دولة الشيعة الفاطمية على شمال أفريقيا أى بقيام دولة الادارسة فى المغرب وانتقال عاصمتهم من المهدية إلى القاهرة المعز لدين الله عام ٩٧٠ م .

استمر حكم الامويين على شمال أفريقيا ومصر حتى عام ٧٥٠ م حتى انتزعت مصر من يد الامويين الذين لم يمهّدوا لانصارهم من الاستيطان فى مصر بل كانت فتوحاتهم فى المغرب تتطلب أعدادا هائلة من العرب ولذلك كثر عدد العرب الامويين ولم يستقر فى مصر إلا عدد بسيط من الجند وصلوا حتى حدود المملكة عند إسوان ليحفظوا حدود المملكة ويجبروا الضرائب من سكان تلك المنطقة ويحافظوا على عدم غارات النوبيين عليهم

وبأنهاء القرن العاشر الميلادى وبداية القرن الحادى عشر بدأت القبائل العربية التى كانت تقيم حواري إسوان وتحرسها فى عهد الامويين بظهور دولة الشيعة الفاطمية من الهروب إلى الجنوب ودخول السودان بعد أن أصبح الطريق مقفولا أمامهم من الشمال زاد عليهم القبائل التى أتت إلى مصر لمناصرة العباسيين فى حكم مصر - وبدأ نزحت إلى مصر بعد الاسلام قبائل عربية تناصر بنى أمية ثم هربت هذه القبائل للجنوب . - ثم جاء الشيعة إلى القاهرة لإنصارا للعلويين وانشقاقا على العباسيين الذين تسكروا لآل البيت الذين استعلوا الدعوة لهم فى جمع أعداء بنى أمية والاطاحة بهم .

وبظهور الفاطميين على مصر أصبحت مصر ولاية شيعية لا مكان للامويين والعباسيين بها وبدأ بدأ توقف هذه القبائل إلى داخل السودان "شمالى .. وحيث كانت القبائل النوبية المسيحية تسيطر على أرض نوبة فلا مجال لهذه القبائل الهاربة فى هذا الطريق وهى تتحاشا الاحكام بهه القبائل حاشه من العدو الذى يسيطر على الشمال .

العرب على النيل

أنصف ما كما نكل ومحمد عرص محمد فى نسب الجعليين بمجموعة لقبائل لبيبة الميرقاب - لرباطاب - الماصير - الشقية - الجواررة الركابية - أخنفوا فى نسبهم إلى ابراهيم جعل من سعد بن فصل بن عبد الله بن عباس بن عم الرسول صلى الله عليه وسلم - اختلفوا فى هذا "نسب وهذا الاسم وعدد الاحياء التى جاءت بعد الرسول (صلعم) وفى القرب الذى جاء فيه إبراهيم جعل هذا حتى كون هذه المجموعة الجعلية الكبيرة .

ومن نسب ابراهيم جعل هـ.. ذا يظهر لنا نسبة إلى العباسيين ويمكن أن نرجح صحة هذا النسب لحكم "عباسيين نصرى" قرن الثامن الميلادى وانسحاب العباسيين من مصر للشيعه وهروب اتباعهم للجنوب ولا شك أن ابراهيم جعل هذا كانت له المكانة بالنسبة للقبائل "عربية" التى هاجرت إلى الجنوب وجعلت إبراهيم هذا كبيرها وزعيمها نسبة لآلها، لبيت "عباسى" وحضوع القبائل العربية المحبة لآل الرسول ولاسرتة وبذلك جعلته زعيما لها فى مخرجها الجديد حتى بعد أن اختلعت معه فى الطريق بحثا عن مأوى وأرض للسكن وبذلك جعلت أمم هذا الزعيم حيث ذهبت وعملت أبا روحيا لخارج

أنها لا تنتمى إليه في الدم بل بالطانة ولولاء والمذهب السيامي .

وبذلك انتشر اسم إبراهيم حمير على كل قبائل حتى هجرت وسكنت صحراى
النبيل وعبرت إلى كردفان كاخووعه والنجع والبيرية وجوامعه ونفسيات
والبطاحين في الجزء الشمالى من البطانة .

كل هذه المجموعات انتسبت إلى إبراهيم جعل العباسى الذى هرب لا شك
من دولة الشيعة الفاطمية التى قامت في المغرب واستقرت على مصر في قرن
العاشر الميلادى وذلك تمكن أن تؤرخ بدايه روح هذه القبائل للسودان . ترن
الحادى عشر الميلادى بعد قيام دولة السكتوز في إسوان . . .

وبأصحاب كل القبائل التى كانت تنحدر مذهب عباسيين بدأ في القرن الثانى
عشر الميلادى لتنظيم على النبيل وزحفها إلى العرب والبطانة حتى كان قرن
الثالث عشر والرابع عشر حتى ملكت لسهوب والوديان وقويت بالرص من
قبائل النبيل لقلية لعدد من لم تجد من هذه المجموعات مضائق لها في معيشتها
فهاجرت سودان النوبة ما رأت رحيب دهرها من كثافة السكان

مكان غرب السودان ودخول العرب

كما أن هناك منطقتي كردفان ودارفور أدنا قورتنا بمنطقة جنوب السودان
تعد أكثر الأماكن للاستقرار ، فإستراتيجية عنصرها المساعد للتطور والحضارة
فأما من حيث الاستوارة ، ثباتها وأدغتها ووجودها كانت حائل دون
تدفق استقرار سكانها وبناء حضارة . أما في داتين المديريتين فالأمر يختلف
فجنوب المديريتين توجد السافانا الغنية ثم سافانا متوسط من الشمال السافانا
القفاريات عند الصحراء النوبية .

وهناك مناح طبيعية المتنوع المعنى بالوديان والهضاب والأعشاب المختلفة
الصاعدة ، وتسمى وترعه فإذا أفران هذه السول والوديان .

سكان هذه السهول والهضاب والوديان لوسيلة عناصر في حبة عرمت أكبر
بموقعها من السهول في شرق منطقة جبل مرة والداجر ، أو في السهول
في حوض نهر النيل في دارفور والباجرمي ، في جنوب الغربي ، ثم الفرديت
في حوض النيل والسكنجارية في حوض مرة ، عدا فيما يخص ولاجاس الأصلية
التي كانت من منطقة غرب السودان ، وهي الأجناس الأصلية التي كانت تعمر
منطقة السودان ، وهي الأجناس النجدي الأصلية أن تصل إليها الهجرات
العربية .

وهذه الهجرات النجدي عرمت أو سطت أفريقي حتى نهر النيمان . ولا شك
أن هذه الهجرات النجدي أصلي أفريقي وأوسطها جاء نتيجة لنسأل
هذه الهجرات النجدي سكبت لخط الاستواء ، ومن النيل وغرب أفريقيا ، ووجدت

نفسها بين الادغال والحيوانات ، الامر الذي هيا للقبائل التي خرجت من خط الاستواء وأعال الليل أن تقدم في عالم الحضارة والاستقرار وأن تحلف المدينيات وتشيء الدولة بما مهد لحدة الدويلات الزنجية المتقدمة أن تتعامل مع "القبائل العربية الجارية من الاضهاد السياسى وتمتزع بها وتستفيد من حضارتها ، وعليها وتخرج الملك المدينيات الافريقية من عالمها الخفى لعالم أرحب والى رؤيا جديدة وتحتها لهم "عرب الرحمن" بأبلاغهم أن هنالك عالم آخر غير عالم هذه الدويلات المنعزلة انه حصره : واسهل أفريقيا كأن إحتين العالم الذى هرب منه العرب كان موضوع تعليق ودهشة سكان وسط أفريقيا . يسمعون لأول مرة أن هنالك بلاداً عامرة غير بلادهم وأن هنالك ممالك حكاماً وممالك بشر بخلافهم وهذه تلك جنس آخر غير جنسهم وبشرة تختلف عن بشرتهم .

هذه الاشياء البسيطة لاشك كان لها أثرها فى تفتح ذهن سكان أفريقيا إذا كانوا لا يظنون أن هنالك بشر بخلافهم وأن هنالك لادسان له بشرية غير بشرتهم وأن هنالك عالم مسيح يحتاج الوصول ليه إلى شهور وستين من السفر بالجمال والقوافل .

سكن "النجور" والداجو ، كأ كبر قبيلتين أرض دارفور شاركهما كثير من القبائل الزنجية الصغيرة كالقرديت والبرود والباديما وتمركزه وفتحجرو ورونية والمسابط والاباوما والسكنجارو والشلك فى الجنوب لشرقى ولسكننا إذا حاولنا أن نتهدى إلى قبائل الأولى التى سكنت هذه الاراضى ولا شك إنما ان يجد هذه الاسماء الكثيرة التى ظهرت بظهور سلطة دارفور لى وصلت اليها عن طريق الممالك التى قامت فى وسط أفريقيا . وعلى هذا علما أن نظر إلى سكان السهول قبل تكون هذه المدينيات والحضارة حتى يصل إلى القرن الخامس عشر الميلادى .

لما نرجح أن أصل هذه القبائل الزنجية وحب إلى هذه السهول من القبائل الزنجية التي تسكن الأنهار التي تملأ منطقة حط الاستواء وأعالى النيل ، وبحر ووح هذه القبائل للسهول والشمس وحدثت الظروف الطبيعية ملائمة أكثر للاستقرار بل الاستقرار كان هو الحل الوحيد لحل مشكلة العيش قبل أن تعرف مهنة الرعي وتربية الحية لثبات التي جاءت أخيراً وتعلمها الإنسان بعد أن عرف كيف يمزج الحيوأت المفترسة من غيرها . . . حتى كثرت هذه المواشي وفرضت عليه من جديد حياه التجوال . . . والبحث عن مرعى أو وادى .

كان جبل مرة مصدر حياه لكثير من قبائل المستقرة في غرب السودان وعرف جبل مرة بتنوع النباتات لأرضهاته وصلاحيته للزراعة في منحدراته مما ساعد على نمو نباتاته طول السنة وذلك لتنوع مناخه ووجود مياه الأمطار به من ينابيع الكثيره التي تسقى الزرع طول السنة .

وهذا الجبل وثروته كان يجب أن يكون مصدر قوت لسكانه . . . وأن يستفيد المقيمون به لتطور حياتهم ودر صرته خصيتهم بما لهم من الإمكانيات والثروة على بقية القبائل التي تسكن تحت الجبل أو بالقرب من وديانه ولكن ما حدث أن القبائل التي تسكن هذا الجبل انزوت فيه وحرسه من هجمات القبائل الكثيرة الأخرى الطامعة في خيرات هذا الجبل . وأصبح موقف القبائل المستوطنة لهذا الجبل موقف المدافع على طول الرمي بدل موقف المهاجم يتقوى ويدعو أن كثرة القبائل المحيطة بالجبل جعلت من السيطرة عليهم أمراً صعباً إذ يستطيعون أن يفروا إلى السهول ثم يعودون وذلك يعني نزول سكان الجبل من حلالهم لمطاردة المعيرين أو عدم إنتاج ثأل للقبائل أخرى لتتجه من جهات أخرى وبذلك وصل سكان هذا الجبل موقف المدافع عن ثروتهم الطبيعية دون أن يستعسوا منها وأن يستفيدوا من إمكانيات القبائل التي حلالهم أو حصاره الشعوب الأخرى .

ولم يسمحوا باستغلال هذا الجبل الاستغلال لطيب الثمر المفيد بل إستمدوا منه حسب حاجتهم المعيشية وليس حسب حاجتهم الحضارية التي تتطلب منهم بناء دولة ومدنية .

ثم هذا الجبل ، ونفق المياه منه لوديان دفع القبائل النيجية التي عبرت ذلك سهيل لتفتناب منه وتعيين على فخص مائه في رمن صيف . كان جبل موه هو الأمكنة المادية لنسوة السودان السودانية التي قامت في درفور . فقضاء منطقة هذا الجبل كفالت الاستقرار لهذه القبائل بأن تعيش حول هذا الجبل . أو تقرب منه أو لوديان التي تنحدر منه . هذه الشروة الطبيعية كانت السبب المباشر لخلق التجمع الأول للإنسان النيجي في غرب السودان كما كانت ثروات النيل سببا في نشوء الحضارة الأولى وأرض النهرين . الفرات ودجلة سببا لازدهار حضارة بابل في تلك المنطقة كما كانت وديان وأنهار شمال البحر الأبيض المتوسط سببا في قيام حضارة الرومان والاعريق .

لمكتشف الإنسان أن هذه الخبرات بعد سنين التجوال والبحث حتى أستقر به المقام عندما توفرت له أسباب الاستقرار .

ثم انصفه عليه في امره المحيط بجوار موه كانت سبب في حياة السودان التي تنهض في دارفور ووجه تنهض كردفان ووجه تنهض بركة موه في مسيجة بحيرة من الانهار مثل أرض البطانة التي أحسن حالها لوجود ثلاثة أنهار تحيط بها ولما كان الجبل في وسط شبه جزيرة إفريقيا معافا قبيلا صا دنا من السهول التي تقع ذات شبهة حضارة على السهول ثم على السهول في حوض ممتد من السودان وديان وهو وادي النيل أو مدينة سنار .

إذا حاولنا أن نتعرف على الأجناس الأخرى التي دخلت القبائل الرنجة قبل وصول القبائل العربية وتفتحها على هذه القبائل ، نجد في شمال المنس الليبي شمال صحراء أفريقيا ثم القبائل النوبية على ليل ثم دال "شكل في الشرق والجنوب الشرقي . . . وادعوا أن قبائل النوب التي تفتحها الآن إلى بحر الغزال أنها كانت تعطي وسط السودان حتى قرب ملحق ليل وأنها كانت ذات مناعة وقوة ثم من "عرب" ثم الرنجة الأخرى التي خرجت من خط الأسس لمعمر وسط أفريقيا وسكن على الوديان والسهول والجزر والمنازل ما ساعد على سحق ظروف ملائمة مثل الظروف التي إنجحت قبائل الأخرى والمصبرات الأخرى . . . ولكن كتنش في هذه الظروف لانتحاء متأخراً بالمسبة للقبائل الرنجة المتفرقة الأجناس التي سكنت أرض ليل والفرات وشمال البحر الأبيض المتوسط .

إذا يتساوى مع قبائل "عرب" سكان وسط أفريقيا من المسبة الأخرى والاحتماضي يظهر جميع القبائل أو أمماتك لصديرة وسط أفريقيا التي أمدت على الانبعاث والوديان والبحيرات . . . تسكن في شمالها قبائل شكل القوية ، الطريقة التي لا تروى في الابداع عن حرة الليل . . . ويبدو أن احراز قبائل شمال عن الابداع عن ليل هو الذي حدث عن ظهورهم مكنهم حيث قامت على نمط من ممالك غربية عريقة مرون القديمة . وسوية ثم القويج .

إن منع ليلنا بمالكهم عن ليل وفل خطرهم وأثرهم على امت المنطقة البعيدة حول جبال مرة . والذي حدث هو مساهمتهم في تعمير الأرض وتردود وجوب درر من حضارات الحاربة أو القبائل بوحدة عن أرض

حديثة أما في الشمال فقد كانت القبائل النوبية على النيل ثم الغنصر المسمى الذي كان له أثر وغارات على النيل والذي دلت الآثار على أن هناك مدينيات عانت في الصحراء جنوب النيل هل الواحات قبل أن تقضى الزياح الرملية الصحراوية على تلك الوديان والواحات كما أن هذه الصحراء الأفريقية الجرداء اليوم لم تكن قبل عشرات الآلاف من السنين كما هي بل كانت عامرة بالحياة والخيرات والادسان مما ساعد على هجرات كثيرة من القبائل الليبية للجنوب وكذلك كثير من القبائل النيلية للجنوب مما ساعد على أنعاش حركة الحضارة والمدنية في غرب السودان في عصورها الأولى .

وتذكر لنا دائرة المعارف الإسلامية وما كما يدل وأثر ولا من سيجان وبالربعض الحقائق العلمية عن الأجناس التي سكنت وسط أفريقيا بعد ربنا إيمانها هنا قبل مناقشتها .

في هذه القبائل الأصلية التي عمرت أرض دارفور أو أساحو من أدم العناصر التي سكنت دارفور وتعيش جماعات منها في دار صابح ودار مسيريه في جنوب غرب كردفان . . . وهم أول من أسس في دارفور وأن التتجود هم الذين أزاحوهم من وسط دارفور إلى مواطنهم الحالية .

وهذا الزعم الذي ذهب إليه هؤلاء الكتاب يصوب أنه قد عرفت هذه المنطقة لعمران منذ زمن بعيد إذا أدركنا أن العرب كما هو ادولهم الأولى من زواج تمبكو في القرن الحادى عشر ميلادى . . . وصل العرب في ذلك الحين إلى هذه المناطق كما أنهم لم يكتبوا عن هذه المنطقة إلا من الأوانى الذين كتبوا عن المهلكة الإسلامية في غرب أفريقيا هذا الزعم لا . . . على

أما ولا نستند فيه إلى روايات تاريخية حيث لا يوجد أثر مدونه عن
التاريخ القديم لهذه الأجناس إلا التصور العسى أما محاولة هذا الزعم فلا تندم
أى حجة عليه . إذا عرفنا أن هذه الأرض كانت أهله بالسكان قبل الميلاد
ووجود الشكل على النيل والأرض اتى حواله يثبت هذه الحققة .

التيجور : —

ذكر أهل البلاد أن الداجو أول من أسس دولة في منطقة دارفور
وتلاه التيجور ثم الفور . . وزعم ما كى بكل أنهم من الذين ومن علان
وأهم منجى إلى بلاد تشبه في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادى
واشتهروا هناك بأسم التيجور وأسسوا دولة لداجو في جنوب جبل مرة . ثم
بسط التيجور سلطانهم على وادى غرب دارفور .

فأتى ذلك إلى إضعاف سلطانهم في دارفور خاصة ولما انتزعت منهم أسرى
من الفور تسمى أسره وكبرا . . وأسست سلطنته دارفور من الدجور جهات
موزعه بين دارفور ، ومرواى وكام وبنو :

ويبدو أن الذين جاءواهم هذه الآراء اعتمدوا على روايات في زمن متأخر
من أمس لا يدركون معنى آراءه إليه العلية . . في حين يصعب إيمان روايات
عليه لا دل هذه المجموعات إلا فيما يخص بالقبائل العربية أو عربية اتى أسمته
حديثاً إلى هذه الأراضى . . ولكن هذه الأجناس هي اتى عبرت هذه
الأراضى دون أد مؤثرات خارجية كبيرة من التيجور أو اليبين وربما يكن
تذكر تأثير كبير على هذه الأجناس أثر من أم تنصر آخر . .
الذين اتى لا يأتى أن يدل إلى هذه نتيجة كما هم لم ينادوا أن يتصوروا

شلوب اعمارهم ليس يحدث في نهاية الحياة الخصارية ولا انقسام الغيب مثل في قبيله واحده الى عدة قبائل بسبب اشجار والاختلافات لغائيه والبراعة مما يتدفع الى اهل لبنت الواحد الى الروح على اراضي جديدة لتكوين جديده حديده لهم في خلق قبيله بمرور السنين بهذا الانقسام والانشقاق .

البرقو : من سكان وادي ر و ، اتقنت جماعات منهم الى درمر حيث عرفوا مع غيرهم من الجماعات الخوفقه من وادي اسم الحاريت ومعاً هم سكن شرق ووسط دارفور .

الذكور : شعوب من الزنوج يمكن معظمهم من ذرية السواحلية ، تعيش شعبه منهم فيما بين النيجر وبحيره تشاد ولاسيما في مكار ، ورتا ، يكون تكور هي الاسم السديكات معروف به في وقت من الاوقات الحديثة ، القرب من الساحل والمملكة التي كانت ناصتها هذه المدينة وموضعها الآن موهه السديكة ثم انطلق اسم الذكور عن جميع بلاد السودان الى دنجه الاسلام وهي الممتدة من المحيط الاصل الى حدود وادي النيل وتصبحت كلمة تكور في غير العرب مرادفة لكلمة سودان .

الفرتيت : اسمها اطلقه العرب على لقبى التي تسكن أقصى غرب دارفور وشمال غرب بحر الاحمر في اقليم وادي وزعم ما يكمل بينها سكان جبل مره الاصليين وازاحهم الساحر ثم التجوز والعرب من مراجلهم الاصليه في جبل مره الى الجنوب والمرتيت قبائل ستة منها رونجه وسدلا ، ونب ، ووجا .

"البرقو : من سكان وادي وبرنو أصبحت جماعات منهم إلى دارفور ، مع
غيرهم من الجماعات النيلية لوافده من وادي بسم المريت ومعظمهم يسكن
شرق ووسط دارفور .

وفي هذا التعريف تظهر لنا القبائل التي حملت شتى الأشياء والتي سقطت
بعضها "بعض أو" التي أمتزجت مع بعضها رغم اختلاف الاسماء في وسط أفريقيا
من دارفور حتى "التحور ولسعان . وهي قبائل الداحو والتنجور والتكروور
والأنهار المتشابهة في طبيعتها ونباتاتها وحشائشها ومناخها .

صارت هذه القبائل الزنجية صافية "عنصر إلا من بعض الخجرات المبيّن
والتبوين و"شكل ، التي ساعدت في تطور مدينه هذه الجماعات وظهور تلك
المدينة حيث مره قبل ظهور "عرب المسلمين في أفريقيا ووضع تلك الحضارات
المجاورة يسمح منطقيا بالهجرة .

ظهر العرب كما سبق كما ماحرين وفاتحين "الظهور الإسلام في "نصف الأول
من القرن السابع الميلادي ودخول عمر بن العاص إلى مصر عام ٥٢١ هـ .

قد "نشر "عرب على طول شاطئ أفريقيا الشمال في عصر بني أمية حتى
جاءت عام . . وسقطت دولة الامويين لتبدأ دولة العباسيين . هذا الانتصار
للعباسيين على الامويين بعد ستمين من الحقد والريص والكيد شحن "نفوس
و "شحن و"انتصار بشن المشاعر و"كراهية "السياسية التي غلبت على رسالة
الوهابية الإسلامية الحديثة وحتى قادت لثمة قها كما سنرى فيما بعد .

ويتعجب الدولة العباسية على الدولة الاموية في القرن ثامن الميلادي يمكن

لا يفرئك ما ترى من رجال ان تحت الضلوع داء دوما

وضع الحيف وأرفع الموطى لا ترى فوق طمعا أمورا

وهذا يكشف لنا المظهر اللاتقيى الذى ساد على خلفاء العباسيين والحمد
المكبوب عند انصارهم للأمويين الذين أذاقوا العلويين والعاشقين مر "عذاب
والتشكيل"، الامر الذى انعكس على سائر سياسه الدولة فى معاملة جنودها
وانصارها اعمال الدولة السابقة وانصارها .

وقد عمل عبد الله بن علي دلتام ماجال يصدره من سقمه وكثير القيود
وطارد الاحياء . . وأخرج اعظام من القيود وأحرفها . .

بنى أمية قد أفنيت جمعكم فكيف لى منهم بالاول الماخى

يطيب النفس أن النار تجممكم عوضتم من اظاها شر مقتضى

هذا ما فعله العباسيين فى بدى الامر ، الامويين حتى أجلبهم من "مارتهم
وهربوا إلى الأندلس ولآل مر وسد امرة عند دولة لاندلس البعية ، عن
سيطرة العباسيين وهرب من الاعراب من هرب إلى داخلين "أوريقيا طابا
للأستقرار وضمانا لحياته .

رغم الماسك الظاهرى لئى بدأ على الدولة العباسية قبل أن تظهر دواء
العلويين وإنشقاتهم وتكوينهم دولة الماطميين بالمغرب الامر الذى زاد الخلل
سؤا البسية لانصار الامويين . فون كان العباسيون غلاصاً منهم وأكثر
سعداً فى نصيبه داعمون نائراً وحققاً على قتله آلة الميت .

وتقيام دولة الادارسة بالمغرب الاقصى مناصرة الشيعة انتهى عصر الأمويين وانقسمت الدولة العباسية ، طورت عوامل النقص التي دعت الجميع للقضاء على حكم الأمويين واستلام السلطنة وسيان آله البيت في هذا الحق الذي جمع العباسيون حوله لعرب والفرس للقضاء على دولة الأمويين . . .

وفي نهاية القرن الثالث الهجري (العاشر الميلادي) ظهرت دولة الفاطميين الشيعة بعد أن مهد لها الادارسة في المغرب الاقصى وزحف الفاطميون على مصر عام ٩٧٠ م بقيادة حوهر الصقلي في عهد المعز لدين الله وبني القاهرة عاصمة الدولة الفاطمية الجديدة معلناً بذلك قيام دولة شيعية قوية في أفريقيا منفصلة عن كل تدرج من أرض لرسالة الجزيرة العربية ونبت أصبح العرب ساءة شرق أفريقيا وأصبحت الأرض مهددة لاضمار الشيعة الذين كانوا يحلومون بتدريسه آله البيت ، مصرة دعوتهم وعودة الحق إليهم ، قد تحققت على يد الفاطميين تيمناً بعاطمة الزهراء . . . وانتقلت "عصمة" من المدينة بالمغرب إلى أرض النيل وكان قيام كل من الدولتين له أثر على دخول العرب على غرب أفريقيا وعلى السودان الشمال كما سترى فيما بعد .

ويبدو أن الاضطهاد السياسي بقيام دولة الادارسة بالمغرب أدى إلى هروب أعداد هائلة من أنصار الأمويين إلى داخل أفريقيا حيث لا يوجد حكم يساند العباسيين يخشى من غدره ، رغم الدجاء البعض إلى الاندلس . لكن الاعداد الكبيرة التي وازنت الامور وجدت الامان المطلوب هو في هذه الارض الجنوبية وبذلك سارت القوافل داخل الصحراء والوديان والجبال وانتشرت على غرب أفريقيا حتى وصلت السنغال والبيجر ووسط أفريقيا ، ووجدت الطيبية نلائم حياتها وطبيعتها البدوية فعاشرت هذه القبائل العربية في سلام . لم يقل من عددها عدو أو حرب ، وتكاثر عددها بمرور السنين حتى ضهرت في

عام ١١٠٠ م دولة ممبكتو المسلمة على نهر البيجر وحلة لواء الرسالة الجديدة بين هذه الشعوب التي لم تعبد آلهتها من قبل ودخلت الدين الاسلامي في يسر ومكنت للعرب والاسلام من ان يستقروا في وسط أفريقيا . . .

لاشك ان قيام دولة « ممبكتو » لم يمكن قيام دولة اسلامية لها قوة القاهرة أو بغداد بل كان بدايه تكوين الحق نظام للجماعات المسلمة التي تكاثرت على نهر النيجر . . . وغلقت أول بركة لدولة المسلمين بين الزوج وللعلم المنصر العربي على زوج وسط أفريقيا والاصار فيهم . . .

ظهرت دولة ممبكتو وقبائل وسط أفريقيا تعيش بقانون القبلية ، وتطور بها الزمن حتى ظهرت دولة مرتو وكانهم ووداي ودارفور على نفس الخط مائة وسط أفريقيا بدويلات صغيرة لم تعرف الاسلام في بدايتها ولم يستطع العرب المنتهين إلى أفريقيا النجرو على سلب مملكة تلك الدويلات أو التي عاشوا بجوارين لها أحسن جوار مسلمين محاولين الابتعاد والتعمرش بهذه الجماعات قدر استطاعتهم . فهم في موقف لا يحسد عليه وأخير دبره افاضمين وبسط نفوذها على كل الطرق ما زالت تصل اليهم وقفل طريق العودة لذا رفضوا الدخول في مشاحنات تضرهم إلى الالتهام إلى أعينهم تسعة .

وبذلك كثر عدد الاعراب حول قبائل جبله مرة لآنية من ايديا وعاشوا مع آلامهم ورعبهم على الوديان مبتعدين قدر المستطاع عن هذه الوديلات الزنجية وعمرزوا السهول الشمالية . . .

وحيث لم تكن لهذه الدويلات سلطه واسعة نجحهم فلم يستطيعوا طرد

هؤلاء الاعراب ، حيث لم يفكر هؤلاء الاعراب في مضايقة هذه المجموعات في أراضيها ورزقها حيث كانت الارض واسعة لمجموعات أكبر . وما زالت تلك السور كافية لمجموعات أكبر ولاعداد هائلة من المهاجرين . . .

وقد انتهت مشكلة التراجع على الاراضى وتقرت التى لم لو وجدت لتحتت صراعاً عيقاً بين هذه القبائل المستوطنة وبين التماس القيمة حول الخيل والوديان والانهار . . .

وبما ظهر العصر العربى على حدود دارفور شمالية ولم يسكن لها لتاريخ أى شىء عن "العلاقات الاولى وأثر هؤلاء العرب على عصر الترجمة من تحكيم دارفور . . . لا روايه المعقود الذى يرجع اليه أسلاف دولة دارفور وادخال الدم العرب على البيت المالك .

ظهر الاسلام فى منطقة دارفور وكردفان ، بظهور "عرب على الحدود الشمالية على هاتين المدينتين ، وتوغلهم داخل هاتين المدينتين من ساحل السلطنة القديمة على شعوب هذه المدينتين من المدينتين بدين هؤلاء العرب وعلماهم الذين أوجدت علاقات ماع علمه القبط "سودانية .

وما تحكيه الروايات التاريخية أن السلطان سولجى هو حاكم مؤسس سلطنة النور الإسلامية فقد إقسم سليمان سولجى حاكم كردفان ودارفور مع أحيى المسيح أخذ إقليم كردفان . أخذ هو إقليم دارفور وأن السلطان سليمان سولجى والذى تدعى بعض الروايات انه حفيد أحمد منقر من بنى هلال الذى تنقره أخيه فى ضريقتهم إلى المغرب فمر بعبيدة إلى دارفور وشارك بعلمه فى تنظيم سلطته العور حتى زوجه سلطان النور من ابنته وبذلك دخل الدم العربى على الدم

الرونجي . ومعه دخل الاسلام . وهذا التاريخ غير واضح للمعالم وسايه هذه السلطة غير مؤكدة ، ولكن بدأ حب الروايات في المغرب السادس عشر الميلادي لاث سليمان سولنج حفيد المعفور حكم سلطته دارفور عام ١٦٤٠ ويرجع أن يكون بداية هذه الاسره العربية الهلاليه في أواخر القرن السادس عشر الميلادي وبهذا التاريخ يمكن لما أن تؤرخ دخول سلطته دارفور تحت الاثر العربي الذي لا شك إن صحت رواية المعفور قد مهد له العرب النجاشيين لسلطين لفور مدزن بعيب حتى يحد المعفور لأرض بمهده يعمل في خدمة سلطان الفور .

ويحكى عن سليمان سولنج أنه بدأ اصلاحات كثيرة على سلطته وشن غارات عديدة بلغت ٣٣ غارة على العرب والقبائل لاجتاعها تحت طاعته وقد حكم سلطنة دارفور من عام ١٦٤٠ م إلى ١٦٧٠ م في خلالها نظم شؤون هذه السلطنة وأرساء قواعدها لتستمر في دارفور ، وتمتخ الخصال للقبائل العربية داخل إقليم دارفور وكردهن حتى تغلب عليها وتضمير فيها بمرور الزمان

ويظهر السلطان سليمان سولنج يمكن أن تعتبر بداية سيطرة العرب على القبائل وسيادتها على أقاليم واسعة من إقليم دارفور وكردهن وسنعود إلى أثر هذا السلطان ودخول الاسلام في غرب السودان . . .

للعرب في شرق السودان :

وبما يمكن قد تأخر دخول العرب إلى داخل السودان وظهورهم كوحدة
هناك وكمجموعات لها شأنها والاسلام كذلك شأنه وحدها إذا ادركنا
أن تأسيس المملكة الإسلامية الكبيره تم في القرن السادس عشر الميلادي في
منار بين العبد لاب وعمارة ونقى .

وإذا أردنا أن نقتنع تاريخ هذا الجزء من السودان فس نجد أن العلاقة في
هذا الجانب الشرقى سببه حدا إلى ما قبل الميلاد بالالف السنين فلو افترضنا
عند قمة اهل النيل ومنذ الحبشة وهجومه على المملكة يسود هدمها بالقيلة
وحدث المعجزه وظهور الطير ورميه بحجاره من سجيل لاسه طعننا ان تصور
مكة شوب هذه المنظمة في لقوه ولناعة حتى محارل أن تنفق إلى الجزيرة
العربية لنحتما . لاشك ان هذه المنطقة بين الشاطئ الاخرى والشاطئ العربي
اليماني كانت قديمه وأن الاصل كان قائما وربما كان هو أهم اتصال تم بين هاتين
المملكين العربية والحبشية وهذا يؤكد قديم التماس العربية التي سكنت الهضبة
الحبشيه والامارات الاسلاميه ان عاشت دحل الدولة المسيحية والافراع لذي
حدث بين المسيحية والاسلام واصحابها الاول للمسلم الامر الذي قاد لزول
كثير من هذه القبائل المنسوبة العربيه إلى داخل السودان ونشره بين قبائل النيل
الازرق ومنحدرات جبال البحر الاحمر والهضبة الحبشيه .

وقد ظهرت على هذه المنطقة أول دولة إسلامية في السودان لها كيانها العربي
على البحر الاحمر عند مهبه سواكن وهي مملكة الجالوة لهذه المنظمة

التجارية الهامة من قدم فقد بدأت قبل مملكة اليبيلو دولة وثنية لم تتأثر بالمسيحية التي تنتشر على لحضبة الحبشية يؤكد هذا تاريخ ارتيريا ٥٥٠ ويبدووا أندهما نفوذ العرب والمسلمين على العالم وانفصال الكنيسة الحبشية جعل هذه المنطقة مفتوحة للمسلمين ونشر دعوتهم . . .

ظهرت مملكة البلاد الإسلامية في القرن الرابع عشر الميلادي لتحل محل المملكة الحبشية التي عاشت في هذه المنطقة وهذا يؤيده وثنية الهند نوره وعدم عبادتهم للدين .

فقد واجهت هذه المنطقة اندفاعاً عربياً من ثلاث جهات من جهة الشمال من العرب الوافدين على أرض المعدن للعمل والتعدين حتى تسربوا إلى داخل أرض البطانة والنيبي ومن جهة البحر للعلاقات التجارية التي كانت راحة بين منتجات السودان والجزيرة العربية وآسيا والافار الخزمية التي وجدت عند ميناء عيذاب أخير كشفت عن اتصال هذه المنطقة بمنتجات وصناعات آسيا والصين . . . ومكانة هذه المنطقة

والفحار الثمين لدى وجد في الحفريات الأخيرة كشف غناء هذه المنطقة ورواج تجارتها لان الفحار الذي وجد كان عالي الثمن من اجود أنواع الفحار الذي كان يستعمله اغنياء القوم .

فقد عرفت ميناء عيذاب منذ القدم رجاءات المكتتب العربية لخدمة مؤرخين العرب وكانت ميناء تجاريا هاما .

ثم واجهه هذه المنطقة نزوح القبائل العربية من بن عامر من أرض الحبشة من الجنوب الشرقي حاصدة البجة بين الملل والوديان فاتمه بين أبواب التأثير على سكان المناطق الأصلية في ثلاث جهات .

دخول الاسلام في المنطقة الشرقية :

لو قدرنا مكانة شرق السودان وربطه بالحضارة العربية والآسيوية وحضارة البحر الابيض المتوسط لاستعطينا أن نتصور دور هذه المنطقة في نشر الثقافات المختلفة على هذه المنطقة العربية في المدنية والعمران .

فقد عرفت التجارة بين العرب وبلاد آسيا وأفريقيا من عصور قديمة في الجاهلية العربية وغناء أفريقيا بغيراتها وغناء بلاد آسيا ورواج هذه التجارة ونشاط العرب في نشاط هذه التجار ونقلها عبر البحر والسهول من شمال الجزيرة العربية والبحر الابيض المتوسط إلى أفريقيا وإلى الهند والصين ورواج منتجات هذه المناطق فيما بينها منذ . عصر قديم وقيام العلاقات التجارية بين شعوب هذه القارات وأثر هذا التجارة في حضارة كل منطقة من هذه المناطق ...

لو أدركنا حيوية هذه المنطقة التي حتمتها حركة التجارة وإذا أضفنا إلى ذلك موقع مكة والمدنية وقرب أسوان وعيناب من أرض لرسالة وما يحميه موسم الحج من حركة ورواج للتجارة ، جه عام لاستغلال سكان شرق السودان لهذا الموسم وحاجة للبضائع وأما كيولات ورواج المصنوعات شعوب كثيرة وموقع عيناب وسراكن كمنفذ لشحن هذه القارة المسلمين بعد أن انشر العرب على

أرض أفريقية لاستطاعت أن ترك استجابة هذه المفظة وسكانها لثقافة العرب
والمسلمين وما يمرضه رسم موسم الحج من رواج الدعوة الإسلامية وتشيط
لثقافة الإسلامية وعدم تأثر هذه المنطقة بالدعوات الصوفية التي جاءت من
العرب ولعراق إلا بعد ظهور الدعوة الوهابية في الجزيرة العربية في القرن الثامن
عشر الميلادي . . . وأرمات السيد محمد عثمان الميرغني في القرن التاسع عشر
مبعوثاً لها للسودان لعمل محاولة لشعرة من الدين التي انتشرت بين الطريق
الصوفية وإقامة مبعوث وهايمين بالسودان بعد أن حارب السودان وكون له
أنصار . . . بنى عليهم دعوته كما سيحيى فيما بعد للحديث عن الصوفية ودورها
للسودان . .

حركة التجارة للشط، على ساحل البحر الأحمر وقد مكه المدينة وحركة
المسلمين في البحر الأحمر مكثت نشر الفقه العربية والإسلامية في هذه
الشاطيء وهذا تمكشفه ما في مذكرات أكس وحفريات عياب . . أما كما بعدنا
عن الشاطيء وتجارتنا لئلا البحر الأحمر لقماش المبحاوية والعرب الذين
نرحوا من لشان نجد فيه كبراً في الفخر الثماني والحضاري وبعد هذه القبة نل
الدعوة من حركة العالم السعوب وبها عن منبر الدعوة وبسط المسلمين
ولنا يمكن أن نقول أن سيدنا ومولانا وسكن شاطيء البحر الأحمر الذين
يشاركون في التجارة والعمل بالشاطيء واتصلهم بحركة تجارة . . والمهاجر
قد أوجدوا ثقافة عربية إسلامية قريبة من الدعوة الأصيلة ومواكبها متناهية
وحضرة العربية . . . وكانت مركز نقل لثقافة العربية داخل السودان
عن طريق القوافل التجارية ومواسم الحج لانه حركة النقل بين الأقاليم
كانت معدومة كنية وأغراض ليه خارج . . ود التقية أو الإلهية كان
أمراً شاذاً .





الفن المرنى ظهر واضحا على شرق السودان ومنه سر الاحمر .
وبقايا بوابه سوا كن مازال على شاعدا على قلب الحضارة العربية على شرق السودان .

وما لنا ننتظر المازيد من الاكتشافات الجديدة ؟ - فليس من خلق من سطح الأرض





السوق . . . بأرض الجزيرة يكشف عن حاجة الانسان للتعامل مع الغير
وتبادل الخيرات . . . وللتساء دور عام في البيع والشراء



دار الفونج شرق أرض الجزيرة
شارك سكان الفونج في ساطنة سنار في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي .

فالقوافل التجارية الى أسر بين وسط السودان من بربر وشندي وشرق
والشمال والغرب والجنوب كانت مستمرة منذ القدم . . . وكانت هي
الوسيلة الوحيدة لنقل التجارة والحضارات الاجنبية . . . وكانت هذه القوافل
ليست بالكثير حتى يحاق "تأثير العظيم بل كانت تسافر مرة في الشهر أو أكثر
من هذه المدة في مجموعات كبيرة مخالفة من سائر الجهات المختلفة لار . . .
كان في جميع قوافله واحدة خوفا من قطع الطرق . . . وأهوال الطرق البرية
الموحشة وصعوبة السفر بالابل هذه المسافات الطويلة وخوف المحرمات الصغيرة
من ضيع القبائل المنتشرة على هذه السجل الى كانت لا تعرف إلا قلوب لاوى .

الظروف الخارجية التي ساعدت على ركود السودان:

مد القرن السابع الميلادي وظهر العرب في أفريقيا ظهرت امتعة بين المسلمين ومحاولة معاوية لاستلام السعة من آل البيت ، وظهر الخوارج في هذا النزاع ضد الطرفين حتى نجا معاوية من حطة اغتيالهم لمدينة وأعتى السلطة ومنذ ذلك التاريخ أخذت الدولة الإسلامية طابعاً آخر غير الطابع المعروفه في عهد الخلفاء الراشدين الذين آمنوا بمسا الشورى وأن يرى المسلمون من مصالحهم .

قامت دولة الامويين بن سخط آل بيت وبين معرض الخراج ولما اتفق الصنف العربي الاسلامي ، ونفذت الموحدة العربية إلى مذاهب ، واستعمل معاوية كل اقوة لم يسطعوا على دولة المسلمين وفتحها . وقد كانت مهمته اعسر مهمة راجعها رئيس دولة واشد سخط الاسلام حتى إن أن صائب رضى الله عنهم ما زالوا يمشون يعيط بهم إقرارهم ، يدفعونهم لطالب السخط والتعرد على معاوية وصار حرب الشيعة من جراء هذه المقاتلة ، لحكم الامويين ، ولما كان نجاح معاوية في إداره دولته جعله أقوى من تحركات خصومه . حتى لما انتهى الحكم لابنه يزيد الذي في عهده قوى حرب الشيعة وظهرت بوادر الصدام بينه وبين دولة يزيد معاوية . واستمر يزيد هذا التمرد وعمل سيفه انحرى في ذرية سدة علي بن أبي طالب رضى الله عنه ولم تشر الكراهية السرية لحكم الامويين وتمركزت في الكوفة والبصرة ، أى شمال الجزيرة العربية . وطالت هذه الكراهية تعمل ، وهذا العداء السياسي لحكم الامويين تجمع حتى استلم العباسيون إن يجمعوا ضد الامويين كل العرب الكارهين لذلك

الحكم حتى استطاعوا في عام ١٣٢ هـ من دحر الامويين من السلطة.

استلم السلاجق سلطنة العباسية بعداً الامويين منهم حكيمهم يساب بن القهرس . وظل العرب المواليين ينتظرون من العباسيين ائنة عزمهم ان يعطوا الحق لآلهم . فبد قام العباسيون المناصرة لشيعه المواليين لاسترداد حقهم . ولكن السلاجقون امكروا هذا الحق بعد ان جموع حوكم كل المعارضين لدولة الامويين وطار الخلاف بذلك عند عزم دولة العباسيين وانفرادها بالسلطة . اعزل عنهم مصادر التدلية لشيعه ولا هي قادرة على ضربهم وهم صعدا وهي مع ابناء أسرة واحدة . وظل الخلاف باقيا . وقامت الدولة العباسية الجديدة لتعصى مسئوليتها الكبيرة وتدير دولة الاسلاميه التي وسعها الحدود الاراضى وكلها بنو أمية

وكانت سلطنة مصر ارض عاصمة لهم انضمت اليهم ، وعرب العرب الامويين إلى الداخل وعمل على عده في مصر . لكن كثر من تصوروا فقد كانت حاجة لتفوجات وانتساب الامم في طوائف دولة الاسلاميه حتى الاناس تعرض على كل عربي وامري ان يذهب حيث ذهب نفوذ دولة الاسلاميه . ذلك وردح العرب في شجاب إفريقيا . وعند ظهور دولة احمسيين خانت هذه البنايا المناصرة الامويين من بطائن العباسيين الذين ذاءوا العذاب في عهد الامويين . هربت العرب المناصرة للامويين إلى الاندلس وهرب الجزء الأكبر داخل إفريقيا وأرسلها حتى كان القرن الحادى عشر وأجروا دولة عربية اسلاميه في آبيكمو على نهر السيجر . وانتشروا إلى مالي والسنغال وسهول السودان العربية عن طريق ليبيا واقنعوا بالهدى والحياه السليه في هذه الاراضى الجديدة .

أما بالنسبة للهجرة للسودان فلم يؤثر هذا التمييز كثير ولم يجد من القبط مثل الهاريه نفس الجدد الذي كان في شباا أفريقيا إلا أنه كان بداية زحف هؤلاء العرب الامويين الذين تخفوا إذ لم يستطيعوا الحرب مع جماعتهم إلى شمال إفريقيا وغربها اضطروا إلى الهروب داخل السودان .

وكانت مصر للعباسيين في عام ٧٥١ م والدويلات المسيحية في السودان ماذالت عاجزة عن عمل أي شيء فهي خائفة تترقب هجوم المسلمين عليها وهي ليس بالقوة لتردها لهجوم وليس بالطموح حتى تتمكن من طرد العرب من مصر فأنتفع ملوك دنقة وعلوه بكرامى الملك ، بحراس قدر المستطاع لأن لا يتبروا المشاكل بينهم وبين هذه الدوش الاسلاميه اقويه .

وكان المسيحية في السودان قد انفصلت عن مركزها في الاسكندرية وفتحت بالتعاليم الاولى لنى وصلت إليها حين انتشار الكنائس الاول بالسودان .

وبعد أن ولى السفاح عمه صالح بن على . على مصر عرله ليوليه على فلسطين ثم عاد وولاه على مصر والمغرب مره أخرى . وفي عام ٧٨١ م أخرج (وصيه) بن المصعب الاموى فى الصعيد عن طاعة العباسيين حيث كانت إسوان مركزاً هاماً للتجارة والتجمع . وتجمع حول رحين عاصمه الصعيد ولم يستطيع إبراهيم بن صالح العباسى إلى مصر أن يفعل شيئاً معه وقويت شوكت وحيه فى حذب مصر ولم يستطيع جيش موسى بن مصعب وأسامة بن عمرو على شيء مع هذا الخارج على سلطة وإلى مصر فقد لقيت جيوشهم الهزائم من وحيه بن المصعب وأنصاره من الامويين وأهل الصعيد .

وطل جنوب مصر متهدداً على مصر حتى عهد الهادى بن المهدي موسى فرلى

على مصر الفضل بن صالح (عام ٧٨٦ هـ) هجر دحيشاً وانصر على وحيه في جنوب مصر وقاده إلى الفسطاط . وهرب الأعراب التي كاسف تناصر وحيه بن المعصب إلى داخل السودان وإلى أرض المبعدين طالبه المسلمون والعجم والعيش وهي أول بحيرة كبيرة تدخل السودان .

وفي عام ٨٥٤ م ٢٣٣ هـ امتنع ملك دنقلة والنوبة المسيحية عن دفع الجزية المقرره لولاى مصر . وهرموا الجيود المصريين عند جبل الزمود وأغاروا على صعيد مصر ونهبوا مدينه إسنا وقتلوا وادهرو ذلك في عهد ولايه عيسه بن اسحاق على مصر . . وجيز عيسه ملك دنقلة والنوبة جيشاً مكروباً من سبعة ألف محارب وشحن المراكب بالمؤن والأسلحة لمحاربه ملك دنقلة . . وقطم الجيش سهول متاجم الزمود إلى دنقلة . . وحين إقترب جيش عيسه من دنقلة ورآه أهل دنقلة أسلحته وعاده خافوا منه وأدركوا لإنهم هالكون أن يستضموا في معه . . . واحتموا بالجبل وحاولوا جر الجيش حتى نمت مؤننه ، وإذا هم في حالهم تلك ظهرت على أنيل مراكب دعيس بأفون والأسلحة وكان على دنقلة ملك يدعى « على بابا » بمصر يحارب المراكب محاولاً أغراقها . . وإذا بجيش دعيس هجم على جيب ش على بابا المشتهرة العدد من الأبل والرجال . وحين سمعت لجمال صوت الأحرار التي أطلقها جيش دعيس اضطربت الجبال ولم يستطع جيش على بابا للممود وانهمزم على بابا وأمر وصيق قائد الجيش الذى اكتمه وعقد الصلح مره أخرى معه على أن يدفع متأخرات الجزية التي عليه .

وكان دعيس آحر الملوك العرب على مصر ثم اضطرب الحال وصار يتولاه كل مقامر وراغب فى السلطة حتى أصبحت مصر ولاية طرلونية لسلطان احمد ابن طولون (٨٧٠ - ٨٨٤ هـ) وفي عيدهم انتشر العلم ونظام مصر .

وفي هذا العصر ظهرت شكل الدويلات الإسلامية داخل الدولة الإسلامية
التي كانت في الانحسار مزال الأمويون يحكمونها . . وفي المغرب ظهرت حركة
الفاطميين تطالب بحق العرب والمسلمين في بلاد الطولونيين وبالقضاء
على السلطة العباسية الحقيقية. وإنتهت مقاومة ملوك دنقلة لأهل صعيد مصر .
وخضعوا للناساق بدفع الجزية في حين كانت تستقبل أرض المعدن العرب
أهريين من بطش ولاء مصر . وقد كان السودان هو المأوى الوحيد لديهم
حيث لا سلطة لوالى مصر على "سودان ولا رقيب بينهم ولا عين ترصدهم .

وحالة الحكم في مصر والعالم الإسلامي تكشف لنا التفتت الذي بدأ يدخل
إلى جسد إى هذه الدولة العظيمة إذا لم يمس الحزب سبائى معين أولئك
معلوم ينهرون بحكم المسلمين . وهذه مصر تتعرض لعدد من الأحزاب
حكمتها الأمويين ثم جاء العباسيون ثم جاء الطولونيون وبمقدورهم جاءت الدولة
العباسية مرة أخرى من ٩٠٥ إلى ٩٣٥ ولم يستمر الحال للدولة العباسية إذ
ظهرت دولة الأخشيد بين عام ٩٣٥ إلى ٩٦٩ التي في عهدها قام الملك النوبة في
فرض حكم أو الحسن على بن محمد الأخشيدى — وغزاه مصر حتى لمسه أخميم
هوجه إليه كاهور جيشاً عظيماً بالبحر وأما وحاصر ملك النوبة . حتى اضطره
إلى الهروب ولانزوم جيش النوبة وشرق جيشه حتى كان عهد أبو المسك كافور
٩٦٥ هـ — ٩٦٩ هـ ثم تولى الحكم بعد ذلك أبو الفوارس وأتمى بذلك عهد
الأخشيدى على مصر .

خلال فترة الحكم الإسلامى فى مصر نلاحظ اضطراب الحالة فيها وتعدد
الحكام عابها . كما لا حظ كثرة الاجاب وعدم ظهور ملوك من المصريين المسلمين
عليها ، حتى كان عهد كثر عدد الحكام الاجانب من دون العرب الامر الذى

يكشف لنا ضعف شوكة العرب في مصر وعدم ناضج أمره للمجتمع العربي ليسبغ بالروح "مربية الإسلامية في جزاء هذا التغيير السريع والإصلاح الحكيم وكثرت مظالم بعضهم وثورات الصعيد عليهم .

هذه الاضطرابات لم يتمكن من إخمادها من الامتداد في "ديار المصرية ، وإنتشار علومه وثقافته العرب من جراء هذا الجوع السياسي المضطرب . حتى نستطيع أن نقول أن المصريين وحدهم كانوا كهلين بنقل الثقافة الإسلامية العربية إلى جديرهم من السودانيين فالرسالة ما زالت تحمل ثقلها في أورشلة لسي اختلقت في ذلك العصر عن العرب انجماء من الأرض والدين بشروا "لإسلام بروح عالية .

وما نود أن نشير إليه هنا هو أن الدعوة الإسلامية الخاصة به ، رسولته في عايه وسهم وعن الخلفاء الراشدين كانت دعوة للدين ونشر هذه الدعوة حتى دانت لهم الشعوب والقارات وعملوا على توصيل تعاليم هذه الدعوة عن طريق قواهم ورسولهم إذ كان الخراسان للدين الإسلامي في عهد الرواد الأولين في ذروته ، ولم يقع أي إحتلاف بين خلفاء المسلمين رضوا به عنهم إلا بعد أن دخلت الدولة الإسلامية في صراع الحركات المناهضة على الحكم . هذا أحسن الصنيع لو أننا أحرأ وأصبح التنسابق لا لنشر الدعوة بل إلى مطرده المعارضين بالروح الأمر الذي لم يقض أن تصبح الدولة عسكرياً إلى حد ما . . وأن هكنا في انقراض الأول في تقوية حبسها وذلك لتقضي على الفتن التي شيعت في جميع أنحاء الدولة الإسلامية في داخل الجزيرة العربية بين الحكام وانفسهم والموالين بينهم بين المعارضين لهم بين ثلاثهم على الأقاليم التي بسطوا يدهم عليها

رغم وصول ثقافته العربية وصلت إلى ذروتها في عهد أمباسين من ترجمة علوم الشعوب الأخرى وتوسيع دائرة المعارف العربية ونقل مؤلفات الاغريق والرومان وعرض إلى اللغة العربية . إلا أن هذا كان لا يمتد إلى العواصم الإسلامية كماداد وحلب والكوفة والبصرة أما البسطاط فتتـ نشطت فيها حركة العلم في عهد إثنين طولون ، ثم حلت المتن لتزحف هذا النشاط وتعطيل حركة إيقاعه لبقية الديار المصرية .

كما إن ظهور دولة المهديين بالمغرب وإشاعة فهم في تفسير الدين والدعوة للتشيع جعل هؤلاء العرب البسطاء وأهل البلاد المسلمة في بابه فكربه من أمر هؤلاء وهم ليسوا في حالة تسمح لهم بالقطع في هذا الخلاف ، الأمر الذي فتح أبواب لكثير من الآراء الخاطئة لانتشر بينهم ونحن نعرف إذ أختلعت وحده الفكر لدعوة دينية ما ماذا يحدث لرعاياها البسطاء حين يصبحون خاضعين لكل الأعداء ويتلقون كل الأفكار وبمسحوق الخيال لظهور الأفكار العربية والمداعبة الجديدة الأمر لدى قاد لظهور عدد كبير من رجال الطرق الصوفية كل يدعو لغيره الخفاصة في العبادة حتى تعددت المذاهب الصوفية في المغرب والجزيرة العربية وانتشرت بسرعة بين عامة الناس حتى أوقعتهم في شرك كبير وقد روع خضوعهم الكامل لرجال الصوفية من شأن هؤلاء الرجال من الصوفية ، الذين شغلوا الناس بذكرهم دون عبادة الله ورسوله ، وأصبحوا هم المثل الأعلى بدل الرسول صلى الله عليه وسلم وبنواهم القدوة في العبادة بدل الرسول صلعم وخلفاءه الراشدين .

الفاطمون في مصر :

قامت الدولة الفاطمية بالمغرب عام (٩١٠ م - ٢٩٧ هـ) فاستولت على

شمال افريقيا . وبسطوا خلافتهم عليها . في حين مازال خليفة المسلمين يقم في بغداد . بحوارهم خليفة الامويين على الاندلس .

ويدعى الفاطميون أنهم ينتمون إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول (صلعم) وإلى العلويين . وقد قامت دولتهم ضد إبناء عمومتهم أبناء العباسيين الذين إنقردوا بالخلافة دون العلويين الذين هم أحق بالخلافة في نظرهم ، وفي هذا الخلاف بين آل البيت وأبناء عمومتهم ظهرت إغواء كثيرة بين المسلمين ، ومحاولتهم الاجتهاد في ما لا مجال للأجتهاد فيه ومحاولتهم الوصول الى من هم أحق الناس بخلافة المسلمين .

حارل أبو محمد عبيد الله المهدي مؤسس دولة العبيديين الفاطمية بالمغرب . في حياته ضم مصر إلى "عبيديته" ، إلا أنه لم يوفق وتم ذلك في عهد خلفه المعز لدين الله (٩٥٣ - ٩٧٥ م) ورأى ما كانت عليه مصر من فتن مجرد جيشا عطيلا بقيادة جوهر الصقلي الذي تمسك من فتح مصر عام ٩٦٩ م) وأقام خارج مدينة المصطاط حيث عزم بناء مدينة القاهرة الحالية . ثم بناء جامع القاهرة . وهو جامع لازهر الحلى وبعد حوهر للمعز لدين الله بأخبار النصر . وأنتقلت دولة العبيديين بعد ذلك من المهديين بالمغرب إلى القاهرة بمصر .

وأقام الباطميون العدل في مصر وأداروا شئونهم أحسن إداره بعد أن ذاق الناس ظلم الحكام المعتسبن من جراء الحروب الكثيره التي كان وبها على الناس البسطاء ودافعى الضرائب الذين يمولون الحروب بالمال والجنود :

وأول عمل قام به جوهر الصقلي انشر الاسلام خارج حدود إرسال مندوب إلى جورجوس ملك دقله يسأله الدخول في الاسلام وإيقاف الدكاة عنه إلا

مالك النوبة رفض الاسلام وفضل دفع الجزية . وهذا يكشف لنا أن المسيحية ما زالت منيعة ذات أرض صليبه في السودان حتى القرن الماشر الميلادى وان رواد الدين الاسلامى لم يتوغلوا بين حدير هذه المملكة الشمالية حتى يهدوا لمثل هذه الدعوة المسليمية .

وفي عصر لفاطمين على مصر بدأت القبائل العربية الموالية للعباسيين في النزوح عن مصر إلى داخل السودان وبدأت الهجرة الكبيرة إلى أراضي السودان نسبة للمناخ الذى نشبت بين الفايدين والعباسيين . وأمتلا صعيد مصر وأرض المعدن وضفاف النيل بالعرب الطاريين الذين لاحوف منهم على سكان السودان . ولاخوف تاليهم من سكان "سودان" فقد كانوا مسلمين هاريين ينشدون المأموى ، كما أن لاهد الذى قطعه ملوك دقله على أنفسهم هم تعرضهم للعرب المسلمين كان بضمن هؤلاء الخارحين عدم ايزاهم من ملك دقله وصاروا أعوانا وعيوننا ملك دقله ضد ولى مصر .

وفي عهد الدولة الفاطمية ظهر بعض النفوذ والمكانة للسودانية في مصر وذلك لأن أم المستنصر (١٠٢٦ - ١٠٩٤ م) . كانت جاريه سودانية ذات ذكاء وتجارب . استغلت ضعف إنهما ووطقت السودانين في الدولة في المناصب الكبيرة ليكونوا لها قوة وبانت ذات نفوذ وسيطره على شئون الدولة حتى قويت شوكتهم وقد بلغت قوة "سودانيين لطارذ الانراك من مصر والاستيلاء على الساطه حتى تمكنوا من وطاردتهم إلى صعيد مصر الامر الذى مهذا لاستمرار صعيد مصر في عصيانه تى وإلى مصر وعدم خضوعه تحت سيطرة سيطره كامله واستمرار عدم أستقرار صعيد مصر وخضوعه لسلطة السقاط او "ثمرة مما جعل السودان بعيدا عن يد ولاية مصر فلو كان صعيد مصر تحت يدهم وسيطرتهم الكاملة اكان استغلوه لفتح السودان وضه إلى مصر الا ان صعيد مصر نفسه

كان مشكله ومصدر قلق اليهم وكذلك كان توسيع حدود هذا الصعيد إلى الجنوب فيه مخاطره ومساعدته انما يرى "الصعيد أن ينفردوا بسلاطه جنوب مصر والأراضي الجديدة .

أخذت "علوم والآداب تنشر في عهد الفاطميين بإشياء جامع القاهرة (الازهر) والإشراف عليه وتشجيع العلوم حتى اضطرت الأحرار بعد ذلك بحافا اضياع ذلك المجهود إذا أحرق الكتب واستعملت في أغراض كثيرة في عهد المجاعة التي جاءت في عهد المستنصر .

ض السودان - حتى الآن بعيدا عن النفوذ الاسلامي والعربي لا تشمل الولاة المسلمين في أنفسهم وتأمين سلطتهم من العاضدين ، ومطامع التوسعات الكثيرة التي انتهت اليها الدرله الاسلاميه الكبيره .

ولم تظهر على السودان حتى ذلك الحين أى مؤثرات عربية أو اسلامية حقيقية الا ظهور بعض العرب الخارجين بحور النيل وأرض المعدن وعند البحر الأحمر .

وانتهى الحكم الماطمي في مصر بعد ثقب وحروب داخلية ودخول حسب طبعه ذلك العصر وتعدد الامارات وتعدد الاساليب للوصول إلى السلطة حتى جاء عهد الدولة الايوبيه عام ١١٧١ م بزعامه صلاح الدين الايوبي الذي عمد سير جيشاً بقيادة أخيه سيف الدولة توران شاه إلى النوبة لتأديبها على تمرداها ومناوشاتها ، فسيماها وعاد مثقلا بالغنائم والمسقر .

إلا أن الظروف لم تتح إصلاح الدين للتفكير في فتح السودان الشمالى وضمه

إليه أو فرض الاسلام عليه وذلك الانشغال بالحروب الصليبية التي كرس لها كله جهده لابعاد الفرنج من البلاد العربية وأرض المقدس . إلى أن نوافه الاجل والصليبيين مازالوا يواصلون حملاتهم على العرب حتى انتهت دولة الايوبيين عام ١٢٥٠ م بعد أن دخل الوهن على المملكة الايوبية وتكالب لاجوان والاقارب على الحكم كما كان ساريا في ذلك العصر وما يدخل في هذا الصراع من وسائل ومكر حتى سقطت مصر في يد المماليك البحرية عام (١٢٥٠) إلى ١٣٨٢ وهم من الرقيق الذين أكثر منهم السلطان الصالح نجم الدين أيوب من أسواق الجركس ومنذوليا والقوقاز لمساعدته . وقد اخلصوا له في حياته حتى كثر عددهم وعلى شأنهم وتطلعوا إلى السلطة فوصلوا إليها بعد أن خبروا لأمورهم وأمرهم وظهر التنز على حدود سوريا في عهد المماليك الذين تصدروا لهم وافقوا زحفهم على مصر في عهد السلطان الظاهر ركن الدين والدنيا بريس البندقداري (١٢٦٠ — ١٢٧٧ م) الذي في آخر عهده فتح بلاد النوبة وسواكن واضعف مملكته ونقله الشمالية وفتح العرب الطريق لدخول السودان . وجعل للذين سبقوه مكانه فيها حتى اشتد ساعدهم وكثر عددهم على النيل وسهول السودان الفسيحة .

وقد كان ملك النوبة يتمتع دائما فرصة انشغال وإلى مصر بالحروب مع الصليبيين أو غرهم في الشمال وري أبتعاد جيوش المسلمين عن مصر ويتمتع عن دفع الجزية . . . وهو لا يدري أن أيقاف دفع الجزية يعني في مفهوم العرب لإيقاف الامتدادات عن الجنود اعماريين ولذلك كانت ترسل اليه الجيوش لمأدبيه وإعادة الموقوف من الجزية وتحصيل المطلوب منه فوراً وقد حاول هذه المرة في عهد المنصور سيف الدين فلادون الالاب (١٢٧٩ — ١٢٩٠ م) وأمتنع عن الجزية حين شعر بأشغال المنتور بمحاربة التتر في أرض الفرات وحلب . إلا أن لالف جرد عاينه حملتين في عام ١٢٨٨ م و ١٢٨٩ م . . . وعادت

الحلات بالجزيرة الموقوفة وانعظم والسببها وخضع منك دفعة مرة أخرى لدفع الجزية ولم يرض عليه لإسلام إنما ترك في ديوانه المسيحية التي باتت واهنة بعد انتصار العرب بين النوبة على صفاف النيل .

وقد ظل منك دفقة والنوبة يمارس هذه الوسيلة كلما شعر بضيق منك مصر حيث كانت هذه الجزية عتقاً صارقاً على ملوك هذه المنطقة حاولوا التخلص منه بكل الوسائل ولكنهم لم يستطيعوا أن يهملوا شيئاً : وقد حاول منك دفقة مرة أخرى في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون (١٢٩٩ - ١٣٠٢) . (١٣١٠ - ١٣٤١) وابتنع عن دفع الجزية الأمر الذي فرض تجريد جيش عليه وإعادة الجزية إلى ما كانت سابقاً وإنهت بهذه المحاربة آخر محاولة منك دفقة لإزالة من دفع الجزية التي كانت وبالأعلى ميزانيته ومواطنيه وحساب عمرانه ولا شك أنها كانت تهرق هذه المملكة أدنى سلطة تدخل المعتمدة على ضرائب البامج والقمح وهذه المحاصيل إنما تجلب موسم الأمطار فإن كثرت الأمطار في الجنوب وفاض النيل ضمن مواطنيه محصولاً طويلاً من الزراعة وإذا قلت الأمطار قل الزرع وصعب تحصيل الضرائب منهم لأنهم لا يملكونها . وكذلك الحال بالنسبة لمبلغ إذا همت عليه عاصمه وهو مازال أخضر أو أبيض . وكذلك إذا نزلت عليه أمطاراً وهو على وشك الاصفرار تلف أكثره وقل محصوله . ولكن وإلى مصر كان لا يعرف هذه الظروف ولا يقدرها . وإذا أنكرك منك دفقة هذه الظروف على رعايته فقد أنكرك معرفته لهم وحالهم الاقتصادية . ولذلك كان تمرد منك دفقة المستمر لدفع الجزية تعرضه ظروف المنطقة الاقتصادية ودخول المنطقة أقدائم على الضرائب الزراعية والماشية كان لاشك لا يكفي حاجة التوسع الطبيعية هذه إنما كان في إرضائها وتطورها وفرض جزية عليها كان يعنى نهض

تطورها وتدهورها تدريجيا مع مرور السنين فهي أمكانها المحدودة لا تستطيع التوسع حتى تهى بالتزاماتها .. وهذه الامكانيات المحدودة امتدت لها اليد الجزية لتقلل من المصروفات الانشائية لهذه المملكة ومصروفاتها العامة وجعلها هذا الالتزام ثقل تدريجيا في مصروفاتها حتى جاء العهد الذي أصبحت غير قادرة بسط نفوذها على هذه المنطقة حتى ذهبت لانضمامها للمملكة الفرنجية وتعلاب في القرن السادس عشر.

خلال هذه الفترة كان العرب ينقسمون في سهول السودان ويكثر عددهم بمرور السنين ولما شك أنهم كانوا يذهبون إلى النيل في موسم الجفاف يتزود من مياهه وحشائشه وهذه الزيادة كانت تضرها عليهم ظروف اصبحت تفسد فهم مطرون للبحث عن غوت لماشيهم ومياه لهم وتترجم من التي كان فائدة السكك قبل فقد كانوا يبيعونهم لماشية ومشتاجها مقابل الذرق والبج ولا شك كن سكان البحر يرحبون هذه الزيارات البحرية بهم لا يستطيعون ان يستهلكوا نتجهم من تبيع وخاصة ولذلك كان لابد لهم من سوق لهذا البعج اما من طريق التجارة مع الحمران ودلاو او مقابل الضرائب وحيا ما سهل عليهم هؤلاء العرب شراء بعض من محصولهم من البج وادرة أصبحوا يتعاملون به .. ورحبون بقتلهم ونوسعوا في زراعتهم وخلال هذه المفايلة كان يبحث الزراوج والمسلم بعضهم حتى أقاموا على العرب والى العرب عليهم وأقام البعج منهم على النيل أو ترك زوجاتهم حين يعود في موسم الجفاف .

وأما مصر فزالت الاضطرابات تسودها والدعائن تنساب لنزع ملك لاجل آخر حينئذ وهي الغرب أن لا خوف عليهم وعلى أولادهم من سكان النيل أصبحوا يرادوه ويفتحون بالقرب منهم وكثرة تزوجهم من نساء سكان النيل حتى نفجوا

بمرور الايام على هؤلاء السكان وانتشر الاسلام على النيل بواسطة هؤلاء العرب
من دخله سكان النيل متأثرين هؤلاء العرب .

أما مصر فما زالت الاضطرابات تسودها والدعائس تحاك بين الطامعين لنزع ملك
الاحلال آخر مكانه والحروب الداخلية لا تنفد نتيجة هذا الصراع السلطنة من
الداخل أو ترحشات الخارجية حتى انتهى حكم المماليك لبحرية عام ١٣٨٢ م
ليأتي عهد المماليك الجركسية عام ١٥١٧ ولقد حل مصر بعد أن وضعت ورفقها
العن والاطماع ضمن أراضي الامبراطورية العثمانية حتى عام ١٩١٨ م

أثر الثقافة العربية في السودان حتى القرن السادس عشر

كما أسلفنا امتدى التخطيط العام لنشر الدعوة الإسلامية والثقافة العربية بعد الخلفاء الراشدين بعد تحولات الخلافة الإسلامية إلى ماسكية ورائية ، وكثرت حولها الاطباع والدسائس وأصبح لاهتمام الدولة بالحيش في المقام الأول للحفاظ على كرس الخلافة ولتغمس الخلفاء في دولة بني أمية والدولة العباسية في اللدات وإبتعدوا عن نعاليم الدين وأصبحوا أسواء مثل للمسلم حتى كثر الأجانب حولهم واستولوا على مقاليد حكمهم . . . ودخل الثقافة العربية الفكر الفارسي والأغريق اتحيا في عصر بعض الخلفاء ، الخلافة الإسلامية في أوج مجدها العلمي والأدبي . وإذا لاحظنا ذلك الازدهار الذي حدث للعلوم والآداب . في العصر العباسي أو الاتخشيدي أو الفاطمي إنما كان لشدة بعض ملوكها بالعلوم فأزدهرت العلوم لأنهم أكرموا العلماء وبأنتهاء أولئك الملوك أغض السامر وفات حركة العلم حتى وصلت إلى درجة الركود وحتى غباوص الثقافة العربية .

وإذا أردنا أن نتابع علماء الدولة الإسلامية وتخطيطهم للعلم لانبج هنالك أي تخطيط بالمفهوم الحديث . فمعر بن العاص ورضي الله عنه حين دخل مصر أمر ببناء جامع عمرو وأصبح هذا الجامع فيما بعد هو جامع الخلافة وملقى المسامين على جميع طمقاتهم يسمعون إلى الارشاد والتوجيه وإلى تعليمات الخلفاء التي كانت تلقى دائما على منابر الجوامع ولكن جامع عمرو لم ينشأ ليكون مدرسة لتدريس القرآن أو اللغة العربية أو علوم الدين بل إقتصر على أداء وظيفة الصلاة ومواظبة طلبة الحرم . والخطة لاشك لا تخرج معلمين يتمتعون غيرهم

معلمهم إنما هي تذكير للمؤمنين بأخلاف السلف لصالح من المجاهدين وإلى توجيه الناس إلى الأشياء الضرورية الواجب إنباعها في بعض المناسبات وحيث كانت الحياة في مصر في عمل عسكري دائم فقد كانت خطبة الجمعة في جامع عمرو هي حيث الناس لأطاعة خليفة المسلمين والاجتهاد لعمركه ولم تترك الظروف العسكرية والحربية التي عاشت فيها مصر للجوامع أن تؤدي رسالتها الدينية التعليمية بل أصبحت المنابر وسيلة لجمع الناس وتهذبة الخواطر والدعوة لتأييد حاكم حديد أولمؤازرة أو إلى محاربة الجيوش الغازية أو للتبعية في صفوف الجيش لصد العدوان أو لقمع عر حدث أو للدعاية لمدت المصالح المصالح المؤمن القائم على شؤون البلاد .

وإذا اعتبرنا الجامع هو المدرسة الأولى التي حفظت التعاليم الإسلامية وعلوم الدين فيجدر بنا أن نتبع هذا التاريخ و نرى ما حدث في مصر حتى يكون ما يحدث فيها ذا أثر على السودان وعلى المسلمين المقيمين بها من عرب وسكان أصليين .

وأول جامع أنشأه في مصر هو المسجد الجامع أو جامع عمرو أو الجامع العتيق كما كان يسمى بهذه الأسماء في عام ٦٤١ م بعد دخول عمرو بن العاص إلى القسطنطينية . وظل هذا الجامع يخدم الأغراض السياسية بدعوة . إذ كان العرب في حاجة لمن هذا المنبر لتهذبة الخواطر وشرح الدعوى للناس وتمشيطهم بدخول الإسلام وحثهم على معاونة جيش المسلمين والتطوع فيه . . وقد كانت خطبة الجمعة في معظمها خطبة مثل هذه الأغراض ولم تمنح ظروف العرب المتحمسين لشرح الدعوى على كل الشعوب أن يعملوا أكثر من ذلك ، شرح الدعوى والدعوة للإيمان بآية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تعاليم الناس التزمين خمس .

وظل الجامع العتيق يقوم بهذه الرسالة بعد عودة عمرو بن العاص وتركه مصر لأن السرح ولم تجمع رسالة هذا الجمع لا كبر من ذلك فلم تنسج بعد العلوم الدين وتدرّس أحكام الشريعة الإسلامية بل طابت هذه التعاليم نقش في منبر الجمعة ، ويقوم بها الأفراد المسلمون من العرب وتوجهها إلى سكان مصر في أكثر صورها حتى يذكرها ويصورها : وأستمر الحال على هذا المتوال حتى جاء عهد العباسيين ، وكانت الدعوة قد انتشرت وأمن بها الكثير من وأصبح الجمع والصلوة فيه من أول واجبات المسلم وأصبحت تعند فيه الحلقات الصغيرة لتتأخر وانماهم ولتتأخر من المسلمين . وأصبح يرئاه كثير من منس في غير أيام الجمعة لمعرفة تعاليم دينهم

ولشطت في جامع عمرو حركة التدرّس فكثر في الحلقات وخاصة بعد الصلاة وأهمها صلاة المغرب والعشاء . وكانت تدور فيه المناقشات الدينية والأدبية والمطارحات الشعرية والروايات التاريخية وكل الرأى المعرفة ما ليس لرؤاه وما غائبه . ولم تكن حقائق تدرّس فيها أسس معينة إنما كانت مواضيع الحديث تأتي من حمرة المحتممين وتخرج من هذه الحقائق بعد رجاء الدين والفقه في مصر إلا أن هذه الحركة لم تدمر ويظهر لها ثمارها إلا في عهد العباسيين ثم الفاطميين .

ومن هذه الحلقات المشهورة حلقة الإمام محمد إدريس الشافعي (١٩٠ هـ) — (٢٠٤ هـ) . كما نشر نوع آخر من حركات العلم والمطابقة في بيت لقمه وأهل العلم . كانت تجسب إليهم طلبة المرفق . ومن أشهر هذه الحلقات حلقة في عبد الحكيم . وكان يرئاه حلقاتهم أكار العلماء الفقهاء الذين يزورون مصر .

ثم أنشأ المعولدين الله الخامع الأزهر عام ١٩٧٢ ليكون منبراً لدعوة الفاطميين
أول الأمر ، ولتشر مذهبهم الشيعي بين الناس وقد استعمل الخامع الأزهر كغيره
من الجوامع الإسلامية (أغراض سياسية وحريية تحصى أمن الدولة)
بالتأطرابات الكثيرة التي شهدها المهلك الإسلامية على طول الزمان لم تكن تدع
للحكام وقتاً لالة الخطب الدينية الخاصة على منابر هذه الجوامع بل كانت الأحداث
المتلاحقة تدفع بحطب الجوامع إلى موضع من مواضع تلك الظروف العصبية
والخلافات الكثيرة .

بل لم يفكر حاكم من حكام المسلمين أن يخطط لشر التعليم نهيك عن شر
بعلوم الأخرى التي يصعب أن تقوم بدون النعم الذي إذا أردنا أن نقصروه وأن
يصل إلى أكبر عدد من مجيئه أن يوفر أماكنه ومعلميه .

إلا أن ذلك لم يحدث فقد نشأ "مهم في بيوت الأفراد والخاصة والمهتمة
والذين أخذوا هذا النوع من الحياة هو الحياتية وغاية من عدايت وجودهم وهو
التزود من المعرفة ونشر هذه المعرفة .

إلى أن جاء عام ١٩٥٥ م وأثناء الحاكم بأمر الله بن العز بن دار الحكمة
ركبت أول مدرسة تنشأها الدولة الإسلامية لنشر العلوم والمعرفة رغم أن
انشاء دار الحكمة كانت دوافعه مذهبية لشر دعوة الشيعة التي ظهرت بعد فترة
من فتح هذه الدار وتوسعت حقيقتها وأنتلم فيها الشيعة والسنة حتى جاء
تعاوية على علماء أهل السنة وقتلوا وأصيحت دار الحكمة دار حكمه الشيعة
لا يجرؤ أي منعب على دخولها وقت فماتتها به ذلك ظهرت عصبيتها
المذهبية .

وقد كانت دار الحكمه في بدايتها داراً عظيمة للعلم والمعرفة . تدرس علوم القرآن والعقائد وعلوم اللغة والفلك والطب والرياضة والتنجيم وغيرها ووقرت لها كل الامكانيات للمادية . لصح جامعة علوم حق . حتى أعادتها عصبية المنهجية وأصبح يخافها العلماء لعدم وجود الجو العلى الحر بها .

وإذا سألتنا أنفسنا من أين جاءت تلك النهضة العلمية التي ظهرت في عصر العباسيين ولغاطمين دون أن يكون هناك تخطيط وأشراف من الدولة على نهضة العلم .

الإلّا أن الامر بسيط غاية البساطة .. فتلك النهضة العلمية وتلك الميراثات العظيمة في كل فروع المعرفة التي تركها لنا الاسلاف جاءت نتيجة احتكاك الافراد وتسايق العصبى الذى أصاب الذين كانوا يخدمون "قصور" . فقد كان حسن شخصية الملوك جمعيه من العلماء "تقرب لملوك وكسب رصاه هو الاحتياج في المعرفة وتعليم وكانوا الملوك يقدرون المجهدين من أهل العلم . ويميزونهم إعطائهم الأمن والسكن والاحترام والتقدير .

والعلم كنوع من نشاط الانسان تحكم فيه القيم الاجتماعيه والنفسية الانسانيه فيه . فإلّا كان العلم هو أفضل الناس في نظر الجميع أنتج الناس إلى العلم وكذلك الحال باتت "فروسية أفضل من العلم أفضل الناس" الموسية على العلم وكذلك في جميع فروع النشاط الانسانى كالتجارة والرياضة والفنون حيثما يصح هذا النشاط والاحتياج دافعية لإحتياج أعلى من نشاطات الأخرى يجذب اليه إهتمام الناس وأهتمامهم .

وبدراسة ظروف نهضة العرب العلمية نرى هنا لك كثير من نشأت
الإنسانية ذات القيمة الاجتماعية المتقاربة كالروسية والشرام ثم كان العلم عند
جمهور المتعلمين الخيطين بالصور ، وهذا هو سبب دفع حركة العلم عندما
وجد الملوك الذين يتدرون العلماء ويحصلونهم بعلومهم على غيرهم من الناس حتى
أصبح العلم هو بقية الكثر من حتى يصل لتلك المرتبة من قير القصور والخلفاء
والأمراء وأصبح الاحتفاء والتسابق العلمي هو الذي يحدد مكان العالم
والجته في مجلس الخليفة وبيعة الهدايا والعطايا السنوية المقررة له .

وقد أخذت مصر في عهد الدولة الفاطمية بعد القرن الحماى عشر رسالة
النهضة العلمية العربية وأوزعت هذه النهضة بين دار الحكمة التي نشطت فيها
العلوم العقلية والدعوة الشيعية في حين وحفظ الأزهر بتدريس العلوم الدينية
والقرآن وكذلك جامع عمرو وأصبحت هذه القلاع الثلاثة قبس الفكر الاسلامى
إلا أن هذا النشاط وهذا الرقى كان يرتبط بحياة الدولة الفاطمية التي وفرت
الامكانيات لهذه النهضة العلمية رغم الاضطرابات الكثيرة التي عاشتها حتى
صيرت الدولة الفاطمية عن الاستمرار في الاتفاق على دار الحكمة وتعرضت
في عام (٤٩٥ — ٥١٤ هـ) لاغلامها بعد أن ظهرت عصبيتها المذهبية داخل
الدار ثم اعيد فتحها مرة أخرى عام ٥١٧ هـ في عهد المأمون البطائى وزير
الامر بأحكام الله ولا أن هذا كان ايذاناً بسقوط هذه الدار وهذه الجامعة لنى
كان لها الفضل العظيم في حفظ العلوم الدينية وتطهير الفكر الاسلامى والثقافة
العربية

وقد انتهت دار الحكمة الجامعة الاسلامية الاولى بذهاب أصحابها وانقضاء

دولتهم وعادت 'الصدارة' للجامع 'لازهر' ونشطت حلقاته من جديد. بعض رواد دار الحكمة وسقراط الدولة لفاضلية واضطراب الحياة السياسية في مصر وكثرة المحاكم فيها ووقف فيها كل نشاط .

ثم تدخل مصر في عهد الممالك البحرية ١٢٥٠ م والممالك الحراكية عام ١٣٨٢ - ١٥١٧ م وانضم أخيراً إلى أراضي الامبراطورية العثمانية التي امتدت الى شمال افريقيا والجزيرة العربية .

جاء الامبراطورية العثمانية التركية بكل صلها وروحيتها وهمجها وجداها لتقضي بضربه واحدة على آخر قبس للمعكر العربي . بعد أن بدأ بثبت وجوشه في الحياة ويعطيها من انماه واجتهاد لسان الملاد الخاضعة للإسلام . انتشرت الامبراطورية التركية كالاحطيط على الشرق العربي لتشل حركته وتوقف كل حركة سالمة وتعميت كل اسباب الحق والاباح بعد ان سبقها القرى القوية السابع الهجري بضرب الحضارة العربية العباسية وهي تعطي المعكر العالمي اطيب خبراتها . جاءت القاتل الوحشية التنزية لضرب ضرته . عي معقل الامانة العباسية وتناف كل ما اتجته تلك النهضة العربية وتعميت بأقيم **الانتاج** خلوه الاساس في عصر ملك الخلافة حتى تندثر نهضة الخلافة العباسية على يد التتر .

كانت مصر هي آخر أمل للمعكر العربي ولذلك كان اسباب ازدهار الفكر والعلوم بها والنجاء العلماء إليها واشتداد حلقات المذاكرة والعلوم في جوامعها

وارادتها أمر طبعى بعد أن ففأت كل أبواب الحرية والتقدير لرواد الفكر والمعرفة
من المسلمين وانصارهم

ولو حاولنا أن نرى أثر النهضة الساقطة التي قامت في عهد الخلافة العباسية في
شمال الجزيرة العربية أو تلك التي قامت رعم مشاكل مصر الكثيرة وأثبتت
وجودها رعم كل الصعاب والدماء والخلافات الحديثة الكهيرة التي كانت لا تقف
لو حاولنا أن نرى انعكاس تلك النهضة على السودان حتى عام ١٥١٧ بدخول
مصر تحت سيطرة الدولة العثمانية ودحول الحياة الإسلامية في مرحلة لركود انتهى
شل كل إمكانيتها الخلافة وجعلها وبسة لهذا الاضطراب المم بين ابذى لا يقتل
ضحيته مره واحدة ولا يعطها اسباب الحياة لتعيش .. إنما يجعلها حية هكذا
بلا حياة مبالاً بها كل موارد الحبة إلا ما يجعلها تتحرك وكأنها حركة المشاوي
لا هو قادر على الحركة ولا هو راضى بان يكون .

كانت هذه الفترة من القرن الثامن الميلادى الى القرن السادس عشر الميلادى
هى فترة الصراع بين الدماء العربية والدماء السودانية . . . صراع بين العرب
الذين اضطرتهم الظروف السياسية لدجوء للسودان وبين أهل السودان المسيحيين
والوثنيين . بين اهل افق هؤلاء العرب البدو وبين اولئك الملاحين المقيمين
على النيل . . .

كانت معركة طويلة بدأت بسقوط الدولة الاموية في العراق الثامن وهروب
اتباعها الى حيث لا يوجد حاكم من الدولة العباسية . ثم مرة أخرى في القرن
العاشر الميلادى حين سقطت دولة العباسيين في مصر امام زحف دولة الفاطميين

المتعصبة للشيعة الغاضبة على الدولة العباسية التي تنكرت لمبادئ الاتفاق على استقط الدولة الاموية واعادته حتى آل البيت عليهم ولاكن بنوا عمومهم لم يروا في طاب الشيعة ما يازمهم بتسليم السلطة اليهم ، بعد أن استحقوها بقرتهم وقوة مناصريهم وانبايعهم .

كما رأينا أن الثقافة العربية والإسلامية بدأت حول حلقات الجوامع الكبيرة بالقاهرة وكانت هذه الندوات الصغيرة التي يتطرح فيها طلاب المعرفة والعلم أو أعم ويجبر دانهم هي بداية حركة الفكر العربي الاسلامي وعاشت هذه النهضة بقرب الساطع كى تكسب حمايتها واعانها إما الأرباب والمدن البعيدة لم يكن لها نصيب من هذا التقدير وهذه الرعاية فقد قامت الجوامع الاسلامية حيث تكاثر عدد المسلمين وعانت سلطتهم ولكن تلك الجوامع البعيدة واتى يدرس بها غالباً خريج من طائفة تلك الجامعات الدراسية الذين وفدوا لهذا العرض للأمام بأصول الدين والفقه والحديث حتى يستطيعوا أن يسيروا الحياة الدينية والفكرية داخل الجوامع المنتشرة على المدن النيلية . . .

وهذه الجوامع لم تكن أستطاعها أن تلعب نفس الدور الذي كانت تلعبه جوامع المسطاط ومدينة المسكن والقاهرة التي كانت تنطق الرعاية والاهتمام من السلطات الحاكمة وحاجة السلطات الحاكمة نفسها لمثير من هذا المبرع . ولذلك كلما ابتعدنا عن "عاصمة الاسلامية في العراق او المسطاط أو الاندلس أو المهدية قلت حركة العلم والثقافة وكانت اهتمامات الناس لإهتمامات أخرى غير لإهتمامات أهل الكتب والدين يستخلص في ذلك أن أولئك العرب الذين نزحوا إلى السودان وكانوا يستوطنون جنوب مصر ، حيث كانت أكبر معتقل لفاق الحكومة في الشجار . فقد كل صعيد مصر

والنوبة في أكثر المناطق إضطراباً وتمرداً على السلطة . في الشمال وانهار أى بادره ضعف أو إشغال حوش الدولة في حرب خارجية إلا ورفع إحدى هاتين المنطقتين ، الصعيد ، والنوبة عصا التمرد والمصيان الأمر الذى ربطت بملامكة النوبة وصعيد مصر بالنزوة ضد حكومة الشمال حتى قاد الاتفاق غير المقتصد إلى حترام الهاربين من أهل الصعيد ولوائهم بالنوبة وبين سكان شمال السودان مما ساعد على هجرة العرب بمحوار النيل .

هؤلاء العرب الذين إضطارهم ظروف السياسية والاقتصادية إلى اللجوء إلى الأراضى الشاسعة شبه الخالية من السكان في الجنوب وخاصة في فصل الصيف . لم يكن هؤلاء العرب من رجال العلم والفكر ولكن كانوا من رحال العصبية المندمية الدينية ومنهم الأوائل من بن أمية ، ولم يكن يهصر منهم العدد الهائل الذى أثر كثير آ . ومنهم الاعداد العباسية الى جاءت لتتمزق الفراع الاموى وتنتقم لال البيت حتى وجدت نفسها هذه الحمة موضع إضطهاد وكراهية من أهل الشيعة والفاطميين الذين قذفوا هؤلاء الانصار بمبائين إلى قبائل السودان .

ابتعد هؤلاء الانصار العاصمين عن منطقة الاضطهاد حامدين معهم حرارة الدعوة الاسلامية التي رزت على رجال الصحراء النوبة . وفقدت الكثير من حماسها ووجد أصحابها أنفسهم في شبه حالة تشرد وضياح يبحثون عن ارض تأويهم وجماعة تتفاهم معهم وظلوا يحفظون على شعائر دينهم وصلواتهم بين تلك القياق والصحارى والوديان وأقطعت اخبار العلم عنهم او كادت تقطع عنهم لبعد المسافة وتوغلهم في اراضى السودان عاما بعد عام وظهرت أجيال

جديدة منهم لم ترتبط بالمصروفات القديمة ولم تحاول أن تقتصر إلى شئ واحد
حسبها للأرض الجديدة التي آوتهم والتي أعطتهم الأمان والحياة .

أحب العرب هذه الحياة البعيدة عن المشاكل والحروب واستسلموا لحبهم
البدوية وبدأوا يمسحون الأراضي التي حبا لهم ينعمون على خيراتها وعلى سكانها
وكاوا في خلال توغلهم داخل السودان بمرور السنين حذرين غير محبين للعراك
حتى عرفوا أنفسهم كقبائل مسلمة مسلمة للقبائل السودانية التي كانت تستوطن
النيل وتعيش على الزراعة . .

كانت حياة الرجال هذه غير كافية لسوء الحظ للاسلامية بحماة انفسهم
وتطور الثقافة العربية بينهم . بل كانت هذه الرحلة داخل أراضي اسوان من
العوامل التي أوقدت أولئك الرواد الأوائل ، أضافهم الكثير من داهم وبهم
عن أرض المعركة وما لم يصب اليه حال الدعوة في عصرهم حين وقعت حسمها لديني
إلى الحماس إلى كرسى الخلافة والفتنة والقتل ودخل عناصر كثيرة كان هذا الأثر
الكبير في بث روح الفتنة ومؤامرات الحكم . . . بمرور السنين ظهور أجيال
جديدة من أحفاد هؤلاء الرحلة العرب في قبائل السودان وقعت هذه الأجيال
الجديدة الكثير من خصائص الرواد الأوائل في حطهم لبعادهم الاسلام وغيرتهم
الشديدة عليه إلا أنهم أحفظوا بكثير من خصائصهم العربية من قائلين وأحلق
ملازمه لعصرهم وبيئتهم . وهذا ما لا يحاط به حين تم إلهامهم والاحترام التام بين
أهل السودان وأما احترامهم حتى أصبحوا عصاة وحداً ذاتاً واحدة واحدة
شائعة بين الجميع وتخلصت صفات سكان السودان لأوائلي كما تغيرت صفات العرب
الأوائل ليظهر لنا هذا المزيج السوداني من التقاليد السودانية القديمة والتقاليد
والاخلاق العربية التي صنعت منها رحلة الرجال مواطنين جديداً حسب
البيئة والمناخ .

كانت حركة الامتزاج هذه فيها شيء من اللين والمرونة ، بين عادات
وأخلاق أهل السودان وعرب فلاتك كان هناك تدرج بين عادات المجموعتين
إلا أن الامتزاج السلبى انتهى تم على مر العصور كان امتحاناً لعادات المجموعتين
فالعادات القديمة الحريقة لا يمكن أن تروى في كل المجموعتين بمجرد التمازج
والمعايشة فهذه تقاليد قديمة عاشت على نهر النيل يصعب على هؤلاء العرب
المسلمين المتأخرين الراغبين في اندماجه من نحو هذه تقاليد حتى لو كانت تحالف
تعاليم الدين أتوا به عليهم أن يتقبلوا مثل تلك التقاليد "الحريقة القديمة" ومن
التقاليد "الفرعونية الخاصة بالافراح والاحتفال" كان يتمسك بها أهل سين فقد
قبلت الاحياء الحديثة من "عرب هذه التقاليد" التي عاشت في "نيل ورأوى"
لمعتقدوا تقريباً منهم لسكان أهل النيل وسودان ورأى أهل السودان يقبلوا
العرب لمثل هذه التقاليد وإحترامهم لها واحترام شخصيتهم ، وقبول دورهم
عادات وأخلاق العرب التي رأوا العرب يتمسكون بها ويقدمونها كجزء من
حياتهم

وكان هذا الامتزاج وهذا المجدور بدنه لفكر الاسلام وثقافته وحضارته
العربية وسط السكان المسيحيين أو الوثنيين . وجوب الاسلام بعدد عمليه التزاوج
والامتزاج بين المجموعتين معظم إحصاءات المسيحية التي كانت في عبوة
ودقيقة تنفت آخر إندها وتعيش الكنيسة معها في حالة حدب وإنصب كامل
عن الحركة المسيحية في "علم وفقدت كل علاقة بها حتى كان القرن الخامس عشر
الميلادى وقد تم خالق شخصية جديدة تحمل من تقاليد "نيل الوثنية" الحريقة
وتقاليد العرب الذين فقدوا كثيراً من خصائصهم خلال عملية الرحلة الطويلة
حتى يصوبوا إلى النيل وإلى أرض البطانة والنيل الأزرق وأرض الخبرة وغرب
السودان حتى ظهرت الشخصية الجديدة لمتجمع القرن الخامس عشر ووضح فيه
شكل الرعاة القبلية وأصبح لها وزنها الاجتماعي بين الأفراد وظهر المجتمع

القبلى الجديد بعد التكاثر وسيطرت المسلمين على معظم أراضي ليل والمونج
وغرب السودان مما مهد لقيام دولة العبد لاب والمونج في سنار وأسلام
دولة الفور في عرب لسودان وإتصار الاسلام وظهور زعامته من رجال
العشائر وزعماء لقبائل ليحلوا مكان سلطة الدولة المسيحية في شمال وفي أرض
الجزيرة عند سوية .

.

السلطنة السنارية . . .

بعد أن تم الامتزاج بين العرب وسكان السودان وظهر المجتمع الجديد الذي جمع بين الخصائص العربية "التيمة" والخصائص "ثيلية" القديمة وحر الإسلام محل الديانة المسيحية بعد أن حمله هؤلاء "عرب الرجل" مئات السنين وفقد كثير من تعاليمه وفقد العرب أنفسهم الكثير من خصائصهم الأولى وابتعادهم عن دولة الإسلام في الشمال وتوغلهم في هذه الفيافي والوديان والانهر حتى تكاثرت العدد وعزوا أرض النيل والجزيرة وظهر شكل المجتمع القبلي . . . وظهرت شخصية زعيم "قبيلة" الكبيرة العدد إلى لها وزن في الخصومات القبلية والمشاحنات وفرضت الشخصية الجديدة نفسها على المجتمع وبدأت تظهر وتصبح معالمها البارزة المميزة وتمارس كل حقوق زعيم القبيلة .

وخير ما يشير إليه هو كتاب الأستاذ شاطر البعيل معالم السودان وادى النيل الذي «فش فيه قيم» سلطته التاريخية مناقشة مستفيضة بعد عرض الخلافات الكثيرة بين المؤرخين في أصل قيام هذه المملكة .

حاء لقرن الخامس عشر وكانت ملامح المجتمع "قبلي" قد برزت وظهرت زعامات قبلية كثيرة ذهب بعض المؤرخين تسميتها بذلك .

وتعد في شمال السودان بعد سقوط دولة المقررة المسيحية في القرن الرابع عشر الميلادي من حراء هذا الشكل الجديد "مفوض" الجماعي في الشكل قبلي وظهرت في "شمال" مشيخة مسد "أرقو" على رقو وجزيرة مقاصر والحق

في الجرايرة ولوبة ثم تليها مشيخة البصرة من حلة تبين إلى جبل دافو وتضم
الخطق ودقلا العجوز وحزيرة تنفس واكر وادفار برعامة مك دنقة
العجوز ثم تليها المشيخة الشايقية وتضم حنك وقوشاني ومروي والعمرى ثم
تليها مشيخة المناصير من الرمد إلى نهر العظيرة ومن وصف بوكهارت في رحلته
في السودان أن هذه المنطقة قبيصة لسكان حتى في منطقة ملتقى نهر العظيرة
ونهر ليل وشمل كذلك هذه المنطقة مشيخة الرباط والمبروب ثم بعد ذلك
المشيحات القرية حيث كثرة السكان غيرة من الشمال مالفرة هذه المشايخ
واستلام السلطة فيما بعد على المشايخ الأخرى وهي مشيخة العبدلاب تجاورها
الزعامة النوبية ليست المخاذيب بل الأمر وشي حيث ملك الجمالية

ترعى العبدلاب هذه المنطقة بواسطة رعيهم فيجد أنه جمع وسقطوا
محمودهم على المشايخ الأخرى لقوة قبيلة "عبدلاب" حتى تمكنوا من توحيد منطقة
تقودهم مع منطقة نفوذ المويح فيما بعد فقد امتد نفوذ المويح إلى أرض النيل
الأزرق وشرق السودان .

وأهم مانود أن نضيقه هذا إلى تاريخ هذه السلطة ومنذ فترة كسفة
السودان وزيادة الموارد الاقتصادية واتحاد الأفراد في مجموعات باسم "قبيلة"
خلف ذلك الصراع الذي عاشت فيه الجماعات التي عمرت السودان واستوطنته
وذلك ما بين الفترة من القرن الثالث عشر الميلادي والخامس عشر ميلادي وهي
الفترة التي يحدها الكثافة لحق ذلك تجمع وتلك "القبائل" صغيرة على صفات
الأنهار والوديان واليهود . . كما يجب أن نضع في أذهاننا حقيقة تلك
الجموعات وميلها إلى الحروب والمناكسة وحروب الأفراد والشعوب معها
الذين يتصرفون معهم بسبب وقمع الحرق الأمر الذي يفرض على هذه القبيلة
وقطاع الطريق بهم كان الحروب التي تكبها كمراد أصبحت حرة مسئولة

أن الاخلاق القديمة التي جاءت مع العرب كانت تلزم القليلة بجناية الفرد المذمى اليها . . . وهذا سبب من الاسباب الرئيسية لحاق المشاحنات والحروب الداخلة بين الجموعات القليلة التي خفقت اليه الجديدة ويجب أن لانفسي انماثل النذل التي كانت تسكن جنوب أرض الجزيرة وما عرف عنها بحب للقتال وكأى الجموعات بدائية كانت الحرب رغم بدلتها الهروب منها أمر محال . فالمرء على الحرب والقتال أمر لمرءه طبيعة البهيمية والحياة . . .

واذا كن تاريخ السودان في المصور الوسطى يبدى بعم حدث تاريخي وهو قيام السلطنة السنارية بين عديته حوام رئيس أكبر بحرية في الشمال وبين عمارة شمس رئيس أكبر بحرية في جنوب النيل الأزرق . . .

ويجب علينا أن نسأل بعض الاسئلة لما أخذ هؤلاء الزعماء هل كانوا في قوة متبادلة أغرتهم اطاعتهم على حيط قوتهم وتوحيدهم البسط نفوذهم على كل الجموعات الاخرى التي كانت لاتخضع لهم

أن هذا الاتحاد جاء بصداقات ومعاملات تجارية بين أغني أواد نخوعات السودانية . وعبد الله جماع زعيم العبدلاب وعماره شمس زعيم المويج الدين طهروا كمجموعات قويه في منطقة النيل الأزرق وحده حدود الخدشة فقد أستمت بماسكة علوه المسيحية رضت بواسطه قداما السلوك وأبى حكمها وسطنتها وفست البلاد لسلطان وانك الذين يجب أن تدبى له كل هذه الجموعات كما أن دقتهم استسلطت بها ونعيب العرب عليها بعد الحروب التأديبية الجديدة

التي كان يقوم فيها ملوك مصر لردع تمرد ملك دنقلة والنوبة المسيحية وذلك في عهد الملك ميبرس . وتدخل سلعات مصر في شئون مملكة دنقلة وطرق التجارة وغم استمرار مسيحية هذه المنطقة إلا أن الظروف الاقتصادية لدولة الممالك كانت تفرض عليهم الاستمرار في إخضاع شمال السودان لرفع الجزية والضرائب في حين استطاعتهم أن يفرضوا سلطانهم على هذا الاقليم وتعين حاكم مسلم عليه . .

أن الجزية السنوية والضرائب التي كانت تصل إلى السلطان كانت قوى من حوافز الممالك الإسلامية ... فلو فرضوا الإسلام على شمال السودان لقللة الجزية وأنعمت ولذلك حافظوا على نصرانية هذا الجزء أكبر قدر ممكن ليسعدوا من جزية المسيحية التي كانوا يتقاضونها .

كانت السلاطنة السنارية هي بداية جديدة لحياة السودان الإسلامي وكانت أملاً لتوحيد تلك القبائل وانحسار به السودان والإسلام إلا أن الظروف العالمية كانت لا تسمح لهذه الدولة أو غيرها بشيء أكثر من قيام هذه الدولة وأحصارها في منطقتها ومحافظة على استمرار التجارة في المقام الأول .

فاذا كانت تستطيع أن تفعل السلاطنة السنارية ١٥٠٤ م تاريخ انشائها ومسايطيل المملكة الغنابية وتهدد الشك إلى كل البلدان حتى مست مصر عام ١٥١٧ م وبذلك مكنت حركة الحياة في البلاد العربية الإسلامية حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي .. كان تدخل السلاطنة الغنابية في البلاد الإسلامية وشل حركتها من الأسباب الرئيسية لركود مملكة سنار وخاصة أحياء المتأخرة عامه



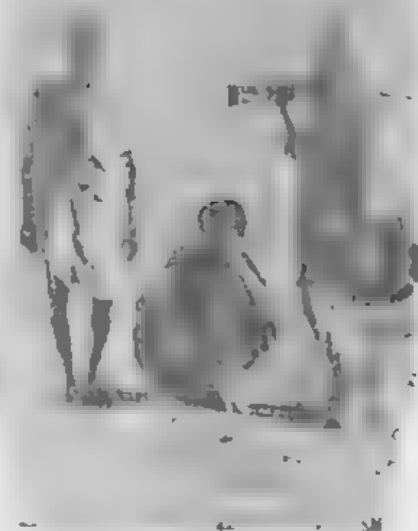
الصورة العليا

... ثم ظهر لهم في صياحه ورنين
الألوان ما يشبه من ...
[استطاعت أن تخلق أدوات لرحى الذرة

• • •

الصورة السفلى

العرب بعد أن استوطنوا السودان
وخلقوا لهم حياة جديدة حسب
ظروف السودان وأماكنه.
صورة لعرب صحراء بويضة.





أحد قرى الشبك حيث استعاد من حيرات الطبيعة في بناء مساكنه بدلاً من
الأحجار والطين . . أيتامب مناخ منلقته .



مطار العرب خمیص سد ار موسی ورمه ضلعه جانیله نمیشود
ستفدوا من حمه حیوان و اشجار الصداقی حرمهم.



رغم انتصار الاستعمار على الصوفية إلا أنه لم يستطع أن يهز وحده الصوفيين
المؤثرين بحل - إاز قور - مخدرة مدينة أم درما عام ١٩٠٤

في "بلاد الإسلامية وشمل حركة تقدم العلوم الإسلامية التي كانت تتمركز في بغداد وحلب والقاهرة والاندلس وسنعود إلى ذلك حين مناقشة الحياة الثقافية في عصر السلطنة السنية ..

والآن رغم أحلاف كل المؤرخين في تحذير زمن تحالف "عبدلأ" و"موسى بن بروس" وكان الثبوت وترجم و"نعوم شقير" ومخطوطة "واضييف الله إلا أنا سنعمد على ما جاء في مخطوطة و"دضييف الله إليه" وشروحها .

فقد جاء في المخطوطة تأكيد هذا الاختلاف وهو أن بعض الروايات تروي بداية ملكهم عام ٨٩٠ هـ وأخرى تروي ٩١٠ هـ وهذا الاختلاف يشير إلى أن حكومة الهولبع قد قامت قبل عشرين عاماً قبل أن تتجه "هبة لآ" وعاليه يمكن أن تعتبر أن عام ٩٩٠ هـ بداية تدوين نسخة "الموسى" التي كانت أقوى الأمر لأن يؤكد استباحتها له ربحية على العهد لآل للعشرين عاماً وهذا لا يحدث في عام ٩١٠ هـ ١٥٠٤ م

.....

عمارة دونقس : (٩١٠ - ٩٤٢)

زعيم الجماعات التي سكنت حوض لابل الأزرق والتي شاركت المبد لأب جزء من أرض الجزيرة ، أمتدت ، بوذها على النيل الأزرق ودوامه وشماله .
نرجح أنه أستلم زعامة هذه المجموعات عام ٨٩٠ هـ تغاب بجمعة التي عرفت فيما بعد باسم الف. نبح أو الفنجج كل عصره عصر الزعامات القبيصة والقره التي تشكل فيها شكل النجج . مع شكله الجديد بعد سقوط الإمارات القديمة بحسب رئاسته لهذه القبائل كان أغنى مجموعته وكان من المهتمين بالتجارة والقوافل التجارية الأمر الذي مهد له ولعبد الله جميع لا كفة . واتماغم عن إخضاع المجموعات الأخرى وتكون الخلف الستاري .

ثم في عام ٩١٠ هـ كتابة رقيقة الحف بين عبدالله جماع وبين عمارة دونقس الذي بنى مدينة سنار .

وقبل قيام مدينة سنار وانتقال المدينة والحضارة إليها ظهرت مدينة قباها وهي مدينة اليعقبي عن الشطآن الشمالي للنيل الأزرق خطها الشح حجازي بن معين . .

وحتى ذلك الحين لم تكن تعرف تلك المنطقة شيئاً من مظاهر المدنية والعلوم وقد جاء أن الرجل يطان المرأة ويترجها غيره في نهارها بدين عدة . . وهذا كان يحدث بين الأعراب الذين أتبعوا عن الإسلام وتبع أئمه وحاملوا لاهم

السودان ؛ اداتهم الفرعونية القديمة التي لم يستطيعوا حتى الان الخلاص منها ...
ويجب علينا أن نقف عند هذه النقطة حتى نستطيع أن نتطالع ونابع حركة
التطور التي أحدثتها السلطنة السنارية . سلطنة تجارية قامت من أجل المحافظة
على تجارة القوافل التي تهم زعيم الواويع وزعيم العهد لآب ، بين قبائل رعوية
متنقلة شرسة . فولى عبدالله جماع إخضاع قبائل الجملين والحاذيب والمرباط
والرباطات والماعير والشايفية والدنافة وتولى عمارة تيمس إخضاع القبائل التي
تغطي شرق النيل الأزرق ووديانها وعضارف والبطانة .

فقد كانت تلك المجموعات صغيرة متناثرة قليلة الإمكانيات إذا رأينا
أغنى منطقة وهي منطقة نهر النيل الأزرق اقتسمتها قبيلة العهد لآب حتى حدود
أرض الجندلين شمال قرى عاصمة العهد لآب ثم الجزء الشرقي من النيل الأزرق
بارضية الخصب ومراعيه الأمر الذي جعل لآب بحيرة تقط هذه المنطقة أن
تعيش في رعد ويسر لم كان من ناحية المحاولات الزراعية أو المراعى لماضيها
التي كانت عماد حياتها .

هكذا بدأ الخلف " منارى الخلق مجتمع مستمر وبه المدين يخلق ادارج ينة
بين أفراد لم يتعدوا مشهه المسئولية ويجب أن تلب عندهم النقطة ، ايضا إن
أردنا ان نابع لتطور احضارى لهذه المجموعات لرعوية التي لم تعرف الادارة
والنظم وماطالبة هذه الدولة من مزايا وكوادر لإدارة شؤون الدولة الحديثة
التي تشيها عمرة دونيس ، احفظ بانراسه لنفسه واجائته واعطى عبدالله جماع
وأمرى أمارة القمم الشمالى من المملكت . -

وقد ساءد التركيب الاجتماعى القبلى ونظام إدارته المملكت على الاستمرار

في أداره هذه المملكة الشاسعة .. فقد كانت القبائل منظمة بطبيعتها براً . هازعيم قبيلة هو العالب أغنى بمجوسه إن كان يحصل ضرائب مباشرة منهم أو غير مباشرة في شكل غرامات وخلافه .

هذا النظام الإدارى القبلى الذى كان يدير المجموعات كقبل لل دولة الجدة مدقة البحث عن كواد جديدة للقيام بالنظام والادارة فتولى كل زعيم دائرة مجموعته مع خضوعه لسلطان سنار أو خيمته من عهد لاب بقرى مع استقلاله للداخل في إدارة شؤن اقليمه .

ظهور زعامات دينية جديدة دفع لاتحاد رجال المال .

رسم لاختلاف بين كل المصادر التاريخية ولو اننا نقدم بداية من الحيف إلا أن هناك حقيقة أثبتتها المراجع أنه حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى لم يستقر الاسلام والنفوذ العربى في السودان وكان نهاية القرن الخامس عشر هو بداية ظهور شخصيات دينية .

وقال الله ض لهذه الشخصيات الجديدة التى أثرت في الفكر السودانى وهولولا لأفراد بلى عرست قواع شيوخ الجريد منذ القرن الثالث والرابع المحرى منها مدرسة حسن البكرى وإبراهيم بن ادحم ومدرسة رابعه العنوية تلك الشخصيات الوافدة إلى السودان بتقييم جديد للانسان ومقدواته وملكاكه بدت بتدوير العمومية والكرم والحوارى وأوحد نوع من الشخصية الجديدة التى بدأت تراجم النجديات لتقديمه الى قول رعامه المجتمعات والرجال .

كانت الزعامة قبل ظهور هذه الشخصيات الجديدة للأفراد الأتقياء أصحاب
الامكانيات وأبناء القبيلة الكبيرة وأصحاب الثمن والحب فظهرت هذه
الشخصيات لتخلق نوعاً جديداً من الأفراد يتميزين ليسد أغنياء ولا من رجال
كبار القبائل أو من العرسان الذين همز من العشرات أو من الكرماء .

طرحت هذه الشخصيات الوافدة من هذا جديداً للرجل "كامل حسبوجه
نظرهم الى قبيلة المجتمع . . الانسان العائد المنقطع للعادة ولانسان الذي يأتي
بالحوارق . الانسان الذي يستطيع أن يكشف الغيب وأن يشفي وأن يؤذي وله
من الامكانيات غير الطبيعية ما بهل العقل الانساني عن مصدر هذه القوة
وهذه الامكانيات .

أن القرن السادس عشر بالنسبة للسودان هو بداية تحول كبير في التفكير
والسلوك والقيم وفي إرساء تعاليم والثقافة العربية التي لم تنشأ حتى ذلك الوقت
أما بالنسبة للعالم الاسلامي فكان ايذاناً بتحول كبير بعد أن امتدت يد الدولة
العثمانية الى البلاد العربية وبعد أن ظهرت الخلافات المذهبية بين المسلمين الأما
الذي قاد لظهور مذهب جديد هو مذهب الصوفية الذين رأوا الاخير في هذا العالم
وتأثروا على بنوا سلوك الرهبان في الامانة . فانتقل نثر من الصوفيين الأتقياء
للعباداة وعدم التفكير في أمور الدنيا بل فتح قلبه لعبادة ربه ورسوله ودام في
حب خالقه ورسوله درجة اعلمه عن كل مسئوليات الحياة ومشاكلها واتجه بصره
وعقله وبصيرته للعالم الآخر وفعل ما يشبه ما يفعله الرهبان المسيحيين في إقطاعهم
للعباداة وتركهم لذات الحياة ومسئولياتها .

وكانت هنا لك منطقتين ظهر فيهما هذا الاتجاه الجديد في العباداة بزيادة حديث

تلك الاسلام بضائع وحدة دونه وإعراف الخدام المسلمين عن العالم الاسلاميه
في المغرب حيث أمتد المذهب الشيعي الذي اتخذ أصح " في سلوك الرسول صلى
الله عليه وسلم وخلفاءهم وتلاميذهم لمقدم النظر مخالفتهم مثلا على لم اقتدى الشيعة
بذلك المصالح السامى للرسول في العبادة وفسوا أن الرسول لم فس مسئوليات "بحيرة
ولم يطلب من الناس أن يجعلوا العبادة قلوبهم عن مسئوليات الحياة
وكسب العيش .

وأول ما جاء للسودان حاملا هذه الينذرة هو لشيخ أج الدين الهارنى
البيعداى ونقل هنا نهرينه حسب ما جاء بخطوط ودحميه ضيف (هو ناج
الدين الهارنى البيعداى اسمه محمد و لههارى نعتة مأخوذ من قولهم قر بهارنى
مضى اسمى بذلك تضياء وجهه ربحانة من أخباره هو والشيخ الامام لقطب
الربنى والوث الحمدنى خليفة الشيخ عبد القادر الجيلانى مولده ببغداد حج
للى بيت الله الحرام وقدم بلاد السودان بأذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم والشيخ
عبد القادر الجيلانى قدم مع درود بن عبد الجليل أبو الحاج سعيد جد ناس
لبيدى (١) وقدومه أرل انصف الثاني .

.....

(١) لبيدى بلدة بالشاطيء الايمن للقبيل الازرق شرق مدينة كامايين

تطور الثقافة العربية في عهد السلطنة السنارية:

أتاحت الظروف العالمية لسلطة سار أن تقدم ونحتضن الثقافة العربية كما خلقت من حولها مناخاً جافاً من النهضة والتقدم .

قامت السلطنة السارية والأميراضورية الإسلامية قد تقسمت إلى . .
دويلات صغيرة أملاكها الخلافات والحروب حتى آمنت لهايد الاضطراب
العثماني لشل حركة تقدمها وبذلك فرصت حياة راکدة في البلدان العربية
المحيطة بالسودان والتي تشركه في الاسلام كما أتاحت للسودان الفرص أن
يتبنى النهضة العلمية التي كانت سائدة في البلدان العربية، وتقديم كافة المساعدات
والامكانيات المادية التي كانت تغري العلماء بالتزوخ للعراصب وبجاءورة
الملوك . .

وقد كان تحالف السودان الثقافي والاسلامي عن البلدان العربية لا يتيح له
الفرصة لمثل هذا الدور الخطير . . فلو كان السودان متقدماً مثل بقية الدول
الاسلامية لاحتضن علماء الدول الاسلامية وتبنى تطور الثقافة العربية والاسلامية
ولكن ظروف تطور السودان الاسلامي والعربي لم تواكب تطور بقية البلاد
الاسلامية والعربية

وفي القرن الذي بدأت فيه الحضارة الاسلامية في البلاد العربية والدول
والضياع ظهرت دولة السودان العربية الاسلامية فقيرة من كل الامكانيات
بعيدة كل البعد عن تطور الحياة في البلاد العربية ولذا لم يستطع أن يستفيد

السودان من خيرات المهجرين العرب بأناحة الظروف الملائمة للعمل العنى على
على الوجه المطلوب . . .

ورغم ذلك كان السودان متفذا هاماً لبعض العاضيين والمتربين والخالين
من العلماء والمخلصين أيضاً .

قامت السلطة العمة رية وحملت المهلكة الإسلامية الأولى في السودان . .
فكل زعيم من المجموعتين لذين خلقوا التحالف لىذرى عدائته جماع وعماره
دوقس مسلم يحتفظ بشجرة نسب عربية مما اقتاح من الفسب الانتعاش تطور
الفكره الإسلامية والنقاة العربية . . . ولما كان هذا لك وسيلتين لهذا الانتعاش
مواسم الحج ولانتشار السمكة بين الناس وحرية الدوله لقواهل الحجاج واشترك
أمراء سنر والعبد لك في حفظ سلامه قواهل الحجاج ، دفع الكثير من لراة
قبر لرسول صلى الله عليه وسلم وأدار الريفه . . . وعن حريق الحج كانت
تنفتح مدارك الحجاج لمعوم الإسلام . . . وقد لعبت هذه الموسم دوراً كبيراً
في دفعه بعض العلماء لزيارة السودان وتقديم المساعاات العلميه ونشر العالم
الإسلامية . . . وه كان ام الدين البيارى (البغدادى) أول من لى هذه
الدعوة وأول من اشتهر من العلماء الذين أنوا من الحج مباشرة مع قواهل
الحج السودانية .

ولما أردا أن تؤرخ للثقافة العربية والإسلامية بالمفهوم العلمى الحديث وبما
كان سائداً في البلاد الإسلامية فسهؤرخ له بدخول تاج الدين البيارى أوائل
القرن السادس عشر أما فبن ذلك فلم يه في السودان من الثقافة العربية
والإسلامية إلا الشيء اليسير من الذين سبقو تاج الدين بأعوام بسيطة في أفعال

القرعة العربية والتعليم الاسلامى ونشر قرآن والصوفية حسب ما جاء النبا
فى المخطوطات

وهذا كل تعطش الناس للتعاليم الاسلامية وتعلم القراءة وحفظ القرآن من
العوامل التى ساعدت لنشر هذه الثقافة العربية والاسلامية فى وقت وجيز فى السودان
على يد تاج الدين البهارى ورجال القصر وأولاد جابر .

وقد سبق تاج الدين "بهارى" بعض العلماء المصريين والمغاربة إلى السودان زمن
يسير إلا أن تلاميذ "سبح الدين" بهارى هم الذين قامت عليهم النهضة الثقافية
والصوفية فى مملكتهم سار . وقد سبق تاج الدين "بهارى" الشيخ لراهيم الميولادى
ابن حابر إلى دار الشافعية حيث درس فى حايلا وأرسلة بعد أن زار مصر
وعسم فى الأهر ثم ذهب إلى سار كقيمة علماء ذلك العصر لمجاورة المولى والعواصم
الاسلامية حيث جعل له مدرسة كبرى فى الأهر الشريف يدرس فيها وينطق فيها
محاضراته فى شتى العلوم الاسلامية .

وهذه قامت على يد أولاد حابر بأرض الشافعية من القرن السادس عشر
أول مدرسة لتدريس القرآن وعلومه بالسودان ، وقد سبقت أرض الشافعية
بقية الاقاليم السودانية فى هذه المعرفة ولذلك انزب أرض الشافعية من طريق
القوافل التجارية الناهية إلى مصر والأهر . . . رغم أن الأهر فى عصر
الحكم المملوكى لم يكن كما كان فى عهد الفاطميين والمماليك إلا أن المسلمين سماحة
ديهم كانت تفرص عليهم أطعام طلاب العلم ونوفير سبل الحياة . .

وهو أهتم بعض لمسورين بسوت الله ورعايتها من أموالهم الخاصة الامر

الذى حفظ للأزهر مواصلة رسالته رغم كل الظروف العصيبة ووفى الاعانة الملكية عنه .

وقد خصصنا فصلا بتاريخ الأزهر والجوامع التي سبقت في مصر لنعطي صورة عن حياة العلم في عهد الدولة الأموية والعباسية والفاطمية والمماليك وأما كانيه إسماعيل السودان من دراسته التي يأتي في المرتبة الأولى ضمن العيش للطلاب فيه وقد ساعد الحج عن طريق مصر في سفر كثير من طلاب العلم إلى مصر لقيموا بالأزهر حتى قيام قوافل الحج ثم بقاؤهم بمكة لمعاودة المصطفى عليه السلام ثم العودة عن طريق مصر وعلى سبيل المثال العلامة الكبير عمار بن عبد الحميد الخطيب من أهالي سنار حيث درس جميع العلوم الفقهية والنقلية والعقائمية وعلم النحو الأصول والمصنف والتسوف وكان ذلك في عام ٧٧ هـ ...

وفد مدحه تسببه الفقيه على ولد الشافعي بقعده قال فيها .

يا طالبين لكل فن تفتخروا	شدوا الرحال وخرخوا سنارا
قد حل بـمـا امام فاضل	زين الوافل عالى المقدار
ورع تقى صابر متواضع	وجل عليه سكينه ووقار
له العلوم تأملت طوع المنا	من غير إشكال ولا إلتسار
في كل فن تطلبون ترونه	يبدى المزيد كزائر الأبحار
فقه وتفسير الحديث ومنطق	وبديع علم والمعانى يدار
فقه ونحو والبيان ومعرفة	علم الكلام به جلا لنبار
علم التصوف طال فيه يافى	وقتا به للسادة الأبرار
وكان مجلسه المسمى أزهر	على المدارس في كلا الامصار

وهذه القصيدة تكشف لنا علم العلامة عمارة بن حميد الحفيظ الخطيب
ولاشك أنه قد كان خير علماء سنار كما تكشف لنا عن حالة الشعر العربي في القرن
السابع عشر الميلادي .

وقد كان يتكسب كغيره من هداية الطلبة والأصدقاء وزعماء القبائل المحبين
لرجل الدين والعلم . أما ملوك سنار فلم نسمع عنهم أنهم تدينوا هؤلاء العلماء
كما كان سائرا في بغداد وحلب والقاهرة والاندلس وإن كانت هنالك بعض الهبات
والهدايا وقد كانت ظروف خاصة ولكنهم كسياسة عامة لم يسلكوا سلوك رؤساء
الحكومات الإسلامية في البلدان العربية . . .

أما الشيخ تاج الدين البهاري الذي حضر في بداية القرن السادس عشر
الميلادي لم يسكن سنار بل أقام في الجزيرة في ضيافة داود عبد الجليل الذي دعاه
لزيارته السودان وتعليم أهلها تعاليم الإسلام بعد أن قاله في أوض مكة وتزوج
من أهالي مكة بالغلالية وتخرج على يده علماء من علماء السودانيين الأوائل
ورجال الصوفية منهم الشيخ محمد المهيم الذي جعله الشيخ تاج الدين البهاري
خليفته بعده وطلب من الناس مبايعته . ومن أحبابه وأسميته بهميم . . . إن
زوجه شيخه طالبت منه دوكه كسرة فطلب من محمد أن يحضر لها دوكه ذهب
واحضر الدوكه على رأسه وعند حضوره وجد شيخه قد عادر أربحي إلى سنار
فلاحق به في سنار والدوكه على رأسه وعندما وصل سنار سأل عنه فعرف أنه
رحل إلى قريته فلاحقه في القرية وهر ما زال حاملا الدوكه على رأسه وعندما
علم شيخه بقصته قال له هذه همة نصلح بها دين الله عز وجل فوقع منشيا
عليه . . .

ثم تلمذ على يد الشيخ تاج الدين اليماني بانقا الضرير وهو من رجال
الصوفية الصالحين . . .

وكذلك حجارى بن معين بنى أريحي ومسجدها وشاع الدين ولد التويم
جد الشكرية والشيخ عجب الكبير . . .

كما سلك أربعين رجلا منهم الفقيه حمد الجميعى صاحب مسجد اسلانج
والفقيه رحمه جد الجلاويين ختم أئمان ولد عبد الصادق وبان النقا كما سافر إلى
تغلى وسلك فيها عبد الله الخال جد الشيخ محمد ولد الترابى مع جماعته . . .
وقد حمل هؤلاء عن بعده رسالة الصوفية وبناء المساجد واشغال سر القرآن
والدراسات . . .

وأذا أردنا أن نحصر مراكز لتعليم في السودان في عصر سلطنة سنار
فسنجدها حيث طاب المقام لرجال العلم والصوفية . . . فقد جذبت أرض رفاعه
وأريحي والحزيرة الكثير من العلماء ورجال الصوفية لكرم رجالها وحسن
ضيافتهم وكرمهم ثم مدينة سنورو الحنفية وسدى وبربر وأرض الشافعية
وخاصة نوري ونفلس وتوقى . . .

بعد نجاح الحلف السنارى ومع بداية القرن السادس عشر واستتباب
الامن واستمرار القوافل التجارية مع مصر والحجاز انتعشت الحركة التجارية
وكثر عدد المسافرين والمرافقين لها وكثر عدد العرب المهاجرين للسودان طلبا
للرزق والثروة وكثر عدد طلاب العلم في أروقة الأهرام والمجاورين بمكة وتزودوا
بالعلم والعلوم الاسلامية وانتشر خبر قيام السلطنة السنارية بواسطة

القوافل التجارية في مصر والحجاز وانفتح "باب الهارين من ظلم مجتمعاتهم
وشطفت العيش بأوطانهم للتقدم إلى السودان كما انتبه الحجاج السوداني "فرصة
لدعوة رحيل العلم الصالحين للحضور إلى السودان لتعليم أهله تعاليم الاسلام
واقراءة والكتابة وحفظ القرآن .

وفي نهاية القرن السادس عشر كانت العلوم الإسلامية والثقة العربية قد
انتشرت في ربوع السودان والمدن التجارية وبحلول القرن السابع عشر الميلادي
كانت الصوفية قد ركزت في القرى والمدن وشغلت الناس وما صاحب رجالها
من كرامات وورع وصلاح جذب إليها الناس دور رجال العلم حتى بات مركز
رجال الصوفية أعلى من رجال العلم والدين .

وأذا حارلنا أن نشبع النشاط العلمي والديني خلال القرن السادس عشر
والسابع عشر والمان عشر فسنجد دراسة القرآن وحفظه كانت تحتل المركز
الأول وكان حفظ القرآن من لامية من طلاب العلم إما مراد ذلك
من علوم فكانت تمليه طريف الطالب والشيخ . فاشيوخ الدين قاموا
بتدريس القرآن والحديث والسيرة واللغة العربية كانوا يقومون بتدريس هذه
المبوم فلم يختص شيخ أو عالم بتدريس مادة مفردة بل فصر بعضهم على تدريس
القرآن وعلوم الدين وراد البعض بتدريس اللغة العربية من فقه ونحو
وعروض إلخ ...

وبدأت لحنل شيخ حلوه (المكنة تيب) الخاصة به يحضر إليه التلاميذ
من القرى محوره للأهليم ابعية حسب سمعته وتراثه وبركه وصلاحه

واستعداده لقبول الطلاب وضيافته لهم وكل ما كان استعداد الشيخ لتعليم الطلاب دون اوراقهم بالالتزامات المادية كلما كثر طلابه . . . وقد اختلف علماء السودان عن بقية علماء البلاد العربية الامر الذى جعل نشاطهم لا يصل إلى تلك النهضة العربية . . . وقد كان علماء الدين واللغة يجتمعون جميعاً في الحوامع الكبيرة كل له زاويته يدرس علمه المخصص فيه . فأحدهم يدرس التفسير وآخر السيرة وآخر علوم اللغة العربية وكانت حلقاتهم يتبعها كبار العلماء والادباء الامر الذى رفع من مستوى تلك الندوات والمنافذات التي كانت تجري في جامع بغداد أو القسطنطينية أو الأزهر أو حلب حتى خلقت تلك النهضة الفكرية الإسلامية العربية لاتساع صدرها لهذا التنفس والتخصص واشتراك العلماء مع بعضهم في المناشآت واجتماعهم تحت سقف واحد مما أتاح أيضاً للطلاب أن يتتقى العلم على يد أكثر من معلم رغم استعداد البعض للتدريس في كافة العلوم

ازدهر تدريس القرآن وعلوم اللغة العربية وأدب الصوفية وقد دخل الشعر الصوفي قبل غيره من أدب العرب وذلك لانجذاب الناس نحو رجال الصوفية . .

ومن رجال الصوفية الكبار محمد أراهم الهيم ، ولم يكن عالماً إذ اضطرب القاضي وشين (قاضى العداله) أن يفسخ زواجه لانه تزوج أكثر من أربعة وجمع بين الاخوات ثم الشيخ خوجي بن عبد الرحمن أبو الحاز وكان أكثر رجال الصوفية صلاماً وظهرت له كرامات كثيرة وادانت له الملوك وعامة الناس ومن سبقه في درجة الصلاح والصوفية الشيخ أدريس بن محمد الأربوب المولود عام (٩١٣ هـ - ١٥٠٨ م) والمتوفى عام (١٠٦٠ هـ - ١٦٥٠ م) وعاش مائة وسبعة وأربعين عاماً مدفوناً بالقرب من الحفاية وكذلك يدعى الصيرير أحد

الذين سلمهم الشيخ تاج الدين البهاري الذي ولاية تربية أبنائه حين توفي وأعطاه أسرار الصوفية ومن رجال الصوفية الذين علت سمعتهم وظهرت كراماتهم ، الشيخ دفع الله بن الشيخ محمد أبو لإدريس . تبناه الشيخ إدريس بن الأرباب حفظ القرآن واشتغل بالفقہ ثم قرأ مختصر الخليل على الشيخ إبراهيم الفرضي . . .

وإذا أردنا أن نخص مراكر التجمع النقي والعلمي في السودان داخل أراضي السلطنة السنارية ، فسمجد على النيل الأزرق حوالي ثلاثه أو أربعة مناطق تجمع على طول النيل الأزرق أحد هذه المناطق خاضع لنفوذ العبدلاب والثلاثة تحت نفوذ السلطنة السنارية ، وأول هذه المناطق هي التي كونها الشيخ محمود راحل القعير العركي في نهاية النصف الأول من القرن السادس عشر ، على النهر الأبيض بـ أرض احسانيه ، بحلة الهوى . وسنذكر تاريخه في حديثنا عن تاريخ كل منطقة . وهذه المنطقة قريبة من منطقة نفوذ قري عاصمة العبدلاب أما المنطقة الثانية فهي المنطقة التي عمرها الشيخ تاج الدين البهاري حين جاء إلى السودان مع داود بن عبد الجليل أبو الحاج سعيد جد ناس العيدى في ولاية الشيخ عجيب وسكن مع داود في وادي شهر في أول الامر إلا أنه تقل بنشر علمه في ربوع السودان بـ وادي شهر ، حلة قرب الحصاحيك في أرض الجزيرة والمنطقة الثالثة هي منطقة أربيجي مدينة شيخ حجازي بن معين الذي خطبها وكان غنيا وتعلم على الشيخ تاج الدين البهاري وأربيجي في منطقة رفاعة باقرب منها جهة الشرق والرابعة هي مدينة سنار عاصمة الفونج فقد تعلم على علماءها على الشيخ انصير وتاج الدين البهاري وتوسعت فيها حقائق لعلم ومن علماءها الكبار العالم عمار بن عبد الحفيظ الخطيب هذا فيما يخص منطقة النيل الأزرق

وكذلك توسع نشاط الأفراد شمال النيل الأزرق وتعمرت الخلفاء قرب
قري وشندي وبرير بلاد الشايقية واماقله وتوتى واستقر في كل منطقة من هذه
المناطق العلماء والشيوخ من الصوفية الذي ملأت أخبارهم البلاد وصار الوصول
إليهم منية كل فرد .

بدأت حركة البعث هذه بعد قيام السلطنة السنارية في النصف الأول من
القرن السادس عشر ، وبداية النصف الثاني من القرن السادس عشر ، بعد
أن استتب الأمن لسلطنة السنارية . وشيوخ وري من العبدلاب . بعد أن
استتب الأمن ، واستقرت الأحوال لهذه السلطنة الجديدة ، بدأ الناس
يطالبون بالتوسع في عالم دينهم بكلمات السلطنة للناس الأمان باشتراكها
فهي القوافل التجارية لمصر واطمان الناس على حياتهم من مخاطر قطاع الطرق .
... وتولدت في نفس الحاجة الأكدم بتعاليم دينهم ، لما وصلوا إليهم من
جهل به . وقامت قوافل الحج عن طريق القوافل لتجربة الذمم إلى مصر ثم
تستقر في مصر وتذهب مع القوافل المصرية إلى الحجاز وتؤدي الفريضة .

وقد كان لبداية هذه الحركة التجارية أثرها الكبير في تشجيع طلاب
العلم والمختصين من العلماء العرب لسودان وأول من عادت هذه
البعثات وأخذت نسطا من العلم بالارهر والحجاز هو الشيخ محمود راجل
القصور المركي الذي أسس مدرسته جنوب الخرطوم .

مطلة التعالم الاولى أرض الجزيرة :

نستطيع أن نؤرخ لبداية الحركة العلمية والثقافية العربية والاسلام حسم .

ما جاء في المخطوطات والمراجع وأفضلها مخطوطة وصيف الله إن الحياة العلمية بدأها الشيخ محمود العربي راجل القصير ، الذي ولد بالنميل الأبيض وسافر إلى مصر طالباً للعلم والمعرفة وكان ذلك في نهاية النصف الأول للقرن السادس عشر الميلادي .

ودهب الشيخ محمود العربي إلى مصر وعنى ما زالت تحتفظ شعاع المعرفة السابقة ولم يمتد لها يد الأتراك لتوقف تطور العلم والمعرفة وتقاطع الاعاءات والرعاية التي كان يلقاها الجامع الأزهر وجامع المستطاط والجوامع الأخرى التي كانت بمثابة الجامعة الإسلامية وتمثل مهج التعليم والبحث والفكر في ذلك العصر خلال حكم الفاطميين والمماليك السعديين والمماليك الشراكسة في القرن العاشر الميلادي إلى بداية القرن السادس عشر الميلادي حيث بدأ لحكم التركي لمصر من عام (١٥١٧ م ١٧٩٨ م)

استفاد طلبة السردان من الأزهر رغم ظروف سيكت في عاشتها مصر خلال الحكم التركي وتدهور حال التدريس وأحتفاء بعض العلوم "عقائمه" من الأزهر كالرياضيات والفلسفة .

وأنحصرت لدراسات فقط في علوم اللغة العربية والتوحيد والفقهاء والتفسير ويعزى استمرار هذا النمط إلى مجموعة من المفسرين والعلماء العرب وأصرهم على مواصلة الرسالة على مجهودهم الخاص وقد كان اسمعتهم لادينية و"مسيه" أكثر كبير في رحلة طلاب العلم إليهم من جميع البلدان العربية والعربية وانركية ، ومن هؤلاء العلماء الذين عاصروا السطحة السمانية أي في بداية القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر ، وتمتد عليهم معظم أسماء السردان

واستفادوا من مؤلفاتهم وأخبارهم العلمية ، حيث كانت الدراسة تدور في أروقة الأزهر على قرار الدراسة في أكاديمية أملاطون وجماعته ، إذا كانت الدروس عبارة عن مناظرة يشترك فيها الاساتذة والطلاب وقد خصص لكل أستاذ مكان معين يلقي فيه دروسه في شتى العلوم كالرياضيات والنحو والتفسير والفقه وقد كانت هذه العلاقات الحرة ونظام التدريب فيها يتيح أذهان الطلاب لعالم رحب من التفكير مما ساعد على التأليف والكتابة رغم قلة العلوم العقلية التي كانت تدرس .

ومن الاساتذة الذين اظهروا على رسالة الأزهر العلمية رغم قلة الامكانيات المادية وخوف الدولة التركية من نشاط الأزهر ومحاولتها للتقليل من نشاط دور الاستحكام به حتى نجت في كسب بعض شيوخه وجعلته تابعا للأمية الطورية التركية ، وشارك في التدريس : نور الدين علي البحري المتوفى عام (١٤٤٤ هـ ١٥٣٦ م) والعلامة شهاب الدين ابن . . عبد الحق السباطي المتوفى (عام ٩٥٠ هـ ١٥٤٠ م) وعبد الرحمن المتاوى المتوفى (عام ٩٥٠ هـ) وشمس الدين الطاهر الشافعي والامام شمس الدين أبو عبد الله العلقمي المتوفى عام (٩١٣ هـ ١٥٦٣ م) والامام الصفوي المقدس الشافعي المتوفى حوالي عام ١٥٨١ م

وقد ضم القرن السابع عشر الميلادي العديد من العلماء بالأزهر وحج اليه الكثير من العلماء من المغرب وشمال الجزيرة العربية ومن علماء القرن السابع عشر الميلادي كشمس الدين العتافي وعبد الباقى بن يوسف الزرقاني المالكي والعلامة شامس بن منصور عامر الارمناري المتوفى عام (١٦٩٠ م) وكان يلقي

محاضراته بالأزهر في شتى العلوم والفنون والشيخ محمد الاخرس المالكي شيخ
الجامع الأزهر المتوفى عام ١٦٩٠ م) والشيخ حسن بن علي بن محمد الحبري والد
الجبرتي المؤرخ العربي الكبير وقد توفي عام ١٧٠٤ م وقد كان بارعا في العلوم
الهندسية وقد زار الأزهر هذا القرن العلامة شهاب الدين المقرئ في طه ١٦١٨
وأقام بمصر للتدريس بالأزهر لاعوام طويلة حتى فاته عام ١٦٢٣ م وكما زار الأزهر
العلامة للصوفي الشهير عبد الغني النابلسي عام ١٦٩٤ م .

ويذكر الجبرتي أخبار علماء مصر ويورد لنا الكثير من أسماءهم ويخصصهم
ضمهم العلامة اللعوي حسن البدرى الخجزي المتوفى حوالي عام ١٧١٨ م والعلامة
عبد الرزاق بن توب الطيف البشبيشي المتوفى عام ١٧٣٠ م وكان استاذاً في
النحو والمعاني والشيخ أحمد بن عيسى الصماري المالكي من علماء الحديث
وغـيرهم . . .

وفي الكتب التي كانت تدرس بالأزهر في القرن الثامن عشر الميلادي والتي
يوجد بها يمكن لنا أدراك سير العلوم والمواضع التي كانت تدرس والتي سیرت
نخلة المسرة والفكر العربي خلال العصور النشطة ومنها ، لاشعوني وابن عقيل
والشيخ خالد وشروحه والأزهرية وشروحها والشذور وكتب التوحيد
كالجوهرة راخدهدى وشروح السنوسية الشهيرة والصغرى وبعض كتب المنطق
والاستعمالات والمعاني و"بيان بهائم كتب الحديث والتفسير ، هي تدور جميعها
في علوم اللغة العربية والصوفية والحديث وعلوم الدين وقد أحضرت منها اليوم
الحديثة كالمباحث والمنطق والفلسفة والملايك ، من هذا المذهب الفكري المحدود
كان يتلقى طلبة العلم من السواددين الوافدين على الأزهر .

كان الازهر هو الجامعة الاسلامية والعربية خلال الفترة في القرن
الثاني عشر إلى الثامن عشر الميلادي وقد كان تقدمه في العلوم ينعكس على سير
العلوم في بقية ابلدان العربيه وخاصة التي تقع في أفريقيا حيث القاهرة منبثق
فوائد المسيح السائرة إلى بيت الله وقد كان أي تقدمه في حالة الازهر
العلمية والإقتصادية لها أثرها المباشر على بقية الدول حيث كان أولها
العظيم لكل طلاب المعرفة وعلماء البلدان الأخرى . . . وإذا أردنا أن نقيس
مستوى المعرفة والعلوم في عصر السلطنة المنارية يجب أن نقيسها بمستوى
العلوم بالازهر وعصر حيث كانت لرأب العظم اطلال المعرفة في القرنين
واسى نستطيع أن نقوله عن ضلالت تلك الفترة وما تركوه من أثر على تقدم
العلوم في السودان هي نشر لغة العربيه وعلومها والحديث والتفسير وعلوم
الصرفية والكمية لم يتركوا أثر خارج حدود السودان فلم يسمع عن واحد منهم
حاصر بالازهر أو الحجاز ولم يتركوا في المحاولات والملاحظات ما أثر في تطور
العلوم العربية والدينية خلال تلك الفترة رغم ما تحلقه بعضها من عوائق كانت
في التوجيه والصرفية والتفسير حيث كانت الدراسة تحجب طلبة هذه
من ظروف التدريس والازهر أنشأ ليقوم بجمعة الجامعة الإسلامية بمرحلة
الرعية من الدولة والعلماء أم في السودان في عصر الدولة المنارية في القرن
عشر هذه الجامعة إنما فلم لا نام بعد - أ عن سنار في التوجيه
والجديرة والخدمة وشهدى وبربر وأرض شاذية وكثرة تجم
الدائم حيث قلل حمد السجود في القرن الثامن عشر الميلادي
وفي الترويات أنام الشيخ أحمد النقيب شيخ الطريقة النورية

نحن نبنى قياسنا للعلوم في تلك العصور على مفهومنا للعلوم في العصر الحاضر حيث كثرت فروع المعرفة وتوسعت المعارف في الفلسفة والكيمياء والعلوم الفيزيائية والطبيعية والهندسة والآن لم تتوفر لعناء تلك الحقبة

تعبير مستوى هذا العصر في التقدم في ظل هذه العلوم ونقيس مستوى ذلك العصر في ظل تلك العلوم . . . وهي علوم الدين واللغة حيث حلّت من العلوم العقلية كالمهندسة والرياضيات والفلك والفلسفة والطلب العلم الذي جعل العلم في السودان خلال فترة من القرن السادس عشر إلى التسعين عشر الميلادي لا يستطيع أن يقصر الظواهر الاجتماعية ويدرك التدرج ويؤدي رسالته على سبيل وجه في إزالة بقايا الوثنية الفرعونية والديانة المسيحية وهذا ما نراه حتى اليوم في عادات الأعراس كالأزواج والختن في أغاني السيرة وهاب العريس إلى البحر والكثير من العادات خلال فترة الروح أو العادات التي تشير خلال فترة الحداد على المتوفى . وكثير من التقاليد الاجتماعية تبرز فيها هذه الرواسب القديمة في أفرقيته وفرعونه ومسيحيه وهي موجودة حتى الآن في تقعيد الورع والبناء والأفراح والأحزان .

أما التجمع العلمي الذي حدث في السودان كما ذكرنا سابقاً قام بعيداً عن العاصم سنار رغم زيارة العلماء لها وأقامة بعضهم بها كالعالم الكبير عمر بن الخطاب الذي اشتهر بالعلم والمعرفة وهو من أشهر علماء سنار ثم منطقة أوجي التي ساعد نراه حجازي بن معين على نشر العلوم بها واقامة المساجد وهي قرب عرفاته ثم منطقة الحسانية بالبليل الأبيض التي قامت بها سبعة عشر مدرسة ودمرتها قبائل الشلك التي كانت تقيم في ذلك الوقت في منطقة النيل الأبيض ثم منطقة قرش عاصم العبدلاب وما جاورها كالحلفاية وجزيرة توفى وشندي

وبربر وهؤلاء لموقعها التجاري في طرق القوافل التجارية الآتية من -إفريقيا وعرب
السودان ومن سواكن ومصر .

وكذلك منطقة الشبكية التي أحيا بها العلوم أولاد جابر وأرض
التي استفادت من علم لشبكية ثم بعد ذلك الدامر حيث نشر الصووية
حمد المجدوب ومنطقة السروريات حيث نشر السمانية لشيوخ أحمد الهيب في القرن
الثامن عشر الذي كان عصر المجاذيب والممانية .

. . .

الحركة الثقافية قبل وبعد السلطنة السنارية

إذا أردنا أن نتحدث عن حال الثقافة العربية والإسلامية قبل وبعد السلطنة السنارية أي حتى نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلادي فسوف نجد الجواب في مخطوطه ودصيف الله في حديثه عن أريخ أريحي وسنار إذ يقول خطت مدينه سنار عام (٩١٠ هـ) خطاها المدسكى عمارة ونقش وقد خطت مدينه أريحي (على الشاطئ الايسر لسيل الأزرق) قبلها بثلاثين عاما إلى عام ٨٨٠ هـ خطاها حجازي بن يعين ويقول ولم تشتهر في تلك البلاد مدرسة علم ولا قرآن ، يقن إن الرجل يطلق المراه وينوجها عبره في نهاره من غير عده حتى قم الشبح محمود الولاد راجل القصير العركي في عصر وعلم الدس العدة وسكن البحر الأبيض وبني له نصرا يعرف الآن بقصر محمود .

هذا يؤكد ما سبقناه أولا أن حياة الرحال والمداواة وبعد عن المدينة وعن مصادر الدعوة والثقافة في الجزيرة العربية تن هؤلاء العرب المسلمين أفقدتهم الكثير من تعاليم دينهم إذ لم تنهيا لهم حتى ذلك الحين الظروف ... المستقرة لتطوير معارفهم وطلاب المزد بما عندهم بل كانت حياة الثقيل والجفاف والمشاكل لكثيره التي تعيش فيها القبيلة كمنه بمحو تلك لتعاليم وتقاليل تلك الروح الإسلامية التي إبتعدت عن أرض المسلمين ، وكانت كفيلا أيضا بمرور الأيام والسنين من ضياع كل ما حفظه الأرائل المهاجرون إلى السودان . إذ فقدوا أدوات التسجيل والسكناة وأبتعدوا عن موحى المدينة والحضارة وعادوا بتعاليمهم إلى الخلف أكثر بما وصلوا إليه . فخلال السمة أو الخمسة قرون من بداية دخول العرب السودان إلى أراضي جديده وظورف غير مطعنة فلتت إهتمامهم بالتعاليم والاساليب الحضارية التي وجدوها حين خرجوا

من الجزيرة العربية في العواصم أمريسة الكبيرة وعلى المدن الكثيرة على النيل .

كانت هذه الخمسة قرون خلال التحول في الصحارى والوديان وضفاف الأنهار بحثاً عن مأوى أو مرعى كقيلة بأذابة كثير من حصونهم هؤلاء العرب الرحل ومحاولتهم المستمرة للتأقلم على البيئة الجديدة ومحاولة التوفيق بين عالمهم وتقاليدهم وعالمهم وتقاليدهم الأرض الجديدة . حتى وصلوا إلى درجة من الإفلاس والتهاون بالعالم الجديد التي ابتعدوا عن مراكز إشعاعها أن يقتضوا 'مراة' وبزوجها في نفس اليوم .

كانت تلك القرون الخمسة مدين نصبة لكل الأشياء الطبيعية التي تقبها العرب وبركوها على ضفاف الوديان ورمال الصحارى وضفاف الأنهار ومعارك القبائل والمجموعات الكثيرة . وما بقي لهم من العالم الإسلامية والعربية أصبح يسير ويتغير معظمه عندما جاء القرن السادس عشر كانوا أبعد الناس عن صورة المهاجرين الأوائل الذين لا قوا الكثير حتى استقروا ويمتجروا الطريق للمهاجرين القادمين خلفهم .

والشيء الذي احتفظوا به هو روح الإسلام والإيمان بالله . ولم يتأثروا في الإيمان بالله والاشراك به رغم أنهم كانوا فقراء في عالمهم الديني وما استطاعوا أن يضيفوه للحياة السودانية خلال هذه الخمسة قرون هو الإيمان بالله وبعض الفرائض الإسلامية وأشروا ذلك في الأرض المسيحية والوثنية .

كانت الظروف الطبيعية هي التي مكنت على تعاليم العرب وحضارتهم بها

الانحدار في ساية دحولهم إلى السودان فقد كانوا في حياة معيشية أحسن بكثير من التي وجدوا أنفسهم فيها وكانوا وسط حضارة مدنية ووجدوا أنفسهم في حياة شبه بدائية وعلمهم أن يبدأوا من أول السلم نبحث عن ماوى والتفكير في أساليب العيش في هذه الأراضي الجديدة وتعلم أسرارها وفوائدها . فقد كانوا في حياة شبه مدنية وعادوا متعلمين في أول سلم الحياة البدوية والتألق كبير بين قوميات تلك المدنية وأساليبها وبين الحياة البدوية شبه البدائية التي وجدوا أنفسهم فيها فهذا الحذف الذى انحدروا اليه كان لا بد أن تكون له عوامل إيجابية لامتصاص أكثر قوميات الحياة المدنية القديمة حتى يتطبعوا على الحياة بدائية الجديدة

ونحن لابلوم العرب ولا بلوم النرويج إنما قضت الظروف الاقتصادية تلك المجموعات أن تنحدر إلى الحذف وحذف الأساليب الاقتصادية والمعيشية .

هناك عامل آخر يجب أن نضيفه إلى هذه العوامل وهو طبيعة جماعات البدوية . . . ورغم محاولتها للاستقرار لكنها لا تستطيع أن تفقد ذلك لانه تمارر وتمتع به . . . فقد اضطرت القبائل على المناجحات والقبائل وهى في بحثها عن الاستقرار كانت تخلق عدم الاستقرار لمجموعات أخرى وهى لكي تستقر كان عليها أن تعد مجموعة أو مجموعات من الأماكن التى تود أن تستقر فيه . . . ولو استطاعت ذلك أظهرت مجموعة أقوى لا يعادها عن هذا المكان . . . وهى في طبيعتها لا تقتنع بالجزئية ولا سى . ولذلك تدب القلق لمن خلق لها القلق وعدم الاستقرار .

وعندما جاء القرن الخامس عشر الميلادى كانت قد تكونت مجموعتين

كبيرتين خطرتين في أحصص مناطق السودان . . هي منطقة النيل الأزرق .
وشمال ملتقى النيلين سكنت هاتين المنطقتين مجموعتين عرقهما فيها بعد
بمجموعة العبدلاب نسبة لعدم الله جماع رئيس هذه المجموعة في نهاية القرن الخامس
عشر والمجموعة الأخرى بجماعة المونج ورئيسها عمارة دونفس أصبحت الأولى
منطقة ملتقى النيلين وشماله وحز من النيل الأزرق واحتلت المجموعة الثانية
الجزء الشرق للنيل الأزرق وروافده .

كانت منطقة النيل الأزرق والجزيرة وشمال ملتقى النيلين من أخصب
المناطق السودانية واتاحت بمساحتها الشاسعة الغنية الفرص لهذه المجموعات
المتنقلة المتناهرة أن تستريح . . وكانت هذه الراحة بداية الحياة الجديدة ودمج
المتجمع السوداني إذ هيأت هذه المجموعات أن تتكاثر ، أن تدمج وأن تشارك
تشارك في الحياة وبناءها وكان من الطبيعي أن تظهر زعامات لهذه المجموعات
التي سكنت الأراضي الخصبة الغنية . . . وعرفنا من المخطوطات عهد الله جماع
زعيم العبدلاب وعمارة دونفس زعيم المونج .

للحياة المستقرة فوائدها وخيراتها والجماعات المستقرة نشاطاتها وإنتاجها
وما أن استقرت القبائل وأطمأنت لما حولها إلا وبدأت تمتد وتنشط . . .
وكان هنالك طريق يفرى للنشاط والحركة . . وهو طريق القوافل التجارية
بين مصر وغرب السودان والبحر الأحمر . . .

استقرت هذه المجموعات وكثرت خيراتها ودماردها وبدأت تمتد عن
أساليب المدنية . فالتجارة أخذت الطرق لاستجلاب مظاهر المدنية مادام يتيسر

الحال وأرتاحت القبائل وراد دخل الفرد وكثرت ماشيته وزرعه وكان أكثر الناس استعداداً لهذه المهمة هم رؤساء القبائل لما عرفوا به من أنهم أعني بمجموعاتهم في أغلب الأحيان

وشارك زعماء المجموعتين في تسيير هذه التجارة مع البحر الأحمر ومصر وغرب السودان يقاضون بمحصولاتهم وماشيتهن على منتجات مصر والبلدان الأخرى .

أغرى هذا النشاط زعماء المجموعتين الاتحاد وفرض سيطرتهم على كل المجموعات التي تسكن النيدن والسهول والوديان حتى يضموا -مضوع تلك المجموعات التي تمر قوافلهم التجارية بها . وحتى يكونوا هم حراساً لهذه القوافل ومسؤولين عن سلامتها داخل أراضيهم . . .

وجاء عام ١٩١٠ هـ معنأً بداية حياة جديدة في حياة الجماعات التي تسكن السهول والوديان العبد لاب وتكوين سلطنة السنارية وأعطاه الملك لعمارة دوعس وأمارة الشمال لعبد الله جماع الذي جعل عاصمته مدينة قرى شمال الحافة .

ولما نحن حاولنا أن نعرف شيئاً عن تاريخ هذه السلطنة في المؤلفات التاريخية العديدة التي كتبت فسوف ندور في حلقة مفرغة كما يقولون ورغم المجهودات المشكورة التي قام بها بعض الأشخاص الجادين في كشف تاريخ السودان فقد كانت كل محاور منهم هي في الحقيقة فتح باب جديد للاختلاف والشك وأدخال القاري أو الباحث في شبكة من المغالطات حتى بات كتاب

تاريخ هذه الحقبة معطلة أمام كل باحث ومؤرخ لكثرة الروايات واختلافها
وقصصها وعدم وجود مصادر كاملة حقيقية لكل الروايات المنقولة بواسطة
المخطوطات السردانية أو بواسطة الرحالة إلا جانب الذين زاروا السودان في
القرن السابع عشر والثامن عشر لا وفق أي منها الأخرى فكل مخطوطة أو رواية
منقولة بواسطة الرحالة إلا جانب تختلف عن الأخرى.

ولو إلتقينا نظرة فاحصة على جدول تاريخ ملوك هذه السلطنة الذي جمع
الاستاذ شاطر البعيني عن مؤلفات روس وكايو وكتاب اشوقه وبرينو وغيرهم
شقيروا على الاستاذ شاطر البعيني أن يتسبب من تاريخ إمرأيم للصديق الذي
أثبتته في مخطوطه ودصيف الله لو إلتقينا نظرة على هذا الكشف لما وجدنا
أي اتفاق بين الخمسة المؤرخين حتى في سنتين حكم "سلاطين ماعدا" اثنين هما
اسماعيل ولانقي فانظر بتاريخ سلطنة باثلاثون ملكا لم نستطيع حتى الآن أن

نقنم المسكنات التي رصت إلينا ننهم على الاتفاق على نصف الحقيقة أو بعضها
والكن الألف كلها ومن مع أحدهم يتبع عن الآخر مسافة بعيدة ويترك
حيرة وتعباً للباحث والمحقق حتى بات أعلى التاريخ ينتظرون معجزة من السماء
لتكتمل لهم هذا اللغز أو أن تخرج لهم الأرض بعض المخطوطات المدفونة ولكننا
نستطيع أن نضربهم بأنهم لن يجدوا شيئاً من ذلك لو أطلعوا على مقدمة ودصيف
حيث يقول (فقد سأتى جماعة من الاخوان أفاض الله علينا وعليهم سحاب
الاحسان وأسكننا وأياهم أعلى الله الدين الحنان بحرمه سيد ولد عدنان أن أؤرخ
لهم ملك السودان وأذكر فيه من الاعيان فاجبت مؤانهم بعد الاستشارة الواردة
في السنة وبعد الالهام مع أنه لم يكن لأسلافنا وأسلافهم وضع في هذا الشأن
إلا أن أخبارهم متوافرة عن الخاص والعام منها ما بلغ حد التواتر عندهم وأجبت

أن أذكر هاترا وأشتهر من تلك الاخبار وذلك وأن الخبر المتواتر عن الاصوليين من الافهام اليقينية التي تفيد العلم بأشياء وتنفى عنه الشك والظن والره.

فاذا اطعوا على هذا الجزء لاقتعروا وبحر في توسيع الخلاف لأن عملية اقتراب أصبحت شبه مستحيلة إلا إذا تخلصوا على مخطوطات جديدة وهذه المخطوطات الجديدة لن تكون قبل مخطوطه ودضيف الله إذ أثبت لما دون أن يفيض في الحديث عن نفسه ومؤلفه عن حياة الدراسات هي القرن الثامن عشر والسابع عشر والادس عشر . وهذا موضوع آخر سنأتى إليه عن تطور الحركة العلمية خلال الحكم السفاري ولكنه قد رسم لعصاب الباحثين عن الكشف عن البحث عن مخطوطات قديمة قبل مخطوطته هذا الموضوع .

أما فيما يخص هذه الدراسات ، إلى أي جانب فعز فأتنا نحن إلى محمد إبراهيم المصطفى الذي لم يطلع عليه كتاب هذا التاريخ وهو التاريخ الذي أثبت على هامش مخطوطه ودضيف الله والذي ظنوه ضمن الحوادث التي تملا الكتاب وقد إعتدنا على تاريخ هذه المخطوطه لأعتبارات كثيرة ليس أحدها زيادة قلق الباحثين والذين سبقوا وكتبوا تاريخ هذه المخطوطه أو توسيع لشبه مؤسسة من قبل (وزباده المصطفى) كما يقولون وإنما لأن هذا الكتاب أصبح مسبوقة طرا بأكثر النواحي تحفة وإعتاداً على المصادر الحديثة والمخطوطات العديدة التي تيسرت لإبراهيم المصطفى لا لإبراهيم سابقا وم تيسر للاحقين .

هذا النوع من مقدمة إبراهيم المصطفى وبجهود الذي ينالها التحقيق هذه المخطوطه وم علاقه في هذه مخطوطات محدية منها المخطوطه الموجوده عن

الشيخ خوجل الخليفة معى الدين بن الخليفة الأمين ونسخة الشيخ أحمد البدوي
محمد الدولاب الكر دقاني ونسخته الخليفة حسب الرسول ونسخة المستر هلسون
مدبر التاريخ سابقا بكلية غردون ونسخة عمدة توقي الشيخ أحمد إبراهيم ناير
ونسخة الشيخ أحمد عيسى و داد من أهالي بلدة مدني .

هذا انجهد والاعتناء على مصادر محلية عديدة ورغبة المحقق في اخراج هذا
العمل كاملا يجمع نحترم مجهوده ونذكره ونقف بجانب مجهوداته التي لم يقف
عندها جميع المؤرخين .

.

الصوفية والديانات الافريقية

لا تتمصل الصوفية الحقن عن الحركة العلمية بين المجموعات التي تنشر بينهم
فأذا استطعنا أن نقنع بأن الصوفية هي حركة علمية في بدايتها لتطور علم التوحيد
لاستطعنا أن نذكر اتجاهات أي حركة صوفية ظهرت في البلدان العربية بعد
معرفة نهضة العلم والثقافة .

وأول سؤال استطع أن نسأله عن الحركة الصوفية في السودان . علينا أن
نسال عن الحركة العلمية والثقافية في السودان وهل كان في إمكانها إحتضان هذه
الحركة الصوفية العلمية الإحتضان السليم والسوي نحو الكمال أم من الظروف
العلمية والثقافية كانت في مستوى أدنى من إحتضان هذه الحركة بما معهود
للانحراف فيها

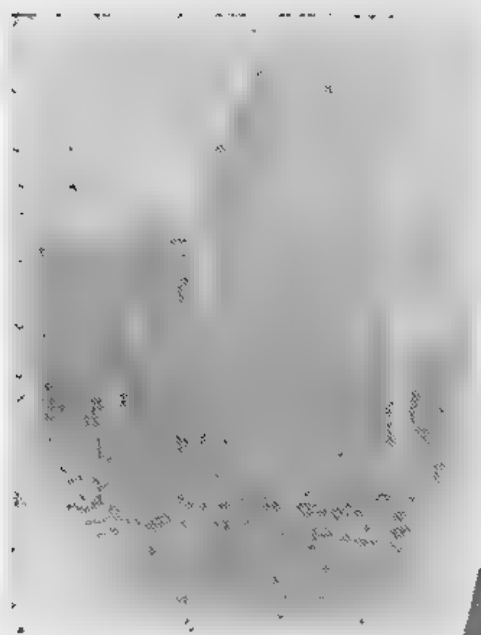
يجب علينا أن نقيم الحركة الصوفية في السودان النقيض إلى الصحيح لأن هذه
الحركة دخلت السودان منذ القرن السادس عشر والسابع عشر الميلادي وانتشرت في
السودان بشكل ملحوظ وكان لها أثر كبير على الجماعات والأفراد ومارت توجه
حتى اليوم الكثير من أفكارنا وثقافتنا ولها أثر كبير في معتقداتنا وأخلاقنا
وطبائعنا وقلوبنا . وأذا استطعنا أن نقيم المجتمع السوداني حين دخول
الصوفية وحظ سير هذه الصوفية بالنسبة لظروف المجتمع الى وجدت مصمما
فيه نستطيع أن نقنع بأرتياح مديرة هذه الصوفية أن كان نحو الكمال أو نحو
الانحراف .

ولذا أردنا أن نبحث عن ظروف السبب والهيئة لهكريه لن نستطيع

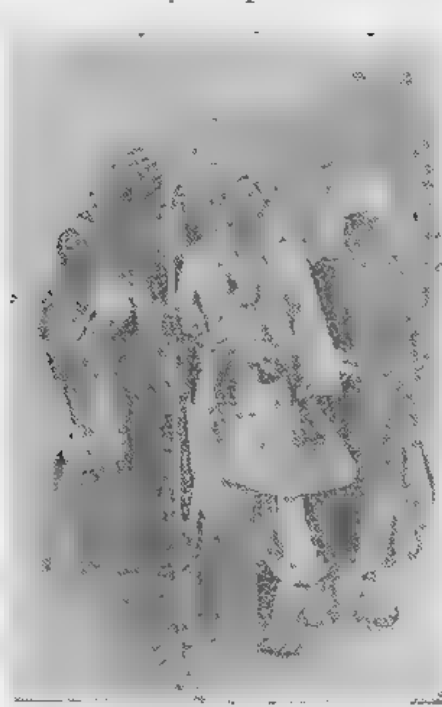
أن نحفظ هذه الحركة من الانتكاسة ولا اتجاه بها اتجاهات عربية . والجواب لا يحتاج إلى أدلة كثيرة . فيمكن أن يرى أنه حتى نهاية القرن الخامس عشر لم تكن السودان مدرسة قرآن واحدة ، حيث وقف المشر "عالم الإسلام" حتى أفلست اتجاهات المسببة من أدراك العالم العربي ولا توجد أن يستشهد بأدلة مستشهد بها . فيمكن آخر ، وما نستطيع أن نقوله أن - ركة - علم حتى نهاية القرن التاسع عشر لم يكن في المستوى الذي يستطيع أن ينافس ويضم ويتطور علم التوحيد لدى مؤسسين الصوفية (حديث أبو القاسم الجنييد صفحة ٢٢٢ يشر إلى هذا المعنى)

فإذا أردنا أن نسمح بالحركة العنيفة في السودان فلن نجد غير بعض الكثرة (حلوى) التي أنشأت مجموعات فردية عن الشيخ إبراهيم الجولاني ، مصرى دار الشريعة ثم الشيخ محمد راحل القمص . النيل . لبعض والمعلم الأول الشيخ تاج الدين "بهازي" بعد أن انتقلت الصوفية لمسودان على يديه في القرن السادس عشر ميلادية تاريخ مكة سنو (النصف الثاني من القرن هاشم) لمجى كما جاء في تاريخ حياته في عهد الشيخ عقيب الذي تمسك على يديه وحججى بن معين من أربجي .

فقد ارتبط اسم تاج الدين البهازي اسم "شيخ حجازي بن معين" الذي - ط مدينة أربجي عام ٨٨٠ هـ ولجأ إلى فرائض واحد وهو أن الشيخ حجازي بن معين كان من الممجرين لأن حضور الشيخ تاج الدين "بهازي" البغدادي كان بعد عام ٩٦٠ هـ أي حصر بعد تدبير عام ويعني ذلك أن بناء حجازي بن معين لم يكن أربجي كان بعد ثمانين عاماً ويعني ذلك أيضاً أنه شهد أربجي وعمره لا يقل عن ثلاثين عاماً حين تولى يد تاج الدين البهازي كونه فريق الماتة ثم شهد مسجد أربجي بعد ذلك في أول النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي .



قبيلة المهدي . . . صباح اليوم
الثاني من معركة يوم ١٨٩٨/٩/٢
قصد بتهديتها لادخال الرعب في
قلوب الدراويش
الصورة تحكي أثر الروح الصوفية
و مقاومة العلم لتلك الروح التي
وحدت نصار المهدي خلفه



العرب في كردفان بعد
سلطنة دار فور وتأثرهم بسكان
وسط أفريقيا



نهاية الثورة المهدية التي قاومت الأسمحة الحديث بالأيديروالتحصينة دارو سح .
مخلفه أبلغ صور البطولة الصوفية .



صورة من صور الامم المتحدة ارجع ردة رما الانبياء و مكاتبات محمد
الحديث .

في سمادة وطما نينه رقد جسد البطل الامير أحمد فصيل



مقبرة الملك الناصر محمد بن قلاوون . لم يبق من رقد جسد خليفة المرس
مستقيماً بين جنوده

هذا يكشف لنا أن الشيخ حجازي بن ميمون حين خطب مدينة أريجي كان من أغنى رجال مجموعته الأمر الذي مكنه من إنشاء هذه المدينة ويؤكد لنا ذلك دعوة الشيخ تاج الدين البهاري له بالغنى لتربيته من بعده وهي ذرية كبيرة لاشك وقد عرف الغنى أكثر ما عرف عنه رجل دين وأما كان قد بنا أول جامع وهو جامع أريجي فلا يعني ذلك أنه كان أكثر الناس صلاحاً وورعاً . . فقد كان مركزه المالي والاجتماعي يفرض عليه أن يقوم بمثل هذا العمل الاجتماعي . .

من ما تقدم يثبت لنا أن العالم والصوفي دخلوا سوريا والسودان في القرن السادس عشر الميلادي على يد الشيخ تاج الدين البهاري الذي حين جاء لم يجد كتاباً أو حلاوى إنما وجد الأسماء العظيمة للمعرفة وفي فترة وجوده بالسودان علم الدين من الشيخ الذي أنشروا في أراضي السودان وقاموا برسالته .

ولما أردنا أن نجد صورة الصوفي الذي نشأ في السودان فإن جد تلك الصورة وذلك الصوفي الأول الذي عاش في بغداد وسط الحضارة العربية والعلوم وكرس حياته للعلوم والمناقشات العلمية والفلسفية ومسائل الوجود والعدم والحدث وأتم سجد صورته قاضي العدالة والصراع بين رجل العلم والشرعية وبين "صورة الجديدة التي ظهرت في السودان لرجل الصوفية في شخصيه الشيخ الهيم .

ومحكي القصة أن دشتين تاضي العدالة المملوك بأريجي أحد الأربعة أعضاء الدين ولاهم الشيخ عجيب تليد الشيخ تاج الدين البهاري بأمر الملك دكين حين قدومه من المشرق ويبدو أنه يعني بالمشرك الحجاز وما رآه في المجتمع الإسلامي في

الجزيرة العربية ووجوب قيام مثل هذه الوظائف ليحكم في الناس بالشريعة وهم أهل قضاء في السودان .

وفي الشيخ دشين قاضيا عن أبي جى ولشاعرية عموماً وممارس هذا العمل حسب الشريعة وقد استعظم في أئناد حكمه شخصية من الشخصيات الصوفية الغريبة التي ظهرت في السودان . وهي شخصية لشيخ هميم الذي يقال أنه في حالة انجذاب تروج أكثر من سبعين راسخاً أن زاد على أربعة دنانير في وقت واحد () المقصود في بيان ذلك أن يكون رصوداً أن يزوجه من نسائه بعد الأربعين كدوا ولا يفتقرون شيئاً في دنهم . ولم يقب مع هذه النسوة لعدمه المتفق عليه . . . وبجانب فقد تزوج اثنين من نساء أو تزوجه من رفاعه مخلصاً بذلك الشريعة في تكاح الاثنين في آن واحد . كما جمع دين ذات الشيخ بأن سقا لغيره كنزهم وخادم الله . وبأن سقا رجل أحد الصوفية عن يد ناسج الدين البهاري وأخوه سيدالهدج كبير لهناسج ودغم ذلك روج الشيخ هميم الهميم أخوانه الاثنين في آن واحد .

وتبدأ قصته حين قدم الشيخ هميم إلى أبي جى يوم الجمعة وحضر الصلاة بالجامع . وعند انتهاء الصلاة خرج دشين قاضى الدالة وصافى محمد الهميم وقبص على الجماء فرسه وقال له سمعت وسدست وسبعت ما كمالك حتى تجمع بين الاثنين فقال له الهميم ماذا تريد فرد عليه دشين أريد أن أفسخ كمالك لأنك حالت كتاب الله ورسوله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له الرسول اذن لي والشيخ ادريس يعلم . . . وكان "سرخ" ادريس حاضراً فقال لدشين أترك امره وحله ما بينه وبين ربه فقال دشين ما بين امره وقد وسجت ككاحه فما كان من تشيخ محمد الهميم إلا أن دعى على دشين وقال له سخر الله حالك .

ويقال أن دشين مرض بعد ذلك وعذابه البعض أنها دعوه الشيخ محمد عيسى
أنه لم يؤد إلا إيماناً وبقية بعد له لشرع حتى جاء فرح ولد أمكتوك وقال فيه .

وبن دشين قاضي العدله الما يميل الضلاله

نسله نعيم السلالة الا وقتوا تار الرساله

هذه صورته رجل ادعى انه صوفي وصالح وخرج عني تعليم الدين ولم
يستطيع إلى شخص ان يقف امامه وذلك لأن الصوفيه ادخلت في عقول الناس
أنهم رأوا به وانهم يستظهرون أن يضربوا البشر وما يقولونه من دعوات ماوند
أن يشر . وظهرت صورتهم في ذهن الناس بأنه صاحب عقاب لودع وكاتب
الأسرار مع أن الصوفيه الأولي لم يظهر عليهم هذه العلامات وهذا
تجو مضره الآخرين والانهقام منهم والدعاء عليهم بالمعصيه السيئه . . . وهذا
الاعتقاد له مبرراته إذ استطاع ان يجد دور الشخصيات الدينية في السردان
قبل ظهور الاسلام والحرب والمات في كليات تلك الشخصيات إلى شخصيات
مجديده في ثوب جديد .

وجد نوح الدين الهادي من قبومه السود بعد أن ترك دعواته حاد .
وحدثا حضوره مسرعا كان . . . في دعوة إحد رجال السود إلى سري طايه
فشرح أن يحكم الاسلام بامر العلوم الاسلاميه بين أولئك المعطين هذه
العلوم ولحق الشيخ الحج الدين الهادي كل ترحيب تقبل له شخصيه
دينيه من مكانه عند هؤلاء الرجال ، كما كان يتمثل عند المسلمين من مبادئ
وما يحفظه من علوم لم تصل إلى سكان السودان في تلك الحايه وكانت هناك هذه

الشخصية وما لها من علم تألفت الأنظار وتبرر العقول إذا من صفات العلم والمعرفة أن يخاف الاندهاش عند الجاهل إذ يعطيه العلم بعض الحقائق البسيطة القريبة منه ولا يستطيع أن يتوصل إليها ويعطيه الحلول للأشياء التي تورق العقل الانساني إذ من صفات العقل أن لا يكف عن التساؤل والبحث . والخيال المحرد يضع العقل في حيرة والمعرفة تبيع العقل من هذه الحيرة والقلق .

جاء تاج الدين البهاري ونذر بذرتين . أحدهما تشجيع القراءة ونشر العلوم الدينية وحفظ القرآن والاخره نشر فكرة الصوفية وقد وجد الشيخ ابي الدين البهاري أرضاً غير صالحة لدعوته الصوفية الامر الذي جعل دعوته تصوفية لا تقوم على أساس علمي سليم بل أخذت من ملامح الشخصيات الدينية القديمة التي سمعتحدث عنها فيما بعد وهي ليست الأفريقية وخاصة الشخصيات الدينية في غرب أفريقيا والعبادات الفرعونية ولربما كان ذلك هذه الشخصيات غامضة تحيط بها هالة من الغموض والاسرار میده عن إدراك عامة الناس الامر الذي وضع بقية الناس ينظرون اليها نظرة غريبة فيها كثير من الحيرة والدهشة ف شخصية الكاهن الفرعوني كانت غامضة بنفسه لبقية الناس وقد سلموا له تقوّلهم وامنوا بكل - ركائنه وتصرفاته ثم شخصية الكاهن بصورته المتراضعة الجديلة وحضور الناس اليه وتوسيم الاعترافات له .

لم تجد صوفية تاج الدين البهاري وبقية المدارس التي دخلت لم تجد تعاليم الكافي للرقوق ضد الانحرافات بالدين بل أنها لتجد في كثير من تصرفات رجال تصوفية من يدعى المعجزات التي هي خاصة بالانبياء وحدهم وإنما نجد مثل الكاتب ووصيف لله لا يفتكر لمثل هذا الانحرافات بل ثبت لنا في خطوطه مثل هذه المعجزات دون ان يعلق عليها ولا يستطيع ويفرق بين ، هو مسائر للشرع ومخالف له .

لا يمكن لنا بأى حال من الأحوال إذا أردنا أن ندرس الشخصيات الدينية الإسلامية بعد دخول العرب ودخول الثقافة العربية والإسلامية وبداية دخول العلوم العربية في أوائل القرن السادس عشر علينا أن نتبع الشخصيات الدينية القديمة التي عاشت في النيل وفي أفريقيا ونحن نرى حتى اليوم شيء في ثمار تلك الشخصيات الدينية القديمة في أعمال السحرة والشعوذة ولإعتقاد الناس في بعض الشخصيات في شفاء الناس عن طريق التعاويذ القديمة وإيمان الناس في قدرة بعض حذووع الأشجار على شفاء بعض الأمراض وقدره بعضها على الحدق كثير من الأذى وقدرة الناس على التشكل بأشكال الحيوانات وكل هذه المعتقدات التي مازال يعيش بعضها في بعض القرى هي بقايا من تلك لعادات الدينية القديمة التي عاشت على النيل وعند قبائل الناحر وقبائل أعلى النيل وكما هو واقع لم تحدث عملية تصفية حتى الآن لعادات والمعتقدات الدينية القديمة والصور الدينية التي عاشت في أفريقيا . إنما حدثت عملية مصالحة وأمزاج بين العادات والتقاليد والمعتقدات الدينية الوثنية العادات المسيحية والإسلامية لأن العرب المسلمين الذين دخلوا السودان لم يدخلوا فاتحين أقوياء يرضون سيطرتهم ومعتقداتهم على السكان إنما كانوا طليين ملجأ ولم يؤمنوا في مركز يسمح لهم بمحاربة معتقدات الأهلالي إنما حدث التوافق بين الاثنين قبل هؤلاء من السكان بعض العادات التي لا تمس رجولتهم وعاداتهم العربية وقبل السكان من العرب التقاليد والعادات التي لا تقهر على ماضيهم الديني وقد كانت عملية فيها شيء من التلين والمصالحة لخلق بيئة جديدة ترغب في العيش في سلام . . . ويبدوا أن تعدد المعتقدات الدينية في السودان من وثنية إفريقية وفرنسية ومسيحية جعل إضائه معتقدات دينية جديدة من المجموعات الجديدة أمر مقبول إذ لم تحدث عملية نوعية لمخارطة المعتقدات القديمة أو صراع حاد والتقدم الديني الذي حدث ، حررت تدريجياً وبطيئاً . . .

وإذا حاولنا أن نبحث عن بعض الشخصيات الدينية الديرية التي تمارس بعض الأعمال القديمة التي كان يقوم بها رجال الدين عن قوائم الداجو سكان وسط إفريقيا منها شخصيه (الكجود) التي تدعى اليوم أنها تدرس هذه الأعمال من وحى التعاليم الإسلامية وبما أضافته لشخصيه قديمه بعض إمكانيات الدين فالكجود ماذا يستعمل أو سائل الدين القديمه لعلاج بعض الأمراض وسائر الناس يعتقدون في بعض هذه الأعمال وبما شاهدت من أعمال هذه الشخصيه حين مرضت امرأة أحضر لها هذا الكجور وأحضر معه مقشه (ربخه) وكوكب وحريه وقال للمريضة أن هذا عمل سحريا قد عمل لها وأن يحسمها بعض امرؤ السامه التي غرست في جسمها وأسدس المريضة بعد أن كشفت عن جسمها فاشعل وصار يصرب بالمقشه على جسمها وظلها وتساقت قطع صغيره من عروق الشجر ثم صار يمس على مواضع معينه في جسمها ويخرج من فمه بعض الدرق الرطبه موهما المريضة أن هذه العروق كانت بجسمها . وفي أثناء ذلك كان يستعمل بعض اللهوند الإفريقيه القديمه وبعض الآيات القرآنيه . ثم سد على الجسم ووضع الحربة والكركاب على جسم المريضة وصار يقوم ببعض الحركات وتريق الدماوند القديمه ثم بعد برهة فتح الجسم وأخرج منها بعض العظام القديمه وبعض الشعر وبعض الأسلاك وبعد ذلك شعرت المريضة بالراحه والفور وكل هذه الأشياء التي قال لها كانت في جسم المريضة هي نفس الأشياء التي كان يشتد فيها مكان إفريقيا ويقدم بها رجال الدين وسحره إفريقيا ولوراجهنا كتاب « هو بيرديشان » عن الديانات في إفريقيا السوداء رغم ما فيه من الأخطاء الكثيره وبدد الكاتب عن حياته إفريقيا وعدم استطاعته لإمام بخمار، حياة الشعوب الإفريقيه إلا أنه يعطيت صورة

طيه للمعتقدات القديمة عند قبائل "الماجو" وأعلى "السير" والكيمبوكتيكا والسواحيلي
يتأرجحان فيا والباجو والباسوتو والسوازي بجنوب إفريقيا والهوأتوت والدمارا
بجنوب غرب إفريقيا و"بوشمان" بجنوب أفريقيا والوفا بالاي بـ"بوتسو" والبالي بـ"الكمغور"
وكذلك الأزسيه و... ما والمندج. إلا فسمونندو بجنوب غرب أفريقيا وكافوري
و"هوزا" والدوشى ونيوريا ولا "باجي" و"شاري" البامبيك بوسط أفريقيا
والاشاني ويسجوب واتوجو وانغني وا "حاجو" والبديا والمندى والمنداج وشوكاين
والألوف والباوله والسو منهارى بغرب حوض النيجر .

أشارت الديانات الأفريقية القديمة والسحرية بين كل هذه قبائل وخاصة
في وسط إفريقيا وعرفها سكان السودان قبل أخضاره الإسلامية والمسيحية
وتمشت تلك الديانات مع الوثنية الفرعونية وانتشرت في روج "السودان"
ولايت ١ - الحضارة الفرعونية إلا أن مركزها كاصبر كان جنوب أرض
أخضره بين قبائل شكل وأعلى النيل وغرب السودان وقبائل النيجر والتهجور
والكنجاريه والبراجوب .

وقد بدأت الديانات الوثنية وتصحبها فكرة السحر لحاجة الإنسان لهم الطبيعة
وفهم غرائبها . وقد استغل بعض الافراد الموهوبين أو الذين اعظمهم طبيعة
بعد القدرات الخارقة للأحاساس بحفيا الدموس ويتولوا تفسير تساؤلات الناس
عن الطبيعة وعن الجهاد والامرض وقد احتص بعض الموك ببعض هذه
الصفات وجند بعضهم بعض الموهوبين لقيام بها "الدرر في معرفة امراض الناس
وخفايا تفكيرهم ونهوسهم وقد استطاعوا بأعتقاد الناس لقدراتهم أن يشجروا
لحد بعيد في تهديمه كثير من الحلال أن كان بالكثير "نفسى أو الخدام أو العاقير

المستخرجه من الديانات أو استعمال التعاويذ وقد ساعد على انتشار هذه العادات استعداد الناس لتقبلها وخوفهم من معارضتها أو الوقوف أمام السحرة إذا هو العين وقد أثبتت الدراسات أن الديانات الأفريقية الأولى لا تختلف كثيراً عن ديانات القراعنة أو الإغريق فكثير من الرموز متقاربة حيث تتشابه الحياض الزراعية والرعيه في كل من أثيل واليونان وعند القبائل الأفريقية وكذلك كان وجه الشبه بين هذه الديانات أمراً طبيعياً لنشابه الظروف الطبيعية والمعيشيه . إلا أن القبائل الأفريقية اختصت بتعدد الآله والعبادات وذلك لعدد القبائل وعدم خضوع هذه القبائل لسلطان واحد تعطيه كل السلطات الدينيه والاجتماعيه . كما كان عند القراعنة كما أعطى هذا التعدد الأفراد الأفريقيين كثيراً من الحريه وكان باستطاعتهم التقدم والتطور أكثر من الشعوب الأخرى التي صنعت حضاره النيل والأغريق والرومان إلا أن النظام الاجتماعى والاقتصادى المردى حد في توحيد اقتصاد القبائل الأفريقية في حين سخر الامكانيات الاقتصادية في النظام الملكى المروعنى أو النظام الاجتماعى الإغريق والرومان إلى احترام الدوله ولؤساء والباطل إلى تجسيد كل إمكانيات تلك الشعوب لصالح تلك الحضارات التي تمت على شمال وشرق وجنوب والبحر الأبيض المتوسط .

ونحن لا نستطيع أن نفصل الديانات التي قامت في السودان عن اسمايات الوثنيه إذ لم تهم أى منها حتى الآن بحمله منظمه لطرد بقايا تلك الأديان الوثنيه القديمه التي إشتربت في عبادات جماعيه للطبيعه وتقديس للحيون والاعتراف بسلطان بعض الأفراد على فهم أسرار الطبيعه والقيام بدور الرهب والملاحين ونحن نرى ذلك واضحاً في الصوفيه وطقوسها التي لا تختلف كثيراً عن الطقوس الأفريقية القديمه كما أخذ بعض منهم فكرة التسلط والحق الأذى بالغير واستعمال التعاويذ لعلاج الامراض أو إلحاق الضرر بالغير إذا علمنا أن هؤلاء

الأشخاص إن كانوا من الكهنة أو السحرة الأفريقيين أو رجال "صوفية"
الذين قلدوا شخصياتهم وأدركوا الضعف الاجتماعي العام للتصدي لهم . ونحن
لا نستطيع حتى الآن أن يجعل بعضهم يتعرف بمهنة من هذه الثقة وهذه
المقدرة للنجاح في بعض الأمور وهي لا شك انت عن طريق رياضة روحية فاسية
وتماليم معقدة وقرارات سرية خاصة . نعتقد بآله الشر وآله للخير وأن هنا لك أسراراً
يستطيعون بها التوصل إلى آله الشر وآله الخير . وقد احتلت عبادة الحيوانات جزءاً
بيراً ، داهم لتسبح والشعبان كما كان يهد الصراع "القطه والنسر" وأسقره
وأولع عديده من الحيوانات .

نشأة الصوفية في الاسلام

الصوفية هي مذهب المختفين من العلماء المسلمين في حقائق الـكون وارجاع كل شيء إلى خالق واحد هو الله سبحانه وتعالى ملك الملك . مذهب الصوفية هو علم للتوحيد . . . وعلم التوحيد لا يقوم على لرؤيا الجاهلة أو الوهم وإنما يقوم على الحقائق وكشف أسرار الوجود وربط كل شيء بحالقه .

هذا هو مذهب "الصوفية" الأوائل الاجتهاد في علم للتوحيد ، . . "النزود بالعلم والمعرفة بحقائق الحياة ، وامتحان كل حقائق الوجود . ولا يقوم هذا الامتحان وهذا الكشف بمجرد الرؤيا ، أو الوهم ، وإنما يقوم على الدراسة ، الدراسة التي تشبه التحليلات العلمية لاثبات صحة الحق وأمنه خلاص النتائج السليمة وهو أعلى مستوى من العلوم الاسلامية إذ يتطلب من طالب علم التوحيد ، أن يكون ملما بكل معارف الوجود بالفلسفة والطب وعلم الفلك والرياضيات وسائر العلوم الادارية حتى يستطيع أن يرد على كل سائل وعلى كل صاحب رأى مخالف بالاقناع ، والمنطق والحجة . . .

كان هذا حال العلماء المسلمون في عصر النهضة الفكرية العربية وازدهار العلوم والمعارف ولا يمكن أن يتطور علم مثل علم التوحيد الاوسط تطورا كفاة العلوم ولا بد من وجود الامكانيات العلمية لتفسير كل لظواهر الطبيعية .

لم تظهر الصوفية في عصر تدهور الفكر العربي كما يتصور البعض ولكن تدهورت الصوفية بتدهور الفكر العربي وحمود المعارف وقلة الاجتهاد وانسداد

العلوم حينئذ مات علماء التوحيد وأهل الصوفية يستعمون أدوات غير تلك التي كان يستعملها رجال العلم من الصوفية الأوائل في حين كان العلم هو السلاح الوحيد للصوفية أصبح الوهم والرؤيا وخطرهما والأحلام وتجريداتها هي أداة رجال الصوفية في مجال علم التوحيد وإثبات وحدانية الله .

بقول الإمام العالم أبا القاسم عبد الكريم هودرن القديري في اعتقاد الصوفية في مسائل الأصول : اعتبروا أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد مرهم على أصول صحيحة في التوحيد صانوا بها نة تدعم من البدع وذاتوا بها وحدوا عليه لسلم وأهل السنة في توحيد ليس فيه تشويل ولا تعطيل وعرفوا ماهو حق القوم وعققتوا ماهو نعت الموجود من العلم .

وفد أحد بعض الصوفية مثل هذه العبدات دون إجماع ويعلم وطبوا أن التوحيد يأتي من الاطمئنان لصفة السريرة وسون صماء العقل الذي لا يكون صفاءه الا بالعلم . لان اثبات وجود الله درجات أعلام درجة ذلك العالم المؤمن الذي عرف حقه في لكونه ونجده من كل شيء معرفة كل الحق في فامن بعقله وقلبه . وهذا هو مذهب التوحيد الذي اجتهد رجال الصوفية الأوائل فيه بالعلم ، ووقفوا عند كل شيء بالبراسة والتجديد والتعليل يعضنوا المعاني أشياء خفية وانما جعلوا السكل شيء معنى واضح ثم أتى بعدهم طائفة من المريدين وقف عنهم عن أدراك معاني هؤلاء العلماء فتروهموا معانيها وسادوا بها دون علم عن طريق البصيرة وطبوا أن الرؤيا والوهم هما السبيل الصحيح للكشف عن خفايا هذه المعاني والكلمات لو فهمما قنة من الناس من صفي إيمانهم ولكنهم لم يدركوا أنهم وضعوها ان كثر علمه وصفاء إيمانه حتى لا يقع في حبال الشرك والأوهام .

ولو وقفنا الآن عند التعريف البسيط للصوفية القائل الصوفي هو من الذي صفا عن الأخلاق المذمومة وتخلق بالأخلاق الحمودة حتى أحبه الله وحفظه في جميع حركاته وسكناته . . .

ولقد كان لمثل هذه المعاني المختصرة والكثير من كلمات رجال الصوفية الاوائل التي قالوها للحاجة فانتشرت عند العامة كل أسباب تدهور الفكر الصوفي فظن البعض أن الصوفية هو صفاء السريرة ولكن كيف يتحقق هذا الصفاء وقد ظن البعض أن مجرد أداء الفرائض الداعية للمؤمن يكفي لجلب هذا الصفاء ومات عليهم أن تحقيق هذا الصفاء لا يكون لا بتصفية حقائق الوجود ودراستها والتأكد من كل خاطر وإثباته علمياً ولكن البعض ظن الرؤيا أو الوهم هما ما يعنيه علماء الصوفية بالصفاء وإن الإحساس له يكنى للكشف أشياء كثيرة لصاحبه .

وبالت الصوفية عند المريدين هو استجلاء كلمات رجال الصوفية وظنوا أن فيها شيئاً لا يدركه إلا أهل البواطن ولا يدرك معاني كلماتهم إلا من توفرت لهم أسباب كشف الغيب ولم يدركوا أن الصوفية هي تطور لعلم التوحيد بالعلم والمعرفة وليس الوقوف عند كلمات رجال هذا العلم والظن بأن كلماتهم معاني خافية لا يتوصل إليها إلا القلة وهو وهم كاذب فعلم التوحيد لا يقوم على هذا الظن وكل صوفي لا يعلم يعلم التوحيد ويضيف إليه شيئاً من عنده لا بعد صوفياً . . .

قال زعيم الصوفية الأول الامام أبو القاسم الجنيد وهو ببغداد في أوج ازدهارها في عصر الخليفة العباس في تفسيره للتوحيد . التوحيد هو أفراد

القديم من الحديث واحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل ولا تخرج
الشواهد . . .

هذه دعوة علمية لاثبات وجود الله بالحقائق والشواهد
قال سمعت أبا حاتم الصوفي يقول سمعت أبا نصر الطوسي يقول سئل روي
عن أول فرض افترضه الله عز وجل على خلقه ما هو فقال المعرفة لقوله جل
ذكره وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قل ان عباس الاله فون .
ونحن نرى هنا ان عباس كلمة يعبدون يعرفون وذلك لان العبادة
الصحية لا تأتي الا بالمعرفة إما الإيمان بدون علم ومعرفة إيمان لا يقوم على
المعرفة والعلم . ويقول الامام ابو القاسم الجنيد أن أول ما يحتاج إليه العبد
من عقيدة الحكمة معرفة المصروع صانعه والحديث كيف كان أحداثه فيعرف من
صفة الخلق من الخلق وصفه القديم من الحديث وبذلك لدعوته ويعترف
بوجوب طاعته فإن لم يعرف مالكة لم يعرف بالملك لمن استوحه ويقول الجنيد
كذلك في معنى التوحيد قال أفراد الموحدين تحقيق وجدانية بكل أحداثه أنه
الواحد الذي لم يلد ولم يولد ينقي الاضداد والانداد والاشباه ملا تشبيه
ولا تكيف ولا تصور ولا تمثيل . وهذه دعوة لاثبات وجود الله عز وجل عن
طريق امتحان الحقائق العلمية .

ومقد لا تحرف البعض في تفسير معاني رجال الصوفية الاوائل انهم
أفتوا بمسائل فلسفية لهم الخاصة من رجال العلم وذلك حين تعرضوا لمسائل
ماوراء الطبيعة مثل الحديث والقدم .

وخرجت كلماتهم ومعانيهم هذه إلى المريدين غير المطابق على العلوم

الفلسفية فتتصر علمهم من منسلوها وفهم معناها وظنوا أن في العلم باطن وظاهر
أحدهما بالاجتهاد وآخر بدون اجتهاد ووقفوا عند المعاني الفلسفية وظنوها
كلمات روحانية تزلت على مؤلفيها من الأئمة في سعة نهج كشفها عن خبايا
الوجود واسرار الحياة ولم يدركوا أنها فرسمة ما وراء الطبيعة ونها عدم تقوم
على الاقناع العلمي .

يحكى عن يوسف بن الحسن قال : « قام رجل من بني ذى النون المصري ،
فقال : أشبهني من التوحيد . ماهو » ، يقال : « هم » أن تعلم أن قسرة الله تعالى
في الأشياء لا مرأج وصفه للأشياء بلا علاج . وعبارة كل شيء صفة ولا عبارة
لصفه . وليس في السموات العلا ولا في الأرض سفين مرسر غير الله وكل ما تصور
في وهمك فأنه بخلاف ذلك . . .

ويحكى كذلك ما وصل إليه حال الصوفية من بعضهم له عدم العيب حتى
انتشرت هذه الفكرة بين المريدين وعبر المريدين وكان لها خطرها الكبير
في عدم أساس هذا المذهب وادخال الدجل عليه وإعطاء قوة له يؤمنوا
بها ولم يدعوا لإلهيا . . . قال جاء رجل إلى ذا النون المصري
وقال له أذعن لله في فقال أن كنت قد أشرت في علم العجب بصدق التوحيد
وكم من دعوة بحرية قد سبق لك وإلا فأن الله لا يقبل العرق وقال
الواسطي ادعى فرعون الرويقونية عن المكشوف رادعت المعرفة له تسير
تقول ما شئت فعلت . . .

وإذا تصورنا تطور الفلسفة في يوم والامكانيات العلمية المتغيرة التي

تستغلها لكشف الحقائق وما كانت عليه في القرن الثالث والاربع الهجري عند
الحرب لوجدنا الفارق العاصي الكبير بين الفيلسوف اليوم والفيلسوف بالامس
فقد اختلفت آراء رجال الفكر الاوائل وسقط الكثير منها أمام تقدم الفكر
اليوم وهذا لا يسيء الاقدمية بشيء ودما ثبت ان العلم في الفكر في تطور مستمر
وكما تقدم التعليم كلما تقدم الفكر وذلك كيلا يسلم بأراء النجتهين من علماء
المسوفية الاوائل لان العلم لا حدود له .

.....

الصوفية الأوائل

أبو اسحق بن ابراهيم بن آدم بن منصور

أول من ورد ذكرهم من الصوفية ، هو أبو اسحق بن ابراهيم بن آدم بن منصور . كان من أبناء الملوك ، وأول من ترك حياة الغنى ، وأعطى ما كان معه لراعيه ، وليس جبة الراعي المصنوعة من الصوف ، مما جعل البعض يعتقد أن كلمة الصوفية مشتقة من لبس الصوف الدل على الزهد في الدنيا ومعنى الصوفية غير ذلك كما جاء على لسان أئمة الصوفية وهو لذى صما عن الاخلاق المذمومة وتخلق بالاخلاق المحمودة ، ولا يشترط أن يلبس الصوف لأن أئمة رجال الصوفيين من دلماء بغداد والذين عاشوا بها لم يلبسوا هذا الصوف .

ومن أخبار أبو اسحق وأثاره أنه قال لرجل وهو بالعواف - لم أنك لاتنال درجة الصالحين حتى تجور ست عقبات ، أولاها تغلق باب لعممة وتفتح باب الشدة ، ولثانية تغلق باب العز وتفتح باب الدل ، ولثالثة تغلق باب الراحة وتفتح باب الحمد ، والرابعة تغلق باب النوم وتفتح باب السر والخامسة تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر والسادسة تغلق باب الامل وتفتح باب الاستعداد للموت ، ...

هذا طرف من فلسفة الصوفية الاوائل الذين كانوا ينظرون للعالم نظرة أقرب لنظرة الرهبان اليها وذلك عند بداية الحركة الصوفية الا ان هذا لم يكن يشمل فلسفة الصوفية في الوجود والوحيد وانما كان هذا رأى فرد منهم في

حياة الفرد وقد جاءت أخباره أيضا أنه كان يحرس كرما فر به جندي فقال
« أدعنا من هذا العنب » فقال « ما أدرك به صاحبه ، فاحده يضربه بسوطه
وطأ رأسه وقال « اضرب رأسا طالما دعى الله ، فادعج لرجل وهضى . . . »

أبو الفيض ذو الذنون المصري :

اسمه ثوبان بن ابراهيم وفيه لى الفيض ابراهيم وأبوه كان نوبيا توفي سنة
خمسة وأربعين ومائتين هجرية من أئمة الصوفية ، وواحد وقته ، علما ، وورعا ،
زواملا وأدبا . قيل سمعوا به إلى المتوكل فاستحضره من مصر ، فلما دخل عليه
وعظه بكى المتوكل ، وردده إلى مصر مكرما . وكان المتوكل اذا ذكر بن يديه
أبو الفيض يبكي .

كان رجلا محيطا تعلمه حرة ، ليس بأبيض اللحية ومن أمثله قوله « واد
الكلام أربع ، حب الجليل ، وبعض القليل ، واتباع التتيريل ، وخوف
التحويل ،

أبو القاسم الجنيد بن محمد :

سيد هذه العائلة وأمامهم أصله من تمود ومندوة ومولده بالعراق
وأبوه كان يبيع الزجاج لذلك يقال له القواريري وكان فقيها على مذهب أبي ثود
فكان يفتى في حلقته بحضرته وهو ابن عشرين سنة صحب حاله المرى والحرف
الحاسي ومحمد بن علي القصاب مات سنة سبع وتسعين ومائتين .

ومن أقواله : ما أخذنا التصريف عن القليل والزيادة ، لكن عن الجميع وترك الدنيا وقطع الملوذات والمنتهجات وقال أيضا : من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولا يفتنى به في هذا الأمر ليس منا لأن علينا هذا مقيد بالكتاب والسنة .

الامام عبد القادر الجبلائي

هو القطب الكبير .ؤسس الأول للطريقة القادرية . . كان اماما عالما تقيا ورعا . . . كان له اتباع ورواد لحلقته بمسجده الكبير بمغداد حيث يقوم بتدريس علوم التفسير والحديث وفقه الشافعي والخيل وعلوم الأصول واللغة .

كان يقول لاتباعه : اني لله لا أنظر إلى وجوه الناس واحسانهم وانما أنظر إلى قلوبهم رأيتهم ، وان المراد بالعلم ، هو العمل به فالله عز من عمل وفقه والمحدث لا يكرن محثا إلا إذا طبق الحديث على نفسه وأعد قلبه ليكرن على قلب صاحب الحديث صلوات الله وسلامه عليه . . .

الامام أحمد الرفاعي

هو القطب المربي الامام السيد احمد الرفاعي .ؤسس الطريقة الرفاعية التي انتشرت في العراق والشام ومصر وشمال افريقية

من أقواله : « نفع الناس إلى الله القويم لعباده . . . ومن أقواله
أيضا (طريقي دين بلا بدعة ورحمة بلا كسل وعمل بلا رياء ونفس بلا شهوة
وقلب عامر بالمحبة)

وكان مجامع مدرسة للعلماء ومأوى للفقراء . . .

الامام السيد أحمد البدوي

هو انطرب سيد أحمد البدوي وفد إلى مصر من العراق بعد أن طافه
ببريوج الحجاز . . . واستقر بمدينة طنطا وأخذ يؤسس مدرسة الكبرى باسم
(الطريقة الاحمدية) حضر تهر الطاهر بيهوس وكان يحله ويعظمه .

ومن أقواله (ليس التصوف الزهد أو ليس تصوف إنما التصوف أعمال
ومجاهدة واحقاق والاخذ بأيدي الناس إلى خير الدنيا والاخرة ،

الامام السيد إسماعيل البدوي :

صاحب الطريقة البرهانية تولى سنة مئة وأربعين وستة مئة عالما زاهيا نقيا
عن أقواله (من لم يكن مثمرا ، متحقا ، نظيفا ، عفيفا ، شريفا ، فليس من
مجاهدين ، ولو كان ابن اصيل ومن كان من المرددين ملازما للشريعة
والحقيقة) . . .

هؤلاء بعض أئمة الصوفية للكبار وإذا أردنا أحسابهم نعددهم لا . . .

هذا الكتاب ونكتفي بالإشارة إلى بعضهم . . . وما بهما ماذا استفاد السودان
من الصوفية . . . وماذا استفادت الصوفية من السودان . . . فهل أعادها إلى
طبيعتها العذبة الأولى أم انحدروا بها بعد أن انحدرت هي نسبة ركود الفكر
العربي عامة وتدهور الحياة الثقافية والاجتماعية بتدهور الحياة السياسية وثقافتها
وحدة الأمة الإسلامية والعربية الذي ابتدأ بظهور الدولة العباسية في الجزيرة
العربية وشمال أفريقيا وانزواء الدولة الأموية في الأندلس ثم بدوغ الدولة
الفاطمية في شمال أفريقيا بمثلة أراضي الدولة العباسية ثم حرت التقسيمات الجديدة
التي هدت بوحدة الأمة الإسلامية وقادت لاندحورها .

.....

وجه التشابه بين الصوفية والرهبانية

لما كانت المسيحية دين سماوى أنزله الله على الناس ليؤمنوا به وكلف به سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام ليقوم بنشر هذه الرسالة قابلات دعوة عيسى من اليهود والوثنية الكثير من التعسف واتى المؤمنين بما شئى أنواع العذاب وقد سلك المؤمنون بالمسيحية طرقا شتى فى عباداتهم وسلوكهم الدينى ومن هؤلاء كن الرهبان الذين انتشروا فى مصر فى وديانها وجبالها وصحاريها بعيداً عن لحو الدنيا وهروبا من بطش الرومانيين .

وبدأ بعث الله عز وجل سيدنا محمدا هاديا مبشرا بالاسلام منذرا بالعقاب ثائرا على عبادة الاوثان وففت ترش ضده ولقى من العذاب الكثير واتى المؤمنين الكثير من الاضطهاد ...

ظهر الاسلام فى النصف الاول من القرن السابع لظهور المسيحية وقد انتشرت المسيحية بين كثير من الشعوب فى شمال الجزيرة العربية وفى مصر وشمال البحر الابيض المتوسط .. وقد سلك المسيحيين مسلكا جديدا فى العبادة ومع الرهبان فى انقطاعهم عن ملذات الدنيا وخلودهم للعبادة وذكر الله وقد ظهر هذا المسلك عند بعض الصوفيين الاولين ونحن نورد هنا بعض الامثلة وقهارن بين حياة القديس بطرنيوس من ابناء مصر الاغنياء وبين حياة الصوفى الاول ابراسحق ابراهيم بن آدم بن منصور ...

مقد نشأ القديس انطرنوس المولود عام ٢٥١ م ببادا (كوبا) بمصر

مركز الوسطى من أبواب غنيين وعند بلوغه من الثامن عشر وفي والديه في عام واحد وتركاه وأخته بعد أن تركا لها ثروة طائلة وحدث أن ذهب بطليموس للكنيسة فسمع الكاهن يقول إن أردت أن تكون كاملا وذهب وبمعك ذلك واعطى الفقراء وتعال انبعي فيكون لك كبر في السماء ، وقد اندثر الشاب بطليموس هذه العقرة وكانها موجهة اليه لانطباقها على حاله فخرج من الكنيسة وذهب إلى ممتلكاته وأرضه ووزعها على الفقراء محتفظ ببعض المال لأخته لتربيتهم ونسكه عاد مرة أخرى للكنيسة وسمع الكاهن يقول (لانتمرا للقدس) فخرج من الكنيسة طافا العزم على أن يسلك مسلكا جديدا فأرسل أخته إلى بيت للعذراء ثم خرج من القرية عام ٢٧٠ م إلى مكان قريب من قرينه حيث أقام في كوخ صغير إلى جوار شاطئ النيل يدرّب نفسه على حياة السك كما فعل المسيحيون السابقون .

ولما كان قليل الخبرة بحياة السك وتعالّمها انصل بكبار السك وشيوخهم المحاورين له للاستفسار منه . . ثم رأى في امامته في ذلك المكان خطر على حياته الروحية بسبب رؤيته لبعض النساء اللائي كن ينزلن إلى النهر للاستحمام وانجعلن إلى المقابر القريبة من القرية ، ولكنه لم يعزل الاقامه بها إذ هداه تفكيره إلى عبور النهر إلى المناطق الجبلية حيث أقام في حصن مهجور في منطقة هيسير على الضفة الشرقية على النيل . . وعاش هناك لا يتصل بأحد إلا ثلاثة مرات في السنة حين يحضر اليه المعجبين به الخبز الخاف دون أن يراهم . . .

هذه حياة شاب مسيحي سلك في حياته ادينية مسلكا جديدا بخلاف ما كان شأنه عن المسيحيين ثم تأتي بعد ذلك حياة أبولاسحق ابراهيم بن آدم بن منصور تحكي قصة حياته أنه كان من أبناء الملوك خرج يوما للصيد فأرسله أخته وأوصاه بطارده وأثناء مطاردته له هتف به هائف يا ابراهيم هذا خلقت أم وصار بطارده وأثناء مطاردته له هتف به هائف يا ابراهيم هذا خلقت أم

بهذا أوتى ثم تمت به أيضا من فريوس سرجه والله ما لهذا خلقت ولا بهذا
أمرت فزل عن دابته وصادق راعيا لأبيه فأخذ جبة الراعى من صوف
ولبسها وأعطاه غيره وما معه ثم أنه دخل لبدية ثم دخل مكة وصحب بها
سفيان والثوري ولفصيل بن عياض ودخل الشام ومات بها ، وكان يأكل من
عمل يده مثل الحصاد وحفظ البساتين وغير ذلك وأنه رأى في البادية ، عليه
اسم الله الأعظم ، قد عاد بعده فرأى الحضر عليه السلام وقال وبما عليك آخرى
داود اسم الله الأعظم .

وقد شامت حياة أبو اسحق المعيشية في كثير حياة رهبان وادى النطرون
والاردية الأخرى وتكسبهم من الزراعة واعتمد هم على عملهم وحياة التقشف .

هذا التشابه في حياة الرهبان الأوائل الذين عاشوا على النيل وفي السودان
كان من العوامل المساعدة لانتشار الصوفية في السودان وظهور مرادها بتلك
الصورة لما وجدوه من روايات قديمة عاش أصحابها على النيل أحبوها من قديم
الزمان وما جاء في ذكر الرواد الأوائل من لصوفية مثل أبو اسحق بن إبراهيم
بن آدم وما كانت ترويه الروايات عن حياة الرهبان في وادى النيل وسواها .

(١)

الشعر

ما نعرفه عن الشعر :

- الشعر ذلك النور الانساني الذي يضيء النفس ...
- الشعر تلك الروح التي تبسط الارواح المنعبه ...
- الشعر تلك الروح التي تنمض بالعقول المرهقة ...
- الشعر ذلك القبس الذي يلج النفوس المنعبه فيملاها سماعاً وحياء ...
- الشعر رسول انسان طاهر يبحث عن الحياة والخلود ..
- الشعر شعاع يضيء كل الافاق ..
- أيتها الشمس أغربي
- ودعيني استلقي على الطريق
- على أرى خلف الحجب
- حتى أرى ما لا تراه العيون
- الشعر ذلك لسراج الذي وقوده أنا وزيتته هذه الحياة التي في الدروق ...
- وموسيقاه هذه النغمات التي تخلق الحياه وتحيل الانسان لمكانيات لا تعد .
- الشعر تلك القبس الانساني الداخلي ليميز طريق الأبدية
- الشعر رحلة بين النفس والمذات
- الشعر حركة الروح وإطلاقه العقل

تاريخ الشعر العربي في السودان

لم تظهر حتى الآن دراسة دقيقة لتاريخ الشعر العربي في السودان غير بعض الدراسات التي إهتمت بتاريخ الشعر في القرن التاسع عشر والقرن العشرين للأستاذ عبده بدوي والشعر الحديث للدكتور شوشى الأستاذ بجامعة الخرطوم وبعض الدراسات العربية التي ألقت بعض الضوء على تاريخ الثقافة العربية في السودان بذاها الأستاذ محمد عبدالرحيم في مؤلفاته «نفثات اليراع» و«العربية في السودان» ثم الأستاذ عبد المجيد عابدين «تاريخ الثقافة العربية في السودان» وكل هذه الدراسات لم تكشف لنا بوجه قاطع عن تاريخ الشعر العربي في السودان . ولم ندلنا عن مسيرة الشعر العربي في السودان وهي في مجملها تابعت دخول العرب للسودان ، ولم تحاول أن تجد راءداً آخر غير تنبع راحة العرب داخل السودان .

كما قدم الأستاذ الطاهر محمد على آخر رسالته لنيل الماجستير من جامعة القاهرة عن «التزعم الصوفي في شهر السمانية» وكما تأمل أن يكشف لنا هذا التاريخ إلا أنه وقف مع شعر الصوفية في القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي مضيقاً غموضاً على تاريخ الشعر العربي في السودان حتى أصبح نبت بلا جذور ولا بدياه له ، ولم تعرف روافده الاوول حتى الآن .

ومن أجل هذا حاولنا في هذه الدراسة البسيطة أن نجسد البداية لتاريخ الشعر العربي في السودان مستشهدين بالوثائق والأمثلة التي إستطعنا أن نعرض عليها .

قسم الدكتور عبد الحيد عايد في كتابه تاريخ الثغاة العربية في السودان
الشعر إلى عامي وعامي فصيح وفصح وهو ذلك قدم الشعر العامي على الشعر
العربي الفصح وقد استند الدكتور عبد الحيد عايد في تمويهه للشعر في
السودان على هذه الأبواب على ما وصل إليه من شعر القرن الثامن عشر والتاسع
عشر وبداية القرن العشرين معتمداً في نفس الوقت على أن الثقافة العربية دخلت
السودان بدخول العرب إليه ، لكننا لو تأملنا رحلة "عرب داحي" السودان
مبتعدين عن الالتحام بالأمم الصليبية القوي والامم كرامه حرقاً من دخولهم
في مشا كل مع أهل السودان حتى يضطروا إلى أن يحدوا أنفسهم في مواقف حرج .
خلدهم دولة العباسيين في مصر التي دفعت بأول موج من العرب الأمويين
للـودن . . وحرصا على النجاة من عداوة الامميين وضوا بالعبي واليهود
الحالية من اناس قدر الامكان حتى لا يدخلوا في تراك أو عداوة ليست في
مصلحتهم ، ولم يقف تدفق العرب على السودان بروب الامويين أمام العباسيين
إلى داخل أفريقيا أو إلى السودان في القرن ثامن الميلادي

أول طلائع عربية مسلمة وصلت السودان عام ٦٤١ م - حين أرسل عمر
بن العاص بعد فتحه لمصر قائده عبيد الله بن السرح إلى حدود مصر الجنوبية
لضم دولة دنقلة المسيحية إلى فتوحات الاسلام ، إلا أن دنقلة قاومت الجيش
الاسلامي في بداية الامر حتى اضطرت الجيش الاسلامي إلى ضربها بالخنق .
فأسلم حاكم دنقلة وقد صلحاً مع القائد العربي عن إدمهم المسلمين مارين
بدياره أو مقيمين أو مؤدين لشعائرهم الدينية ، والحفاظ على مساجدهم على أن
يدفع مسيحيو دنقلة جزية سنوية لحاكم إسوان نجاها عن والى مصر ولكن سكان
هذه المنطقة لم ينقطعوا عن العصيان والتحرر من هذا الاتفاق فترات عديدة
ما قاد لأعادة الهجوم عليهم مره بعد المره .

هذا كان أول لقاء بين العرب المسلمين وسكان شمال السودان المسيحيين
والرونيين الذين كان بعضهم يحصع للديانات المرونية في المناطق الشمالية عن يد
السلطة والكفيسة .

ولذا أردنا أن نجمع الهجرة العربية فانما لم تسد هذا الطريق الوعر الذي
تخطه القبائل المسيحية عند بداية هروب العرب الأمويين أمام العباسيين أو
هروب عباسيين أمام الفاطميين في القرن الثامن الميلادي والقرن العاشر الميلادي
دخل أراضي السودان ما لكان أرض المهدن بمتمدين عن النيل متوعدين داخل
أراضي النجافة .

وأذا أردنا أن نعرف أثر هذه الهجرة العربية منذ القرن الثامن والعاشر
الميلادي على الثقافة السودانية فإن نجد لها أثر لا أن العرب في هذه الفترة لم
يكونوا في استعداد لإدخال التأثير وفرض ثقافتهم وديانتهم ، إنما كانت هجرتهم
تطلب منهم المصاحبة والمساومة والتقرب إلى عادات أهل البلد دون إرهابهم
بفرض عادات وثقافة العرب .

وما حدث أن أخذ العرب الأوائل من حياة سكان السودان الكثير ، بعد
أن أخذ منهم الترحال والتجوال والبحث عن مأوى ومكان للاستقرار الكثير
من ثقافتهم وحضارتهم التي أبتعدوا عن مناخها إلى ظروف معيشية اتس بكثير
بما كانوا عليه في حياتهم داخل النهضة العربية الإسلامية التي أعطتهم الكثير من
الثقافة والحضارة والمدنية التي لم تتوفر مقوماتها على هذه السهول والقياق والوديان
طلبا للدرعي والرزق والطل .

أنشغل العرب الاوائل بالبحث عن مكان للاستقرار وعن أسلوب للنظام به مع سكان السودان وحاولوا استطاعوا التقرب إلى عادات أهل البلد وتنازلوا عن الكثير من مقومات حياتهم الحضارية حتى استطاعوا أن يمتزجوا بسكان السودان على ضفاف النيل والوديان والسهول .

وخلال أربعة قرون فقد العرب خلالها إتصالهم بمراكز الثقافة العربية والإسلامية حتى تجرعوا في كل مقومات تلك الحضارة والبهضة . ويأتى القرن الخامس عشر ، وقد حدث الامتزاج الكامل بين العرب والسكان المحليين وأصبحوا عتصرا واحدا ، نجد الحالة الثقافية والدينية في حاله من الفقر والجهل بتعاليم الاسلام تذكرها لنا المخطوطات القديمة . حيث لم يعد لهم من الثقافة الاسلامية الا أداء مريضة الصلاة اما تعاليم الاسلام الاخرى فقد تبخرت عبر السنين على السهول والوديان وضفاف الأنهار حتى ظهر شكل المجموعات التبيلية التي كونت الحلف السنارى مع نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلادى وإن الامتزاج لم يحدث في عهد الاجيال الاول إنما حدث بهد الاستقرار في عهد اجيال جديده شبت على تربة السودان ومناخه .

لقد حاول بعض المؤرخين والباحثين جعل الفترة السابقة لقيام الحلف السنارى بين عبد الله جماع زعيم العبدلاب وعماره دواتقس زعيم الفونج عام ١٥٠٥ م فترة إنتشار الثقافة العربية . ولم يستطيعوا أن يؤرخوا غير الفترة ما بين القرن الثامن عشر الميلادى وبداية القرن العشرين ولم يحاولوا أن يعطونا صورة واضحة من حال الثقافة العربية قبل الحلف السنارى وبعد قيام السلطنة السنارية كما أن زعمهم على إنتشار الثقافة العربية بدخول العرب

السودان . وأن كان للعرب أثر ثقافي قبل القرن الخامس عشر في مجال النهضة العربية والإسلامية فهو أثر ضئيل لأن عملية الرحلة داخل السودان كانت بالنسبة للعرب أنفسهم بمثابة امتصاص ثقافتهم ومذنبتهم التي وصلوا اليها . يظهروا الاسلام وفتوحاته وأنصالحهم بالحضارات الأخرى . . وكل ما خلفه العرب خلال تلك الفترة في السودان هو نشر التقاليد العربية . . وعليها أن نفرق بين تقاليد العرب وبين الثقافة العربية الإسلامية التي قامت عليها النهضة العلمية للعرب المسلمين .

بدأت النهضة العلمية والثقافة العربية ظهور السلاطنة السنارية بداية القرن السادس عشر وسببها .- الخلف على جميع القبائل وحفاظه على الأمن وطرق التجارة وإشراك وزراء وملوك هذه السلطنة في التجارة بين مصر والبحر الأحمر وتشجيعهم للحج وحراسة قوافله الأمر الذي فتح الباب للناس للخروج من السودان في أمان على أرواحهم ولأموالهم من قطاع الطرق التجارية وعودتهم سالمين من شر قراصنة القوافل التجارية الذين إحتروا هذه المهنة .

وإذا أردنا أن نبحث عن حال الثقافة العربية والإسلامية بعد قيام السلطنة السنارية فنجد جعل عام بالتعاليم الإسلامية . . وقد إنتشر الجهل لأنه لم الإسلامية قبل قيم هذه السادة وحتى بعد قيام هذه السلطنة . فنجد استمراراً لبعض العادات القديمة التي تنافى مع تعاليم الاسلام فيما يخص الزواج على الخصوص . فنجد الرجل يطلق المرأة ثم يتزوجها غيره في نفس اليوم وقد جاء في عطاوته . ودضيف أنه ، المكنونه عام ١٧٥٢ م عن حال للثقافة العربية

والاسلامية عند قيام هذه السلطنة الان حيث يقول (لم تشتهر في تلك البلاد مدرسة علم ولا قرآن . يقال إن الرجل يطلق المرأة ويتزوجها غيره في نهاره من غير عده) واستمرت هذه الحالة حتى بقيام السلطنة السنارية حتى حضر محمود وأحل القصر العركي من مصر وعلم الناس العده في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي . وقد وجد رجال العلم والدين الذين تنهوا العلم بعد قيام السلطنة مشقة كبيرة في تطبيق التعاليم الاسلامية على الناس وحتى على الذين تلقوا دراسات دينية . ومنهم الشيخ محمد الهميم وزواجه بأكثر من أربعة نساء وجمعه بين الاخوات ، وورق دشتين قاضي العدالة ضد هذا السلوك وإصرار الشيخ محمد الهميم على استمراره في الجمع بين الاثنين وتحليله لأكثر من أربعة نساء في آت واحد لكسب جمل الشيوخ في تلك الفترة . وذلك رجع لاشك لفقره الخلو ، التي تلقوا العلم بها . وهنا أمر يبدو كأن شائعا وذلك لابتعاد العرب فترة طويلة عن حياة المدينة قبل أن يحدث الزواج والامتزاج والاستقرار . وساعد على هذا الجهل إبتعاد العرب عن المدنية العربية ومحاولهم الهروب قدر الامكان عن أي طريق يقرب من يد السلطنة العربية الحاكمة إن كان ذلك في عهد العباسيين أو العاطميين . حتى فقدوا كل مقومات تلك الثقافة التي جاءت مع الرحالة الأوائل الذين عملوا كجند للدول الاموية أو الدولة العباسية .

ثم جاءت الدولة السنارية وحللت الأمن والاستقرار وبدأت عملية الهجرة للسودان عن طريق البحر أو عن طريق مصر وأول من وصل لسودان في عهد لدولة السنارية محمود العركي راجل القصر الذي نزل بالبيلا لبعض بقرية ليس وشرائع التعاليم الاسلامية ويقول "شيخ خوجل اندريس الارباب كانت بين آخر حكام وليس سبع عشر مائة حربتها تبال التمكن بالحم .

فقد كانت قبائل الشلك تهاجم أراضيها حتى أراضي الجزيرة ويعتدى اليها البعض
تخريب مدينة سوبة ومملكتها .

خط الشيخ محمد العركي أول مدرسة لتعليم اللغة العربية وحفظ القرآن ونشر
التعاليم الإسلامية وضمت مدرسته تلاميذاً من مختلف الأقاليم الذي قاموا بدورهم
في نشر تلك المعرفة في أقاليمهم

ثم بعد محمد القصير عاد طالب سوداني بعد أن وافق فؤاد الخج إلى
كانت تذهب عن طريق مصر ، من دار الشايقية وهو إبراهيم البولاد بعد أن
أقام بالأزهر ، الحجاز ، ألم بعلوم الدين والعلمية ودرس بأرض الشايقية خليلاً
والرسالة ويتناهب أول من درس خليلاً ببلاد فخرج وقد خرج الشيخ إبراهيم
فمن حاربان عرن بن سليم أئمة رجال الصوفية والعلم بأرض الجزيرة وسائر
والحلماية وشمال السودان .

وقد كان لأبولاد جابر الأربعة رعاستهم أثر كبير في نشر تعاليم اللغة
العربية في أرض الشايقية وشمال السودان وقد كان يحج لإمامهم المعتمد من الطلاب
من شتى الأقاليم لتلقي العلم عليهم وهم إبراهيم لبولاد وسمى لبولاد لأن رجلاً
حلف أن يدخل بتمه جميع ما خلقه الله فأفاده إبراهيم ووضع المصحف على سرير
واسند بلقبه تعالى وأمر طاعى الكتاب من شيء يقال له شريعة أنه بولاد
البربر . وأخوانه هم عبد الرحمن وعرف بالصلاح والسمع وعرف بالورع
وعبد الرحيم وعرف بالعبادة واحتمهم فاطمة أم الشيخ صديون وكانت تالمه في
العلم والدين .

تماماً في منطقة سنار وبغايه ففقد كان للشيخ تاج الدين الجباري الفضل الكبير

في نشر العلم والصوفية وقد تخرج على يده آئمة كبار من رجال الصوفية والعلم .
ولما أردنا أن نؤرخ لشعر العربي في السودان فسوف نؤرخ له بمدرسة تاج
الدين البهاري البغدادي الذي وصل السودان بعد أن أدى درصة الجمع حوالي
١٥٥٥ - ١٥٦٠ م أول حكم محاربه أو سكيكين . وقد قل الشيخ تاج
البهاري للسودان الصوفية الراقية ونقل منها أحلى نتائجها وهو الشعر ، وقد كتبه
للشعر الصوفي عربي فصيح حفظه الناس وساروا على منواله في السكت به والتذكروا .
ومن أنار الصوفية الكبار أبو قاسم الجيد لدى تسمى باسمه (أبو قاسم الجيد
السوداني) . وقد كال الشعر الصوفي هو أكثر الشعر الذي تداولته القرائد
الأرائل في الخلاوي (المتنايب) والزوايات .

وصل الشعر العربي الصوفي أعلى مراتب الشعر الذاتي وأحلاه ، حتى
صار على كل لسان . وهو مد جمع بين محبة الله والخوف . وقد شبهه به بعض
الشعراء هـ الحب بالحب العاطفي الجارف حتى بات هذا الشعر الصوفي على
كل لسان عاشق وحبيب وكل محب للجمال والشعر الجميل وفي ذلك قولهم
من الصمت .

أذكر ما أقول لما انرفما وأحكم دائما جميع المقال

فالسما إذا نحن إلقينا فأنطق حين إنطق بالحق

وكذلك

رأيت الكلام يزين الفقى والهمم خير لمن قد صحت

فكم من حروف تبحر المختوف ومن ناطق ود أن لو سكت

وقولهم في الخوف

أحسن ظنك بالأيام إذا أحسنت ولم تخف سره ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاعتدت بها وعند ضوء الليالي يحدث الكدر
وكذلك :

لو أن ما بي على صخر لأخذه فكيف يحمله خلقاً من الطين

وكذلك في باب التوكل لأبي الحزرة الخراساني .

أهابك أن أبدى إليك الذي أخفى وسرى يبدى ما يقول له طارق
نهاني حياتي منك أن أكرم الهوى وأغنيته بالفهم منك على الكد
تألفت في أمري فأبديت شاهدي إلى غائب والطف يدرك بالطف
ترأيت لي بالغيب حتى كأنما تبشر متى بالغيب إنك في الكف
أراك وبني من هيمتي لسل وحشة فتؤنسني باللطام منك وبالعطف
وتحى محباً أنت في الحب حنفة وزا عجب كون الحياة مع الخلف

وكذلك يقول صديقه المرفشى :

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر أنا جائع أنا نائع أنا عارى
هي ستة وأنت الضمين لتصفها فكأن الضمين لتصفها يا باري

مدحى لغبرك لهب نار خضتها وأجر عبيدك من دخول النار
والنار عندي كالسؤال فهل ترى أن لا تكلفنى دخول النار
وقولهم فى باب الشكر.

ومن الرزية أن شكرى صامت بما فعلت وأن برك ناطق
وأرى الصنيعة منك ثم أسرها إلى أذن ليد الكريم لسارق
وفى باب اليقين

يا عين سمحى أبداً، يا نفس موقى كيدا ولا تحبى أحداً، إلا الجليل الصمدا
أما فى باب الصبر فلهم أحلى الشعر كقولهم :
الصبر يجعل فى المواضع كلها إلا عليك فإنه لا يجعل
وكذلك :

سأصبر كي ترضى وأتائب حسرة وحسبى ان ترضى ويتلفنى صبرى
وأيضاً ..

صبرت ولم أطاع هواك على صبرى وأحفيت ما بيني منك فى موضع الصبر
خفاة أن يشكوا ضميرى حبائلى إلى دمعى سرّاً فتجربى ولا أدرى

وكذلك :

والصبر عندك فذموم عواقبه والصبر في سائر الأشياء محمود
وايضاً ..

وكيف الصبر عن حمل مني ينزله اليمين من الشمال
إذا لعب الرجال بكل شيء رأيت الحب يلعب بالرجال
وكذلك :

صابر الصبر فاستغاث به الصبر ير فصاح المحب بالصبر صبرا
وايضاً ..

تبين يوم البين أن إعتزاه على الصبر من إحدى الظنون الكواذب
وقولهم في باب الذكر :

ذكرتك لا ، إلى لسيتك لغة وأتيسر ما في الذكر ذكر لسان
وكنت بلا وجد أموت من الهوى وهام على القلب بالحققان^١
فلما أراي الوجد إنك حاخري شهدتك موجوداً بكل مسكان^٢
نخاطبت موجوداً بغير تكلم ولاحظت معلوماً بغير عيان
وقولهم في الغيرة :

أناصب لمن هويت ولكن ما احتيال بسره رأى المرائي

همت بأثياننا حتى إذا نظرت
إلى المرآة نهاها وجهها الحسن
وقولهم في باب الفقر .

قالوا غدا السعيد ماذا أنت لابسه
فقلت خلعة ساق حبه جرحه
فقر وجهه ثوبى تحتها
قلب يرى إمامه الأعباد والجمها
أحرى الملابس أن تلقى الحبيب به
يوم اتزاور في الثوب الذى خلعا
الدهر لى ما نتم إن غبت يا أملى
والعيد ما كنت لى مرأى ومستعمما
وفى باب السفر قالوا :

١ إذا استجدوا لم يسألنى من دعائهم
لأبنة حرب أم لآى مكان
وفى باب التوحيد .

وغنى لى من قلبى وغنيت كما غنى
وكنا حينما كانوا وكانوا حينما كنا
وفى باب أحوالهم فى الخروج من الدنيا .

كل بيت أنت ساكنه
غير محتاج إلى السرج
وجهك المأمول حجتنا
يوم يأتى الناس بالحج

وكذلك قولهم :

حزين قلوب العارفين إلى الذكر
وتدكارهم وقت المفاجاه للمر

أدير كئوس المنايا عليهم فافروا عن الدنيا كأغفام ذى السكر
 همومهم جـواله بمسكر به أهل ودله كالأنهم الزهر
 فأجسامهم فى الأرض قلبى بحبه ، أو واحهم فى الحجب نحو العلاء ترى
 فما عرسوا إلا بقـ ب حبيبهم وما عرجوا عن سوى يومى ولا ضر

وقبل للشبلى دند وفاته قل لا آله إلا الله فقال :

قال سلطان حين أن لا أقبل الرشا فسو به بحقه لما بقلى تحرشا
 وكذلك على ابن على الروذارى حين واثته المنية قال وهو فى حجر أخته .

لا نظرت إلى سواك بين موده حتى أراك
 أراك معذب بقتور لحظ وبالمد المورده من جناك

وفى باب المعرفة بالله قالوا :

نهضت بلا نطق هو النطق أنه لك النطق لهطاً أو بين عن لطق
 ترأيت كى أخفى وقد كنت خافيا وألمت لى برقاً وأنظنت بالبرق

وفى باب المحبة قولهم :

لما إدعيت الحب قال كدبتى فالى أرى الاعضاء منك كواسيا
 فما الحب حتى ياصق القلب بالحشى وتذيل حتى لا يجيب المناديا
 وتخل حتى لا يبقى لك الهوى سوى مقله تبكى بها وتناجيا

هو كذلك قولهم :

عجيب لمن يقول ذكرت الى وهي أنسى فأذكر ما نسيت
أموت إذا ذكرتك ثم أحيا ولولا حمدن ظني ما حبيت
فأحيا بالمدى وأموت شوقاً فكم أحيا عليك وكم أمرت
ثم ربت الحب كأساً بعد كأس فما فقد الشراب وما رويت

وقوله :

لى سكران وللندمان وحمده شيء حصصته به من بينهم وحدي

. . .

هذا الشعر الوجداني الرقيق السامي هو الذى وصل إلى اسماع عشاق الصوفية والمعرفة من الأمام تاج الدين البهاري فحفظوه لسوائه وجماله . وحاولوا الكتابة على منواله بعد أن توسعت مداركهم فى اللغة والأدب وبدأوا كتابة الشعر على هذا المبدأ ولكن الحال بالصوفية لم يسر على ما قدر له إن يسير فالتفت الصوفية إلى دنيا أخرى غير دنيا الأطلاع والمعرفة وسبحوا فى عالم روحيات بعيد عن حياة الناس وانكبوا فى العبادة طلباً لمحبة الله ليمطيهم كراماته وقدرته وقد كان لبعضهم ما أراد ولذلك إنشغلوا بحب الله عن الاشتغال بالمعرفة وبالأطلاع غير نفر يسير كالشيخ خوجلى بن إدريس الأرباب أما معظمهم فقد اكتفى بسنين الدراسة عند شيوخه وحفظ القرآن وسماع — الرسالة والخليل ووقفت معارفهم اللغوية وقل اجتهدهم فيها وقد كان لهم وجدان كيفية الناس ولهم شوق للتعبير عما فى نفوسهم ، ولكن لم تكتمل لهم المعارف

الغوية والعروضية لاجادة التعبير ، وساروا على قول الشعر على طريق السجع مسعين كلمات عليه و بعض الالفاظ الغريبة الى لها موسيقية خاصة وليس لها معنى ، وهم في ذلك يظنون انهم يدركون معاني هذه الكلمات لادراكهم لشعورهم حين قول القصيدة ، فتجربتهم ذخيرتهم للعوبة عن الافصاح عما في نفوسهم ، ولكن انتم كنتم بآحاساسهم حالة نظم أو أرنجل القصيدة جعلهم يصرون على كلمتهما ، ويجعلوها سرآ من إسرارهم وحدهم في حين أنهم عجزوا ساعة النظم أو الارتجال عن إيجاد كلمات مناسبة لذلك الاحساس .

ولما كانوا أبعد من قول الشعر والعارفين لغونه فلم يرضوا أن يعودوا لتلك القصائد لتصحيحها وتعديلها بما يناسب الموسيقى وادعى ووضع الكلمات الجديدة مكان الكلمات الغريبة وذلك لجعلهم يفهمون الشعر ونما كانوا نظمهم تعبهم آلفطيا على أحساس موسيقى وعز ايقع داخل ظنونه سرآ من إسرار الشعر وما عرفوا أن الشعر علم وفن له أصوله وقواعده وأدواه .

ولو أطلعنا على قصيدة الشيخ محمد الهدى وهو من الاولياء الصالحين المتجدين ودا على فسخ دشين قاصى للعدالة لزواجه من أكثر من اربعة نساء وجمعه بين الاختين .

تكشف لنا القصيدة بأن لرجال الصوفية عالم لا يدركه الا أصحابه واعتقادهم أن رجال عالم الوحدة الصوفية . وعموم الذى يغلب معانيهم وأفعالهم هو سر معرفتهم لتكون والحياه والخالق عز وجل وهى دنيا خاصة بهم وهى دنيا ليست من إختصاص العلماء ورجال الفكر وأن العلم قاصر على ارتياد هذا العالم . . حين يقول . .

فان كنت يا قاضى قرأت مذاهياً فلم تدري يا قاضى زمر من ههنا
فذهبكهم تصالح به بعض ديننا ومذهبننا معجم عليكم إذا فلا
قطعتنا اليحسار الراحرار ورامنا فلم يدري الفقهاء أين ترجعنا
حللنا يواد عندنا أسمه الفضفا فضاف بنا لوادى ونحن موصفنا
حللنا بقرب الغاب روحاً من الدنيا ترجعنا شمساً أحجبت شمس نورنا
الحنا والعرش على لكسرى أعلى ولوحها لبنة ثياب النور يحسن جمالنا

هذا التلميذ من تلاميذ الشيخ تاج الدين الهارنى رضى الله عنه . أخذ عنه
الصوفية ، ولم يأخذ منه العلم حتى أبح لنفسه الخروج على سالكى الاسلام والدين
وجعل نفسه فوق القوانين وأمر شع وأنه من طليعة آخرى وأن له غراماً للبشر
عما جعل القاضى دشين قضى العدالة بسة نظم منه بعد أن شكك اليه الناس فى إلهي
قرب وفاءه وخروجه على المؤلف من عادات الناس وتعاليم الاسلام .

هذا الشعر الذى قاله الشيخ محمد الهميم رغم أنه لم يكمل معارفه اللغوية
والعرفية مع الشيخ تاج الدين الهارنى إلا أن ملارمه له وسماعه للشعر الصوفى
الصافى الموزون الفصيح جملة يقول هذا الشعر وإذا قوتنا كليات هذا الشعر
الصوفى بل شعر الذى أتى بعد ذلك لتلاميذ رجال صوفية على شيوخ الصوفية
وأنهما كهم فى المعرفة الربانية دون الاهتمام بالعلوم واللغة جللهم ينظمون شعر
باللغة الهمة وانفصحي ولذلك لاجتماعهم فى العبادات وفرة إطلاعهم فى علوم
الفلسفة واللغة والفقه الامر الذى اتحددت بتفكيرهم وأصححت أحكامهم عبارة عن

تصورات لا تقوم على منطق أو دليل وكذلك جاء شعرهم بعيداً عن الفن وفرواده
وهم ضد اقواعد والأصول .

ومثل ذلك قول الشيخ "عالمح" بأنفسه اضير من الأرياء الصالحين ومن
الصوفية الكبار في مدحه للشيخ محمد . اللهم .

هــنا المرئى الكرام سادات سلطان زمانه فأطهبوا دعوات
الشيخ محمد يوم لقي الرضيات هو يشمع لى يوم تكثرت العدرات
لا لنا يحاى منها ولا الجنان يشاقق لها نظير الآلة حاجات
المسولى مقصوره أعطاه تاج الدين أبوه ومنه حالات
مىروى عن سيد السادات بيت الآلة فيه يصلى أوقات
وهنا نلاحظ الفرق الكبير بين شعر الشيخ محمد بأنفسه والشيخ محمد المهيم
فالثانى لازم تاج الدين البهارى وجعله حلفاً له وقال شعره شبه فصيح ولم يكن من
تلاميذ الصوفية المجهدين ثم جاء الجيل الذى تنبأ على الرعين الأول الذى عادى
المعرفة والمنطق ولنا لا يستغنى الشيخ بأنفاق علوم اللغة العربية وإنما كان إعتامة
بأمور الصوفية أكبر لذا لم يتوسع فى معرفة العقيدة والأروحية وجاء شعره
عامياً متأثراً بموقف شيوخه

كان تلاميذ الشيخ تاج الدين الهامى أثير فصاحه فى شعرهم كجيل رائد وكننا
سار الزمن وتولد التلاميذ على شيوخ الصوفية الذين اهتموا بالمسائل الروحية وأهملوا
المسائل العقيدة رأينا الشعر ينحدر إلى العامة للفصحى ومن ذلك قول تلميذ الشيخ محمد
المهيم الشيخ سليمان لظوا إلى الرغرات حين قال فى عروسه التى تزوجها فوق أختها
حين رفضت الدخول عليه .

يادى العروس البكاية غاروا عليك أهل الراية

جعلوك قصبة وشاية

وقد شاركت النساء في قول الشعر الصوفي ومنهن أمراءهن من نساء قرى بلاد
العبد لآب حين مدحت الشيخ شرف الدين عبد الله الوكي

شرف الدين أنا والله وبيلك بالماسكي الشباك بأيديك

من خلاني نعلاني وجلبك كل يوم اتبركي بيك

يا شجره وقت الله أذاك لا نبلا سقاك لا مطراً جاك

ولد عوكي كل يوم يفشك سواليكي ورقةاً يشاك

ومن مصوفة الذين ألقوا الشعر الولي أسما عيل صاحب الربالة بن الشيخ المكي
الدقلاشي ومن أخباره أنه حين تأميه الحاله يمشي في حوش منزله ويحضر البسات
والعراس والعرسا لرفيصة ويضرب الرتبة كل ضربه لها نعمة بهيق منها
المجنون وتسهل منها العقول وتطرب لها الحيوانات والجمادات حتى أن الربابة
يضعونها في الشمس أول ما تسمع صوته تضرب من غير أن يقير بها أحد ومن
أشعار في الحرب وفرسه .

بنيت بكر المرداويوادبوا سلطيه العرضه ديودبوا

وفي غزله في الجماليه الكر تانيه

حره الفتوح مرق طالب النديه قيصه لكاب حاقب له عنيه

خشم تهجه ثبيه ابن الكنبه كفل من تور توافي ولد دليه

وكذلك

صاح مطر الصعيد وصاح المقر
خشم تهجه عن الكذب مجرد
حميف القلب من الكمكاع مرد
مريسته فوتريده ووردا مترد

وقال كذلك

صب مطر الصعيد وعاش بالبت عايد
النسوان بلا هيبة ام فلايد
فوق خشم البيوت جروا الكسايد
لحم سوق رقيق مشير بجدايد
صب مطر الصعيد وطلق علينا رده
تعجبك في الرقيص حين ماترده
ياهنيه من هواها وقضى غرصة

ولما سمع زوجها بذلك رحل بها إلى تعلى وسمع الشيخ بذلك فقال

نسل السيف تلوح فوق أم قبالة
وجه من فطاح فوق الصناقله
تكرب الزم مكان أسمع مقاله
نخلات عروسك ديك بطاله
نسل السيف تلوح فوق أم عوايد
وجه من شافت الخمل تلافق
نخلات عروسك ديك ما يتوافق
نشق ام رنزت البهف مطرها
مهره العنلاوى المسكنور طهرها
تعافى المورد الداحل كبرها

إذا أودنا أن نقيم هذا الشعر لاشك فسوف نضعه مع شعر الصعاليق شعر
المتردين على القوانين الاجتماعية كما كان يفعل معظم شعراء العرب في مطارده

نساء ومخيلات الرجال واستباحوا أنفسهم هذا الحق .

فطباع الشعاع العرب ماذا كانت في دماء هؤلاء العرب الذين استوطنوا السودان ولا شك أنهم أدخلوا نماذج كثيرة لم تحفظها لما الخطوط

انتشر الشعر اصبوح الفصحى في النصف الاول من اقرن السادس عشر وصار
يتخرج في بيوت الصوفية الذين لم يهتموا بتقواعد اللغة وفنون الشعر اذ كان
اهتمامهم اتوص الى ارضاء الله عز وجل وظهور المكرامات عليهم حراما لحبهم
لله وصار الشعر ينقل من فصيح الى فصيح وعامى وعامى حين جاء القرن السابع
عشر فانتشر الشعر العامي بين الصوفية وابتعدوا عن شعر الوجدان والحب

وذلك لقله اهتمامهم بالاطلاع على كتب الصرفية الاوائل ومتافشتها واكتفوا
بما ظهر لهم من كرامات عند بعض شيوخهم مما شغفهم عن العالم الخارجي وصاروا
يتناقشون على الاثبات على هذه المكرامات والحوارق ، وأهتموا بما يوصلهم الى
هذا المستوى وقرن اهتمامهم آداب الصوفية الاوال واجتهادهم في علم التوحيد
والعلوم العقلية واستمرت هذه الحالة بعدم الاهتمام بالعلوم العقلية خلال
القرن السابع عشر والثامن عشر حتى عصر الشيخ أحمد الطيب شيخ الطريقة السمانية
الذي اهتم به من تجواله في البلاد العربية الحجاز ومصر وبيت المقدس وأحضر
معه من المكتب والمخطوطات ما جعله يرتفع بمستواه العلمي في حالة الشرد والخيال
الى عالم لغز وواقعة وكان محمد احمد ادقلاوى الذى لقب فيما بعد امهدى خير
شاهد على مكتبة هذا الشيخ العالم الذى استعاد منهم المئذ خلال عشرين عاما حتى
استطاع أن يثمر على سلوك شيوخه من الصرفية لما رآه من تعامل التى تعارض
ما قرأ وما أدرك من عالم الدين والحققة .

بدأ الشعر العربى في السودان مع قيام دوله سار في بداية اقرن السادس
عشر وليس بدخول العرب السودا لان رحله الاستقرار المؤيلة غير عشرات
السنين التى استهلكتها فيها الاجيال الاولى حياتها عبر الوديان والسهول والحياء
المحلقه للبحث عن مصدر عيشى ومأوى بحرت من عقول الاجيال الاولى
والاجيال التى نلتها كل مقومات الثقافة والحضارة داخل هذه الحياء البدائية
حتى تأهلوا على الحياء الجدد يتفاهروا ويعاشرها اهل السودان .

بدأ الشعر العربي صوفي بعد رحله الاستقرار التي كان نتيجتها الخلف
النارس شعر وجداني رقيق بسيط السكك رقيقها حبيب إلى النفس وذهب
حيث ذهب الصوفية وحيث ذهبت الرسالة والتحليل ومريديه في ذلك
قول الأوال في الصوفية. وكان هذا الشعر أجمل شيء يبقى في النفس
دون إرهاق للعقل وواحدان ، إلا إلى الصوفية أوقفت تطورها التقافي
لقه الاحتاد في كثير من الأحيان ولم ينتجوا لنا غير بعض المخطوطات لقه
من المحدثين مثل كتاب في الطريق وآداب الذكر للشيخ إسماعيل صاحب الرباه
وكثير من المخطوطات في تفسير الرسالة والتحليل وبعض الدراسات في التوحيد
والصوفية ولم تصل لنا من تلك المخطوطات إلا أخبارها حتى نستطيع أن نقيم
مادتها ومعة لإطلاع أصحابها وعمق فكرهم إلا إن هناك ظامرة يجب لوقوف
عنها ، وهي تلك الزيارات التي كانت بين رجال الصوفية لشيخهم وتدارسهم
في بعض الأمور ومحاولة الاستفادة من شيخهم المشهود هم بالعلم كما كان يفعل
الأميند الشيخ خوجلي بن إدريس الأرباب وكذلك التاميند الشيخ الزين بن
صغرون ببلاد الشارقة حيث كانت حلقة علمه أكبر حلقة علم عريها العصر
ونخرج على يديه العديد من الشيوخ ولقهاء ولقضاء . وقد توفي في النصف الثاني
من القرن السابع عشر عام ١٦٧٥ م بالقوز بالقرب من مدينة شندى .

وقد واثه الشيخ محمد ولد الهدي بشعر ركيك بقايس هذا " ن ، أمامية يس
ذلك لعصر فيعد محاولة جاده لكتابة الشعر العامي الفصيح لقوله :-

فكم من رجال لهم شأن ومعرفة	بسبب تلبه سموا كالأجرام الزهرا
إلى الغروب جرى الإسلام علمك ذا	بإد البرادى ومائ الأرضى همرا
نشرت علماً على الأفاق تغره	كل النواحي وأهل البحر والضرا

يامين ابكي على الاستاذ لا ترخي وقبض دمعاً غزيراً جاركا المطرا
من اذا يكون بعدك للطلاب بأهلهم بأنطلاق وفرحات بلا كثر ٩٩

ومن شعرهم العامي قول الشيخ فرح وديستوت في رثائه للشيخ أبو بكر ولد
قدير وما يحكي عن مستوى العلم في ذلك العصر ، قصة "شيخ أبو بكر ولد قدیره
يحكي أن درس مختصر الخليل على شبة الذين مره واحده وأدب له بالتدريس ،
وكان هذا مستوى إساذه العلم وقد اشتهر الشيخ أبو بكر بالعالم الجليل وتخرج
على بديهة علماء وشيوخ وهذا يكشف لنا مستوى التعمق العلمي في عصرهم قبيلا في
المعرفة بعد علماء وبسط الجماهير الجاهلة ويسمى صاحب هذه المعرفة اليسير بعجز
العلوم كما قال قية مر ح ودتكوك .

این ابو بکر المدرس فی النصوص بجمع بکرس
فوق مطایا العز - مدرس حتى يصبح الخلق مکرس

ومن شعرهم العامي مدحهم أيضاً هذا الاستاذ من تلايذه

جبل الهامة البقيت لها ركازة في غرب دار صليح الى شرف بلود البارة
ذهب الناجر لما قلبه العظماء مثل الشمس خفيت الجبهة مع العكاز
وقال آخر .

بالكاف كفاية الهايغ الجبان في الفونج ر العرب الهظرو ولا وزن
رحمة من بوادي الحلقة الرحان أم الخاطر فاقت على السموان
بالام في سرايا قوم الهيم ملم دود الكرده اليكرف نقطة دم

الجود والعبادة غير ما مام مكم بحسبه وقت الرجل تنظم
ومن شعرائهم أيضاً الشاعر أبو جروس شاعر الشيخ إدريس الأرباب قال في
إبنه حمد على قلة عطاء للشعراء خلاف ما كان يعمل أبيه من تكريمهم
وعطاءهم .

الشعبة الكانت تانيه إنكسرت وأدتنا السيه
تركت حمد القليلة لا من جات قال ادوها العيبة

وقال في مدحة على كثرة الكسرة والذبح
ولد عشوم معاكم سلم على حمدن دار أبوه بويت هويت من لشقين
وبد القرشي صفاته مائة وأمين هيلك هيل أبوك يا جامع الشرفين
وفي الشعر الصوقي شعر الشاعر القرشي شاعر الشيخ أحمد ولد الأرفي .

وهذا مثال لشعر المدح والذم ، فند تعود أشعراء على عطاء الاشقياء ويغنون
لهم كما فعل شعراء العربية ، وهذا خير مثال لفنصب الشعراء على ابن الشيخ إدريس .
- من أوقف العطاء وأكثر في العطاء وأشار الشاعر بان هذا ^١
وليس ملكه .

شوت عود وشود أبو نخيره
شعرت ديمو وشعرت العبد سعيد
حرم شرف ناز البريده

صوفيه متعارفه عند الصوفيه - كمثل هذا الكلمات : كو ، كوه ، سك ، بكم ، بكم . . بكم
 ألح على هذا الورق وفات عليهم حالة الانطلاق الشعوريه ، وعدم التقيد بمنطق
 وواقع ساعه الدفق الصوفي : والشعر الذي قالوه في تلك الملاحظات ليس شعرا
 له معنى ودلاله ، إنما هو نوع من الموسيقى اللفظيه الموجوده في الكلمات والحروف
 العربيه يستعيز بها الصوفي ساعه عيونه في ضربات النوبه والطار وموسيقى
 الذكر المصاحبه فكر المناظر أشعارهم ما هي إلا المبحث عن موسيقى صوتيه ناسر
 حالتهم المضطربه الفقهه الباشع عن شيء ساعه الانجذاب . إلا أنهم وغم ذلك
 اعطونا صوره متعدده لهذه الشخصيه فهي مره شخصيه عالم ومره فارس ومره
 رجل حوارق ومره شخصيه لرجل ورع صالح ونارة شخصيه لا تعرفها ولا تعرف
 ملاحظها حيث لا تعرف كلماتهم .

إحتات الشخصيه الصوفيه ذات الكرامات والخوارق مكانه كبيره في اجتماع
 السوداني . إرلا لأهتمام رجال الصوفيه بهذه الخوارق وهذه الافعال "عريه على
 لسان وتفسيرهم لهذه العادات تسميات تخلف عما يعتد به كبار الصوفيه في
 العصر العباسي والمطاعى . فقد فسر الصوفيه الأوائل بأن المعجزات في صفات
 الانبياء وليست لسدادهم من لبشر وما يظهر على لبشر من بقيه المسلمين من
 كرامات ما هي إلا أكرام نحمد في عباده المسلمين وهي امتداد لأكرام الله لبيته .
 وإمكن رجال الصوفيه في السردان ان اردوا بتفسير غريب لهذه الكلمات وذهبوا
 فيها مناعب متى وجعلوا أنفسهم موضع الاهتمام والتنافس حتى لو اناس عن
 عضمة الخالي ونبيه وان شغل الناس بالحديث عنهم وطالب المغفره والرحمه ، الشده
 منهم أكثر من توجيه عقول الناس إلى أهم لا مسا ولا شيء ، والسميه مدلى
 العليم ونده خاتم المرسين وقل حديث اس عن سقامه الخلق ومعجزات
 أنبيائه ورسله .

ونرى ذلك في شعرهم وهو أكثر الشعر الصوفي الذي قبل في القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر ولم يتطور للشعر الصوفي الأول إلا في القرن التاسع عشر والعشرين ، مثال ذلك قول الشيخ طه الحاج لقائ في شيخه حسن ولد حسونه :

سلام الله ربى ذى الجلال	على شيخ الطريفة والوصال
سلام فى ظمأ وهما	على الشيخ المكمل بالخصال
والحقه السحيه ألف مره	وآلف سلام خبير نبال
جمع الخلق قد جزمته عليه	بحسن الحسن فى حسن النعال
تحيته تغلب كل خير	وتبعد عن كل ذى شر وبال
وترجوا أن نفوذ به جميعا	بدنيانا وأخبرى بالمع إلى
ويسعدنا الآله بجاه من	حالك الله بأبرغال من ذك للجلال
واتى فى حماه وجميع أهلى	وما أرجوه من كل الامال
بفضل الله ثم رضاه على	أروم بحبه نيل التوالى
فما أنسا كموا فى كل وقت	ليل أو بصبح والوال
فلا تنساني وفى اللحظات أنى	غريق الذنب فى بحر الخيال
فذاك جناء فى بعبادى	ولا يكى أخاف من الكلال
قال زرنبا لئبنا باجتهاد	وأنى عذرا لقصدك واشتغال

وهذا الشعر إذا قيس بالشعر الصوفي لا يبعد عنه وتذكر له وفيه لرفعة الإنسان ووصفه بالكمال الذى لا ينصف به إلا عز وجل والقصيدة بعيدة كل البعد عن الشعر الصوفي وهى تمجيد للفرد وعبادته وتشبيها بالانبياء واعطائه من صفات الخالق عز وجل . .

كما أهتموا بحالات رجال الصوفية ومتابعاتها وتسجيلها لنشر بين الناس وبنائها جميع الناس مثل ذلك قول الشاعر فى عيسى ولد كند :

ولد كند لما جاءته الحاله دقو له الزردات بالسنداله
المولى سبعائه وتعالى خيل النار له شلاله

هذا هو الموضوع الذى شغل الشعراء وجمعت لقصفيه الكثيرين من المنجذبين
غير المتعلمين والمهتمين بعلوم اللغة والدين وكما أسلفنا فى الاطلاع عند الكبارين
من لقصفيه واكتفوا بالكرامات والخرارق مما عاينوا بالشعر من الفصحى إلى العامية
والفصحى إلى العامية إلى ثم لغة غير مفهومه غريبة على الفصحى والعامية ،
ومستابع رحلة الشعر فى القرن التاسع عشر فى حديث عن الشفاعة فى ذلك اقرن .

حيث بدأت مرحلة جديدة فى حياة السودان وثقافة العربية ببداية القرن
التاسع عشر الميلادى وعاء الشعر إلى أصله العربى واخرج طلاب المعرفة من
عالم الكنائس (النعلاوى) إلى عالم الازهر وأروقته وأخذوا من معارف
العرب وتراثهم .

.....

وقفه مع الثقافة في القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلادى

لمعرفة الحياة الثقافية والعلمية في القرن التاسع عشر الميلادى لابد لنا من معرفة الحياة العلمية في القرن الثامن عشر الذى أشهر منطقتين رائعتين كان لهما الأثر المباشر في حياة الثقافة والفكر خلال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين . وقد تبع هذا النشاط من منطقتين هما الدامر حيث تخرجت منه المحدثون وأرض السوروباب حيث أقام أحمد الطيب شيخ الطريقة السهرية التي علبت كل الطرق الصوفية في السودان وعلتهم مكانه وخرجت الكثيرين من جال الصوفية والعلم الدينية ومنهم الشيخ نور الدائم وتلميذه محمد أحمد الدقلاوى صاحب الثروة الثقافية والدينية عن المعتقدات القديمة والجديدة شرعية وعلوم الدين وعلى أعراف الصوفية .

فقد خرجت مدرسة السمانية ثلاثة رجال كان لهم أثر في الثقافة والفكر في السودان أولهم الشيخ أحمد الطيب ونور الدين والشريف محمد نور الدين وعلمامة محمد أحمد الدقلاوى تلميذه وزعيم الثورة المهديّة .

شيخ أحمد الطيب صاحب الطريقة السمانية إصله من قبيلة لمجوعة بركة في منتصف القرن الثامن عشر الهجرى أى في النصف الأول في القرن الثامن عشر الميلادى وتوفى عام ١٨٢٤ م . حفظ القرآن وعمره خمسة عشر عاماً وسافر إلى مكة حيث واصل دراسته على يد الشيخ الكبير محمد السمان لدى إمام العلوم الصوفية وأخذ منه الشيخ أحمد الطيب الطريقة السمانية . ولما عاد إلى السودان شرع في الطريقة السمانية إلى قامت بجمع الطرق الصوفية . وقد كسب الشيخ أحمد الطيب

أحترام ملوك السلطنة السنارية وشيوخ العبد لاب ومنحوه الأراضي الواصلة الى
وصيها يدوره للاخريه .

وعما يدعو للوقوف ما جاء في مقال الشيخ عبد الله الطيب نور ارانم في
جريدة السودان العدد العشر بتاريخ ١٧ ١٩٠٣ . ٩ وحكى أن جده أحمد
الطيب قد شس من حكومة السلطنة السنارية والقوضى التي كانت تعيش فيها
وقارن تأخر بلاده بالبلاد العربية التي كان يزورها مدعى سلطات الحكومات
العربية لدخول لسودان وتعميره وتطويره في الإدارة والتنمية . وقد كان نظرة
الاستاذ احدا طيب نظره حضارية وذلك لاتاحة الفرصة للسودان لىصل بالامم
المتقدمة وبدور في ولاكم لتحرر من لتعاقب والجهل وذلك لاستعادة من خبرة
تلك البلاد ولكن دعوته هذه لم تلقى استجابة عند لاتراك وذلك لجهل بخصات
السودان وظمم إن السودان بده متوحش أهله من ازبوح وليسوا من المسلمين
وماسمعه من لروايات الخرافية لشيره لى كانت قتال عن سكان
لأفريقية . . .

وقد قال لشيخ عبد الله الطيب نور الد ثم شيخ الطريقة السبانية بمصر بعد
أن هرب من يد الحليمه عبدالله ، قال لما عاد سيدى الشيخ أحمد الطيب من
الأراضى المقدسة وزار مصر وبنت المقدس والعراق وأكثر البلاد الإسلامية
ورأى ما فيها من لتقدم وال عمران بالنسبة لحالة السودان أحب ان تصير لاده
مثلا فكأن لايتفك عن دعوة الاهدن إلى التسمي إلى ضم السودان إلى حكومة
مصر والقضاء على دولة الهمج التي لايرجى منها أن تسير بالبلاد في الطريق الذي
سارت فيه مصر والشام ..

وقد كان أخوته ونور عمومته القايضين على خطط هذه الدولة لهم منها
وظائف الوزارة وقيادته الجنود ومراتب القضاء والكتابة وسائر خطط
الدولة ..

أشار على الدولة بأصلاحات كثيرة وبث الرغبة في افئدة الكثيرين من
طلاب العلم ليبدأروا ديوم اطلب العلم حتى لو بالصين فعادت مساعية بالنجاح
وأنتشر علم الدين في الاطراف بعد أن كان الناس يسافرون الأيام والأيام ليصلوا
إلى بيت عالم يقبضهم أو يعقد لهم نكحه .

حديث الشيخ عبدالله الطيب عن جده أحمد الطيب يكشف لنا عن مركز
ثقافي هام أنشأه الشيخ أحمد الطيب «القرب الخراطوم وقد نتج هذا الاهتمام بنشر
الثقافة والعلم من الحبرة والضورة التي يراها الشيخ أحمد الطيب في البلاد العربية
التي كانت تعيش في أسوأ حالتها ولكنها رغم ذلك رأى فيها من مظاهر لتطور
والعزوب إذا فليس بحال السودان المتخلف تحت ظلم السلطنة السامرية ، كما
يكشف لنا تأثير مدرسة الشيخ أحمد الطيب في تخرج لفضلاء والمعلمين والمستشارين
الحكومة السلطنة السامرية في عهد الهمج وذلك في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي
وبداية القرن التاسع عشر ..

مدرسة المجاذيب :

احتلت الدامر مكانة كبيرة في العصر الثامن عشر والصور التي تلت ذلك
مفضل شيخها أحمد المخنوب ، حفظ القرآن على الغضبه عبد الماجد تفته في خايل
وأرسلة على الفقيه مدني بن محمد وعلى اوزاوي وعلم الكلام عن الحاج سعد
وحج إلى بيت الله الحرام وأخذ الطريقة الووفية الشاذلية على يد الشيخ علي
الداوي ..

وأنتعشت الدامر بحماته فقد قام للتدريب بها في شتى العلوم والفنون والاحكام
وهو من جمع بين العلم والعمل .. وقد كانت تحاف منه الاعراب وقطاع الطرق
وقد جاء في كتب بوكهارت في رحلاته في بلاد البويه وصف مدينة الدامر له
في ١٠ أبريل سنة ١٨١٤ م .

يقول الدامر قرية أو بلد، كبيرة قراها حسنة بيت وهي نظيفة تفضل في
شكلها بربر لما فيها من المباني الخديدة ولحلوها من الخرائب في بيوتها شيء من
التنسيق وشارعها مستقيمة وتنمو في كثير من أرجائها الاشجار الوارفة الظلال
ويستكنها عرب من عشيرة آل المجذوب ويدون أصلها إلى جزيرة العرب وجلهم
من رجال الدين أو الفقهاء وليس لهم شيخ يزعمهم بل فقيه سموته الفقي
الكبير وهو الرئيس المعلى والفاضل الذي يحصل في خصوصياتهم ويشتهر آراهم ودور
الذين أصبح هذا المنصب وفقاً عليهم من قدم بما يجب عشيرتهم من سحره
وعرافين مهرة لا يحجب عنهم غيب ولا تقاوم لهم نجيمة ..

ويجبل إلى أن وظيفة الفقي الكبير وراثية ولا بد أن يتوافر فيمن يلها
بطبيعة الحال الحكمة . ورجاحة العقل والفقه في الشريعة لأن هذه كلها من مقومات
وظيفة على أن الفقيه الكبير ليس ساحرهم الاوحد فغيره من الفقهاء الأقل شهرة
كثيرون من مؤمن الناس بهم على قدر تقواهم وعلمهم وهكذا اكتسبت بادة
الدامر بأسرها صيناً دائماً وفي البادية يمارس الناس التعلم في مدارس عدة يؤمها
الطلاب من دارفور وسنار وكردفان وغيرها من أنحاء البلاد ليدرسوا الفقه
دراسة تتيح لهم أن يكونوا في بلادهم فقهام كباراً .. ويقتنى فقهام الدامر من
الكتب الشيء الكثير ولا لكنها لا تتناول من المواضيع غير الدين والشريعة

ورأيت فيما رأيت نسخة من القرآن لا تنقل ثمنها عن أربعمائة قرش ونسخة كاملة من تفسير البخاري تهاوى ضعف هذا المبيع في مكتبات القاهرة وقد جلب هذه الكتب من القاهرة الشباب من فقهاء الدائر أنفسهم وكثير منهم يجاور الأزهر الشريف أو في المسجد الحرام بمكة ويظلون سنوات ثلاث يعيشون على الصدقات والجرايات . فإذا عادوا إلى الدائر عاموا الطلبة ثلاثة قرآن وأعطوهم دورسا في التفسير والتوحيد ولهم جامع كبير حسن البناء ولكنه بلا مشيئة وتستده عتود من الاجر وأرضه مفروشة بالزمل الناعم وجو الجامع ألطف أحواء المدينة وأرضها وإليه يأوي الغرباء للتقبل بعد صلاة العصر ويلحق بالجامع مكان مكشوف تحيط به حجرات للندس . والكثير من الفقهاء زرايا صغيرة إلى حنب بونهم وامكنهم لا يصلون فرضة الجمعة إلا في الجامع الكبير ويحيط كبار الفقهاء لأنفسهم بنظام الورع والنفوس ويعيش الفقير الكبير عيشة العابد المتقشف فهو يسكن بناء صغير يقوم وسط ميدان كبير من ميسدين البلدة . وقسم من البناء مصفى ولقسم الآخر حجرة مساحتها نحو اثني عشر قدما يقيم فيها ليل نهار لا يرحها . بعداً عن أسرته وحيداً لا خدم معه ولا أتباع وهو يعيش على ما يرسله له أصدقاؤه أو أتباعه من فطور وعشاء وإذا كانت الساعة الثالثة مخرجاً بارح حجراته بعد إعكافه مسجده تهازه للقرامة والغوس ثم اتخذ مجلسه على مصطبة من الحجر أمام داره وألم به خوانه وأبعده فجعل يصرف أعماله حتى العروب . . . وذهبت مرة لأقبل بيده فراعى منه محيا وقور وطاعة جدية وكان يلحف بماءه بيضاء تغطيه كله . . وكان يجلس بجوارم شيخ مغربي مكناسى قدم من مكة يستعمل عنده كاتباً ويصرف له كل أعماله الرسمية وذكروا لي أن هذا المغربي أستطاع أن يجمع من وظيفته ما لا طائل .

ويلوح لي أن شئون هذه الدولة الدينية الصغيرة تصرف بمنهج الحكمة
ولعقل وجيرانها يكونون للفقهاء أعظم الاحترام والاحلال . أقوا الرهبنة في
قلوب البشارس الغادرين فلم يسمع أحد . انهم اعتدوا على دامري يعبر الجبال
من بلده إلى سواكن : وأخوف ما يخافه البشاريون أن يقطع الفقهاء عنهم المطر
بسحرهم فتهاك اغنامهم ومواشيهم .

أما الزينة والفتنة فيقول بوكهارت عن أهل الدامر (وزين نساء الدامر
غرف جلوسهم بعدد كبير من الصحن الخشبية الواسعة بعاقها على الجدران
فيبدو وكأنها الصور الكثيرة . أما الأرض فيغطها بالحصص الجميلة محلاة
الرسوم والألوان ولاغرو فالقوم خبيرون بصنع خوص الدوم وكذلك رأيت
بيض نعام وريش نعام أسود معلق على اعائط ورق الباب للزينة) .

مع الفن :

إذا وقعنا مع الفن في هذه المنطقة حتى شمالها وجنوبها إلى منطقة أبو حمد
والخرطوم نجد تشابه الحياة الطبيعية على العمل بالنسبة لشمال الدامر وبالنسبة
لجنوبها وتكاد الدامر أو نهر عابره بداية لوجود تربة جديدة جنوبه وشماله
حيث تختلف النباتات الطبيعية بعض الشيء وتظهر أشجار النرجس والتوتل وفي
الجنوب تبدأ الأراضي الواسعة على الشاطئ الصالحة للزراعة مثل زراعة القطن
بكميات بسيطة بحساب الخضروات والذرة وتقوم على الشاطئ أشجار
(السنط العربي)

وإذا أردنا أن نتبع الفن في هذه المنطقة وسوف نجد الامكانيات الطبيعية

هى التى تشكل الفن وهى الدم والنخيل والتربة اتصالاً عند الجزائر والشواطىء
الرومية بعيداً عن الشاطئ. وبعض الاحجار والحصى . والموشى وحلودها
وزعها وقد استقلت هذه الامكانيات امتغالا مختلفا عبر العصور وقد استعملها
الفرعونى للعبادات وتجميل الاماكن وزينة النساء واستخدمها المسيحيون لاستخداماً
جديداً فى التعبير عن البساطة وحياء المسيح والعذراء واستخدمها سكان الببل
بعد دخول العرب والاسلام زينة للمنازل وللنساء وحياء المنزل وهو استخدام
يتطور بتطور الفكر الدينى وليس الفكر الجمالى ، فاحماله قد أخفت فى العصور
الوسطى بعد دخول العرب واصبح الاهتمام بالاشكال الجميلة نوع من الترف
والانحراف الدينى واصبح الجمال هو حاد الروح واجتهدوا لتعويض هذا النقص
فى مطهر اجمال الصناعات بحاق جماعات معنوية تنبع من الاخلاق والعادات
والعقائد ...

وقد ظهر نوع من الزخرفة فى ملابس الدوايش والصوفية فى العصور
الوسطى امتد حتى القرن العشرين كان فى مجموعته تعبير عن عدم الانسجام
وتنافر الالوان وكانهم ارادوا خلق انطباعات مختلفة بأختيار الوان صارخة
متنافرة لا تدل على الانسجام والصدقة ،

أما الموسيقى والرقص فقد أخذت نفس الطابع سائرة مع اشكال التطور
المختلفة ، فقد استخدمت الموسيقى والرقص فى تأدية الشعارات الدينية فى العصور
الفرعونية حين إنتقلت الحضارة المصرية إلى منطقة مروي أما فيما سبق هذا
العصر فقد كانت الاقناعات تعبر عن الفرح والسرو والحزن والحوف والاستعداد
والرقصات نفسها كانت رقصات ايقاعية وكانت الموسيقى هى الضرب على الايدي
والارجل وآلات النفخ البسيطة من السبانات ثم تطورت الموسيقى والرقص
المصاحب لها تعبيراً عن المشاعر الدينية فى فترة الوثنية الفرعونية وذلك أثناء

طقوس المأبد واحتفالات النيل والزرع والجهاد والموت والزواج ولغتان ..

وإذا تابعنا عطاء هاتين المنطقتين الدامر وشمال الخرطوم حيث أقام السبانية
والنجاحيب نجد تجمعا كبيرا من طلاب القراءة وحفظه القرآن والعالين للإمام
بعض أمور دينهم وقد كان لهم هؤلاء الصوفية بين تلك التجمعات الجبهة أثر
كبير بجانب التفسير الصوفي الذي احاط بهم وأعطاهم مكانة اجتماعية جعلت
قبول تعاليمهم وأرشادهم الدينية مقبولة ومحترمة أكثر من رجال العلم الذين
فقدوا هذه الميزة الصوفية .

حمل التلاميذ هاتين المنطقتين رسالة العلم رغم بساطة المعرفة التي كانت تعطى
لهم إلا أنها كانت برعما تقتصر الانتفاع الطيب في القرن التاسع عشر على يد الفتح
التركي وحضور الوفود العلمية مع الفتح التركي من قضاة ومعلمين وخروج
الطلاب إلى أروقة الأزهر والإقامة به على نفقة محمد علي باشا ليعودوا عمالا
في دولته الجديدة .

.....

دفاع رافع الطهطاوي في السودان

إذا أتونا آثار النهضة الثقافية في العالم العربي في بداية القرن التاسع عشر بعد حملة نابليون نجد أن روادها الأوائل اتجهوا جميعهم إلى الثورة الفرنسية . . ففرنسا بعد ثورتها وإعلان الجمهورية . . . وخاق طبقة وسطى قوية أصبحت حلم كل مثقف ومتطلع إلى عالم الحرية والعلم والفكر .

فكان واجب الثورة الفرنسية رجال من المفكرين مثل جان جاك روسو وكما أنجبت الثورة الفرنسية رجالاً مفكرين خدموا أممكم الإنسانية والنقابة الإنسانية . . وقد حملت الثورة الفرنسية العوارق "الطبقية" وجمعت بين أنصار الفكر والحرية في مشارق الأرض ومغاربها .

ومن هؤلاء الرواد الأوائل كاتب ومجاهد مصري كان له الفضل الكبير في بعث النهضة التعليمية والثقافية وحمل لوائها في صدق وإخلاص واحتراف وهو دفاع رافع الطهطاوي المولود ببلاطة طهطا . حيث حفظ بها القرآن وأجده كبقية أبناء تلك الفترة ثم أرسله والده للأزهر الشريف ليتزود من علم الأزهر وليتخصص في علومه .

وقد كان الطالب دفاع رافع الطهطاوي طالباً محتمداً لفت نظر معلميه لاهتمامه بعلومه ونبوغه وقد تعهد تعليمه بالأزهر رجال أفاضل منهم الشيخ الفضال والشح العطار وقد أهله بجاحه للتدريس بالأزهر لمدة عامين .

وقد عرف عن محمد علي باهتمامه بإنشاء دولة مصرية قوية لتقف قوية منيعه

لما طاع الاستعمار وتسلق في مناعة ترهب المتطاعين إليها . ولذلك أدرك أن
مهمة مصر وقوتها تكمن في أبنائها فخطط لذلك بالاعتماد على أبناء مصر في إدارة
شئونها فأخذ يبعث بالبعث العلمي في كافة العلوم إلى فرنسا وقد استمدت
مصر والنهضة العربية من أولئك الرواد الأوائل ومنهم شيخنا بطاعه رافع
العاظمي . .

وحين أرسل محمد علي بعثة من أبناء كبار وطنه سأل الشيخ العطار
أن يتجنب لهذه البعثة أماما من علماء الأحرار فرفض الشيخ العطار في اختيار رفاقه
وأفزع العظماء إلى هذه البعثة.

وقد كان الشيخ طموحا لآلم ما أن خط رساله على الباخرة الراحلة إلى أوروبا
ولما بدأ في تعلم اللغة الفرنسية ... وهناك في ثورة تفجرت عقلية الشاب لازهرى
المتطوع للعلوم ووجد المجال مفتوحا لكل راغب ويجتهد . واحاد اللغة الفرنسية
خير احاده حتى أصبح من حيرة مترجمي لغوم الغربية إلى العربية وقد ساعده
على طموحه العلمى العالم الشهير موسيو جودر ثم العالم البرون دساس فكان
خير عون له لفتح ذهنه على كنوز المعرفة والعلم .

ثم عاد الشيخ الازهرى إلى مصر بعد أن تمكن من اجادة اللغة الفرنسية والاطلاع على العلوم الحديثة في أوروبا .

عاد ربه أنثرا متشبعا بالروح الفرنسية وثورة قطيفة الوسطى .

١٠١ من كتابي عليا خلاصة إلى إنشاء مدرسة للإن في القاهرة

لتخريج طلبة ليكملوا في الدواوين وليجيدوا اللغة الفرنسية. ثم ما لبث أن اختلف مع محمد علي وأساتذته فقرر نقله للسودان .

وكان السودان بالنسبة لاي مواطن ذلك الوقت كالمغنى بل هو مغنى حقيقى بما عرف عنه أخبار وأن أهله يعيشون في حالة بدائية وراحت مثل هذه الاخبار ولذلك كان يتخوف منه كل من يرسل إليه .

وفي الخرطوم عاصمة السودان حظ الشيخ رفاعة رافع الطاطوى رحاله وأشأ فرع لمدرسة اللسان انضم إليها أبناء كبار الاعيان مخريج الكتبة الذين يعملون في دواوين الحكومة .

وقد استعاد السودان من هذا المصيح كل فائدة في وضعه بعد راتب من رواد الثقافة والفكر في مصر .

إلا أن المدرسة لم تستمر حيث كانت حرارة الخرطوم وسوء المعاملة التي لقيها الشيخ وزملائه مما قضى بوقف المدرسة بعد أن توفي بالخرطوم زملاء الشيخ رفاعة حيث رأى في حياة الخرطوم في ذلك العهد مغنى حقيقى ، فهى بالنسبة للمدن السودانية الأخرى مدينه جديده ليس بها أى شيء غير المرتقة وحياه السخف ، ولم تسعد الخرطوم الشيخ فصار يرسل الرسل لتو التوسل لرؤسائه يستعطهم العفر عنهم واعادته إلى السودان وقد سجل لنا في لبقى كتبه شيئا عن السودان بما فى ذلك قصيده هجا فيها لخرطوم وحياتها لقاسية التي اذا قورنت بما رأى من حال المدينه والحضارة فى فرنسا تعد أكثر من بدائيه إذا أمكن هذا الوصف وهذا ما تكشفه لنا قصيدته .

واند رأيت في طريق بلاد الشقية بميرية دفنة حرم منجق يدعى باسم
الارزق تسمى السيدة اذونه تقرأ آل الشريف ومؤسسة مئة بين اعداد سال
والآخر للميت كن منها المرأة القرآ وحفظ المون تنق على المكتبت من كتبها
براسة النطق وحليجه وعزله ونشعيله ولا ترص أن يشوبه شيء من مل وجها
ويحتب لمكتبت حواء لمن حتى من النعماد ولزهاد الخاضعين من انص
بلاد دم وبضه الخج الشريف ومراها كالتدب لثقة ا واما السيل والة سددين
بيت الله احرام وأمان فدت كثير هناك في ظل الحكومة المصرية

وم يدل على حسن مقصد المرحوم محمد على أنه في دود من "بلاد" سودية
استصحب معه عدة غلمان من أماء وخدمه ووداد إلى مصر وتذهبهم إلى المدارس
المصرية ليعلموا ما دونه وهو مهمتهم إلى مكتب الزاوية ثم إلى مدينة الانس
وكن "قدم من سلك سب وقوا ضخم الحراف العصرية المنتشر دا في حدهم
وقد شاهدت بعضهم مستخدما بمديرة الخرطوم بوظيفة كاتب ويقلب على الظن
أنه بواسطه تظيمات عدة شمس دت الاختيرة المؤسسة على حسب تقار الخدمه
المدرسه وعدم سعادة حرم باشا صاحب الاطار الشدية تمكن لإعلاء تودعات
العصرية بعناية الخدمه في أضراف واكوف تلك البلاد التي هي الآن لم تحل
قراء عن نوع التقدم في الحضارة مع مسالة الوارد والمتد إلى هذه الأيام
لقصد الزياره أو التجارة فأنت أقرب لمنه من اقنيم أمر يكا تكثير وحدها
ما عدا بعض الجمال لسانهم عربي فصيح حدث أن جلهم من نسل العرب المتجهة
القبائل قديما يحفظون أحسابهم وألسابهم وهم كمالا واستعدادا ونكاه "فمنه" وإما
بحا حون في حصول المطلوب إلى الغمشان "مفروس" وتأليف "مفلوب" من حكام

أرباب صداقة وعفاف وعدل وانصاف لا تعلم المطامع الدنيوية على حضرة
الانبياء إلى الامور الدينية بل توجد القلبية أيضا عند الانبياء
المتأصلين .

ويدل على هذا ما حكى عن الخليفة أبي جعفر المنصور عما جرى بين عبد الله
بن مروان بن محمد وبين ملك النوبة مما ذكره المؤرخون في حق الملك المذكور
مع أنه كان من ملوك السودان المتأصلين إذ لم تكن القبطائل لعريسة
انتجعت إلى السودان ولا تساط على هذه الأقاليم ملك من أهل الاسلام ولا من
العربان وهو أن أبا جعفر المنصور حضره ليلة عيدته على وصالح بن علي في
نفر معهم فقال عبد الله بن علي يا أمير المؤمنين إن عبد الله بن مروان بن محمد
لما هرب إلى بلاد النوبة جرى بينه وبين ملكها كلام فيه عجربة سقطت عن معظمه
هأن رأى أمير المؤمنين أن يرسل إليه لحضرنا ويسأله عما ذهب عنا وكأني أنجلت
قارسل إليه أبو جعفر فبدأ دخل قال له : يا عبد الله - قال ليك يا أمير المؤمنين
قال أخبرني بحديثك وحديث ملك النوبة قال يا أمير المؤمنين هربت بين يميني
وأناث سلم لي إلى بلاد النوبة فلما دخلت بلادهم فرشت ذلك الاناث فجاء أهل
النوبة متعجبين حتى أتاهم ملك النوبة حضوري فجاء معه ثلاثة بصرلة فأتوا رجلا
طويل آدم أغبر مستوي الوجه أملسة فلما قرب مني فعد على الأرض وترك
البساط قلت ما يمنعك أن تجلس على انثى هذا قال إنى ملك وحق لكل ملك أن
يراضع لمظمة الله إذا رفعة الله قال ثم نظر إلى فقال لم تشربون الخروهي بحومة
لما لم تقتل عبيدنا أتباعا يفعلون ذلك بالجهل منهم قال فلم يلبسوا الديباج
الحرير وتعتلون بالذهب وهو محرم عليكم فقلت زال عنا الملك وأقطعت المادة
و نصرنا يقوم من الأجاجم كان هذا زيمهم فمكر هذا الحلاف عليهم فاطرق
بني يده ويقول عبيدنا وأتباعنا وأجاجم دخلوا في ديننا ويكرر الكلام على نفسه

ثم نظر إلى وقال ليس ذلك كما تقول ولا كنكم قوم ملائكة وظلمتم وتركتم ما به أمرتم
وركنتم إلى ما عنده نعيم فسلبكم الله العز والبسكم النذل بذوبكم والله فيكم نعمة لم
تبلغ غارتها بعد وإن الخاف أن تنزل بكم النعمة وأن يبلد فتصيبني ملك وأرتحلوا
عن حوارى السبي . فقال أبو جعفر وقيدا من كلامه فدخل حججه وقال لله
تعالى وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا فيها مصنفوا بها فحق عديده . فقال
فدمرها أدمرها قال المفسرون في الآية حذف دل عليه فيمراى مرة . ثم فيها
أى مدمرها بالطاعة لأمرهم فدمروها فدمرها أدمرها السبي - فيها موعظة
بصالح من ملأ أسود وأهل ملوكهم في الأمان قديمه كرا كصالحهم لا على
قدم عظيم من الاستقامة وطريقه قويمه وأما مريض معرس للدم في حق أهل
الوإن فهو متوجه عام حمير أهل البلاد وهم لعبيد ولما ولدوا ومن بعدوهم
من رعاى أهالى تلك البلاد أو باب الدفائة والخسة .

وفي سنة سبع وسنين ومائتين وثلاث مائة مسافرت إلى تسمى السبي
بعض الأسماء بغير مستقرة بوسيلة نظارة مدرسه بالخرطوم فبشرت نحو لاربع
سائر بلا طائل وتوفى صمد من مصيقتى من المرحومين فبشرت هذه
السيدة برسم المرحوم حسن باشا كآدمها بصر رحام لثني من أوجار ملك
الأحرار فبشرهم ثم أسعد الحال ببيدك من السبي والذى
هو حال بذلك عقب نحو خمس لقضية فبوة برعه متوسد فيه بسببه صغير
البرية وما هي القصيدة الأولى :-

ألا فادع الذى ترجو ونادى	يحبك أن تكون فى أى نادى
فمن غرس الرجا فى قلب	صاحب من أائب الحصاد
ومن حسن الحلاق حلة صنعها	جميلا فهو زوفى بالوداد

وحديث عن وفاخل وى
ورب أخ تلامي ذلك يوم
بنوا الاداب آخوان جميعا
خلاتق عنصر كل تغذى
وآداب الغنى تعلية ربما
وآدابى لساى فى الدراوى
ومالى لا آتية بها دلالا
الى سبل الفخار تقود حوى
عمامى طابق المجد سعيا
سوى نسب النجوم الى انفساب
حينى السلالة قاسمى
لسان العرب ينسب لى غارا
وحسبى انى ابرزت كتبيا
فنها منبع العرفان بهجرى
على عدد النواثر معرباقى
وماطرون يسهر وهو عدل
ومترفو فراح قيات درسى
ولاح لسان باريس كشمس
وحى مصر احيا كان قدرى
سأشكر فضله مادمت حيا
ساعى الختان عهد زمان مصر

بموسل حية فى القاب يادى
قرب وداده أهد ودادى...
واخوان بمختلف البلادى
بأثراء السلا دون اقتصاد
الى الانجاد من بعد الوهاد
على شقى وتباغنى مرادى
وقد دلت على هج الرشاد
وفى ميدانه عزم انقيادى
عظامى شريف بالتلاذ
الى خير الخواضر والبرادى
باطما معشرى وبها مهادى
وود يبتقى الى مس الايدى
تاييد كتابنا يوم الطرادى
وكم طرس تجبر بالمدادى
نقى بنفون سلم أو جهاد
وتتمسكوا بقراء بلا تهادى
وقد اقترحوا سقاية كل حادى
يقاهرة المعز على عمادى
وكأأن على قدر اجتهادى
وماشكرى لدى تلك الايدى
رامطر وبها صوب العهداد

وصالت بصفحة العيون عنها
 ما السردان قط مقام مثلي
 بها ريح السموم يشم منه
 عواظها صباحا ومساء
 فلا تعجب اذا طخوا خليطا
 ولطح الدهن في بدن وشعر
 ويضرب بالسياط الزوج حتى
 ويرقى ما يزوجته زمانا
 واكره الفتاة على بناء
 فليحجته المولد وهو غال
 لهم شغب بتليم الحواري
 وشرح الحمار منه يضيق صدرى
 وضبط القول فالاحياء تزد
 ولولا البيض من عرب لكأوا
 وحسى نقابا بنصيب صحى
 وقد فارت اطمالا صفارا
 افكر فيهم سرا وجسرا
 وعادت بهجتى بالنأى حزم
 أريد وصالهم والدمر يأتى
 وطالت مدة التقريب عنهم
 وما خلعت العزيز يريد ذلى
 لديه سعرا بالذبة حداد
 مازيل الفضائل خادعوني
 وذخرف قولهم لاذ موهبه

وفتلى في سواها في المراد
 ولا سماوى فيه ولا سعادى
 زمير لظى فلا يطيبه وادى
 دوما في اضطراب واطراد
 بمخ العنالم مع صافى الزمار
 كدهن الابل من جرب القراد
 يقال اخو بنت فى الجراد
 ويصعب فتق هذا الانسداد
 مع الهى ارتصوه بآعاد
 وترغبات دوما باحتشاد
 على شبق مجاذبة السداد
 ولا يحصيه طرسى أو مـ ادى
 وشر الناس منتشر الجراد
 سوادا فى سواد فى سواد
 كن وظيفتى عيسى الحداد
 بطهلا دون عردى واعتيادى
 ولا سمى يطيب ولا وقادى
 بلوعة مهجة ذات انتفاء
 مواصلى ويطمع فى حنادى
 ولا غم لدى سوى المكساد
 ولا يصعنى لاحصام لداد
 فكيف صنى لا لسة حداد
 وهل فى حرمهم يكبروا جرداى
 على تزيينه نادى المنادى

قول من صبر في المعنى بصير
 قياس مدارس قالوا غنم
 وكان البحر منهج سف غرضي
 ثلاث سنين بالخرطوم مرت
 وكيف مدارس الخرطوم ترجى
 هم ترجى المصانع وهي أخرى
 علوم الشرع قائمة لديهم
 خدمت بموطئي زمتا طويلا
 فكنت بمنحة الاكرام اولي
 وغاية مطالبي عودي لاهلي
 وصبري ضاع منذ اشتهت خطبي
 وكم حسنا دعوت الحين حالي
 وارجو صدر مصر لشرح صدرى
 وكم بشرت ان عزيز مصر
 وحاشا ان اقول مقال غيري
 لقد اسمعت لو ناديت حبيبا
 وفن دار العوازة لي عياذ
 أمير كبار أرباب المعالي
 عروف المعنى لا يسارك
 بواخر فضلك لركبان سارت
 وقال في معرفه فريد
 وفي الاحكام بالوا لا يضاهي
 وقالوا وفي الذكاء ذكا فقلنا
 وقالوا واذق الحسن المثنى
 وبحر حجاجه يندو منه در

صحيح الانتقاء ولا تنقادى
 بمصر فما النتيجة في بمادى
 فكنت الان اعرف في التهاد
 بدون مدارس طبق المراد
 هناك ودوتها خرط القناد
 لتأوييد المقصد بالمبادى
 لمغرب المعاش أو المعاد
 ولي وصف الوفاء والاعتقاد
 بعهده للتبشيس مستفاد
 ولو من درن راحلة وراى ..
 وهون الخطاب عند الاشتداد
 وكم نادى فؤادى يا فؤادى
 وجهد الطول في طول التهاد
 تفوه بالمكانك ولم يقاد
 وذلك ضد سرى واعتقادى
 ولكن لا حياة لمن تنادى
 يقينى نشب اظفار العراوى
 وفي سرعة العرفان فادى
 بمضمار الملا طاق الجياد
 وغنى باسمه حد وشاد
 فقلت وفي الرئاسة وفر اهر د
 فقلت وذو تحر واجتم اش
 واقت ذهنه وادى الرناك
 فقلت وكما بالوصف فادى
 لغرض معلوم لا ..

فيا حسن العقال اغث اسيرا	بسجن ارتج يحي ذا القياد
عليه دوائر الاسوار دارت	وطالت وفق اهواء الاعادي
وقد فرضت للمولى آمورى	وزاعين الاصابة والهداد
عسى للمولى بقول امضوا بمبلى	فيقضى لى بتقريب ابتعادى
وما نظم القريض برأس مالى	ولا استرى اراء ولا سنادى
ووافر يحره ان جاد يوما	فمدوحى له وصف الجواد
وليس لبكر فكرى من صداق	سوى تلطيف عودى والبلادى
فما يسمى ذراها من بيوت	وزان فى حاستها شداد
ومسك ختاهها صلوات ربي	قام طه المشفع فى المعاد
وآل والصحابة كل وقت	مواصلة الى يوم النناد

هذه شكوى رجل كان يعد نفسه من رجال الفكر ، هم نفسه الخدمة
مصر فاذن به توف عيدا عن لادستطيع ان يعطى معرفته وعلمه سيرة كن
عنه ان يسأ مع كتيبة فى أول سنين ابراهيم . وهو الذى عاد من فرنسا ليحاهد
فى الفكر ويمتج العقل المستعده ، ليعلم لتقبل وسكره وعلمه لاجير الضمير
والكتابة والقراءة .

.....

القرن التاسع عشر

أثير حملة نابليون عام ١٧٩٨ م على مصر لم يكن مانعه خبر نبشثة الحركة
اشتغافية وعلمية في مصر وحدها بل كان فاتحة خير للوطن والقيمة السلول عربية
وعلى الثقافة العربية .

لقد طرقت ثمان السلي مرتبعا بخنونه كل ما ينعكس عليه يهمل تياره إلى
الجوار وفي مكالم السواد حتى لو بعد حين . فقد كانت حملة نابليون رغم
الحسنات المادية وبثها التي تعرضت لها مصر وفماهرة ماضيه إلا أن القليل
الذي حانته هذه الحملة كان شعله جديده وقبيل طيبا لذلك السراج الذي تتلذذ
الذي حبت روحه انه امده قرون منذ ذهاب دولة العاطمية . تدهور الحياة
السياسية والفكرية واضطراب الامور ليس في مصر وحدها بل في جميع بلدان
الشرق اوسط . ومردود الحياة عامة في هذه العربية امتدادها انظام
على يد الحكيم التركي اعين الخطة كان يدعونه وكل فكر ناقب وليجرح انما
البلدان امده كل فرس وتمز والمشاركة إذا استورد كل حكمه احرمن من
تركها لانزال العقاب وليس بكل من تسول له نفسه بالتحرد والاحتجاج
وعاش الاتراك فسادا وقوة في البلاد العربية واخذوا كل شيء . ولم يعطوا أي
روح أي الى للعمل والتموص ووقفوا امام كل شيء عسى وامام كل عمل
من حتى انتهت الحقبة العثمانية والفكرية رعاد الناس لا يقرون العموم لا يدانون
. . . ولا يفترون منها الاخمية . . . كانت هذه الحياة العامة في بلاد العربية
ما في "وردان قبل هذه الحملة فهد وصات الحياة السياسية إلى أسوأ حالات
التمزق واستفت الحكيم سنادي كل مقومات الحكم اذ لم يطور الحياة انا قبع

في كرامى الحكم يسيطر على تعديده والقوف في الحدودية وحماية الضرائب وعاش البيت السارى لنفسه ولم يعيش له ملكته . . . فهم يحظر بدال ملك من ملوكهم حتى لعظم كاشيخ عديب في تحسير حال البلاد او تعاون نظام الحكم والاستفادة بخيرات الشعوب الاخرى

عاش البيت السارى مقهولا على نفسه لا يتمتع البيت الا للدين له مصدقة فيهم أو الذين يرغب في العرف اليهم .

لا بدنى ذلك انه كان ذكيا انا يدعى انه كان يفهم الحكم على انه ورثه ولا يوحى في البلاد من بطول على هذا الحق . . . نعم لم يكن أهل البلاد في شأن هذه الورثة لان الحكم لم يكن له تأثير كبير على حياتهم ولان الخدمة عامة نهم لم تعرض لهم كرامة حتى ، نخل ايسرلة ونفرض سطره ، وهم نهم . . . فالكشيخ أو الرعيم هو الذى يعرف اسلافه واحكام لارثه عنه بهم . . . القرية والمجموعات الصغيرة ولم تأثر بهذا المثل لانه من قديم ولم تعبر فيه شىء . الحق ابنى بأخوته منه ومن أحد دهم في القديم راد شىء بسيط للدفع نعيمه الى عليه لسلطان . . . ومث كل القبة محمولة ومشاكل القمية محمولة دين نهموعه . ولم يمداد لئاس ن يحول من هذا الحظ في لهدم لراض مشاكهم على نطاق اوسع فتمس السورب الذى كان متجرب قبل لسطه السيرة على سريلا بعدد ثلاثة ورون مع قيام لم تعور في وجه نخدم شىء فاب كان عندك تطور ظهر على انهم عات من السحية زمنية وادمية وهو تطور طبيعي في ضية سنة لتطور وليس للمملكة المتناوبة فيه اى يد .

دولة لايت لها كل القبائل والاعمار وسمت لها طواعية فم تحشى استلام

هذا القيد ولم تحول ن تطور حياة هذه مجموعات ثنى وكنت اليها أمها
وشؤونها . . . بل اعلمأت إلى هذا لاطمأن الذي أعطى لها وعاشت في قلبك
العادات الحكمة ر الصرع الطبيعي الذي يدور في أسرة حاكمة . . .
ولأمر الحاكم تحب لنفسها من المشاكل لو تفرغت ليه ما شغلها عن كل مهموم
بنيا ودمائس الاعضاء رخيئات الحياة . هكذا عانت السلطنة العريقة
دولة مدبرة على نفسها لم يكن لها محس يحفظ ولم تكن لها دور ابن
يجمع أوجه نشاط لاسي بل ركب ه كرت فيه وحججت عن أي نشاط حوبا
من الحسارة المادية .

بل كرت لها الرذائل ككبيرة الشرب الخا و حس كرت وهو أمر عروى
وحبوى وبدائي جدا في أي مجموعات نشأت هاتين الوطنيتين وظهورهما لا يعني
تطور الحكم الساري .

لو تبعنا حياة هذه السلطنة عبر القرون السادس عشر لميلادي حتى نهاية القرن
الثامن عشر الذي تطور هذه المملكة من الداخل والخارج .

كان يمكن أن تكون ه هذه السلطنة وسطية درر من أعظم الممالك
الاسلامية لانتعاش الامكانيات العلمية في البلدان العربية التي نهضت فيها
أسس نعم أن والاستقرار . .

فقد عاشت البلدان العربية الاسلامة في حالة من العوضى وصف كل شيء
عن لتقدم ووقف الملمة في حيرة من أمرهم ولا حسان لدى كرس يأتيه من
انقصور وصف سبهم بل شعل دهم بمشا كل فوق قوة انقصور والثامن عليها .
وفي مش هذه احاذات يهرب رجالهم والفكر الاراضي لجديا التي يشع

للعلم أى خدمة ولم تهتم به . وان كان هذا اهتمامهم ، رائرين من ربح العلم
والصرفية فهو اهتمام السرداني لكرمه سى لا يتخلص عن ضيقه

فلو بحث عن رجال العلم والامكان الى استقر وافهم من الذين لستس
عشر لوحدهم بعيدو عن سدر وربما بعيداً من هذه سدر بل حذر والحد
البدالاب في شمال النيل .

وبعد ان يشق مستقرو اولاد حنر وعول انه ، عند سدره السلام .
سكنوا بعيداً عن سدر وعن سدر وسماوية سكر فى ضفة قرب السدر
وأرض الخيرة كانت مأوى لكثير من هؤلاء اعمامه منه شتى وبرر وخدمة
وتونى واريحي والميمنة وسنار وكردقان .

هذا بحث فى مخط الادارى لتقسيم سدر ولا حصر فى تحصيل انجمنه سى
نظامه مسانده حتى سدر من طات تطيب طما ادرياقه . ثم بعد ان
ولم تطوره حتى وصل البناء بكل مساوئه وخيراته . . . واذا نظر فى طامه
الاقتصادى فيه نحول ان تطوره من جعلت تجاره وهي تجاره ثمة من سكره
وتركوا لبعض المدين بعض المهر من لتعرض حياة ثمة من تجارة بطرسة
ولم يقو مرا بالشاء الابن ونقط حراسة من مطامع بطرق ندر كان سكون
خطراً كبيراً على سدره وقصصه (رزق) الراتب لم يقم من ندر من
عشر وما كان يفعل بالثروة اقل التجارية الداخلة على برير والخارجة منها
يبعيد ولم تستطع أى سلطة اخذ كنه ان تدب اياه وكان الامر لا يبعثها
وحادث قطاعى الطرق وانتشارهم وازدياد هذا سرع من التكبس يكشف

من ضعف هذه الإدارة حتى انتشر هذا النوع من العمل وجذب إليه الكثيرون وأصبح لقطاع الطرق وزن كبير في الحياة العامة .. واحتلوا مكانة كبيرة في الأدب .. الشعبي والغنائي ...

أما في الزراعة فلم يحاولوا أن يطوروا أسلوب الزراعة نظريه ولا آليات نقل الماء من النبل وظلت كل أشكال الحياة العامة كما هي وانشغلوا بما يهم المملوك وهي حياة القصور والورانة والملكية حتى انتهوا على أيدي الجمع ..

ربما يظن أن لمملكة سنار يد كبيرة في تطور الثقافة أو العلم أو الإدارة . والحياه العامة منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادي إلى نهاية القرن الثامن عشر لم تتطور في السودان تطورا ملحوسا وان كان هنالك أى تقدم أو تطور هو تطور طبعى يحدث لكل المجموعات البشرية حينما لا تجد عوائق لهذا التطور والحسنة التي أنت بها سلطنة سنار إنما أوجت النظام ووقفت القنال بين تقبائل ومحاولة تسلط بعضهم على الآخر .. واتاحت الفرصة للحياه العامة أن تنموها فالتبعية ومهت للثقافة العربية أن تنتشر ببطء وللتعاليم الإسلامية أن تتصلح مع المعتقدات القديمة وثنية كانت أو مسيحية ولكنها من جانبها لم تحاول أن تشر الثقافة العربية أو التعاليم الإسلامية إنما كل ما حدث كان من نشاط الأفراد والمجموعات وحاجه الناس هذه العلوم ولعمرة تعاليم دينهم الذي كانوا لا يعرفون عنه شيئا حين قامت هذه السلطنة وكما جاء في مخطوطه ودضيف الله وكتب الشونة عن الحياة العامة قبل السلطنة السامرية أن الرجل كان يطلق المرأة وينزوجها غيره في نفس اليوم دون تمة

العدة . . . وهذا الجهل بتعاليم الدين لم يجد التخطيط السليم نحوه بل ظل حتى ظهور المهدي ومطالبته بتطبيق الشريعة التي كان يجعلها معظّم الناس حتى ضج ذلك الشايق من تعاليم الاسلام ودعوة المهدي فصاح قائلًا :

لامريسى ولا طنبير ولا تنباك ولا سنجير

وده كله من مهديك الكبير وعقرباً تطعك يا محمد الخير

هشمت السلطنة السنارية في أن تخلق جهازاً إدارياً وأن تنهض بالحياة العامة السودانية واستعانت بقمائل ثقلى لمسانبتها على حائط العرش من الداخل ومن المؤامرات الداحية التي تحاك عادة في القصور وبين الأسر الحاكمة الكبيرة القديمة حتى مهدوا لظلام الجندى ملكة ثقلى أن يستولوا على زمام الحكم وأن يهدروا أهل البيت عنه .

وان كانت حياة السودان العامة في ظل السلطنة السنارية على هذا الوضع هاهل السودان كانوا في أحسن حال إذ ما فورئز مقبة الدول العربية التي سقطت تحت نهموذ حكم المملكة العثمانية .. فقد ترك سلاطين سائر الناس أن يتطوروا حياتهم ولم ينفوا صد هذ التطور ولكن ما حدث لبقية البلدان العربية أن المملكة العثمانية التركية وقعت أمام تطور هذه البلدان . . . وقفت أمام التطور الطبيعي ولم تقدم أى بدلولوع الحياة العامة بل حقت كل محاولة للحركة حتى شلت كل شىء لينام الشرق في سبات عميق من أول القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى ودخل نابليون الاسكندرية ومعه عماله ومعهكرهه

ليحفظوا له ملكة جديدة وليحتفظ بخارق هذه الذي كانت تملكه "بضائع
البريطانية .

ربما لو لم يأتى "ديبون" ومعه ذلك العدد الضائل من المئة والمئة مكرين لم يكن
تأخروا بمصر لما حدث هذا التطور ولما قاموا الخبة وما اقترا فطر المصريين
بأن هذا ملك غير عالمهم وأن هذا ملكهم عن عالم الازهر وأن بقايا التراث
التي حذفتهم اشعوب "عربية لانه لا شيء بالاسمة لا فكا جال جاك روسو
، فواتير وسيرهم من المفسرين الغربيين . . وربما لو لا حضارة مصر القديمة التي
أسر العلماء بالبقاء بالقرب منها وبحارة ثقيلها والبحث عن معانيها حتى توصل
شامون إلى معرفة الخط الخير وغلب ما استعماد الشرق تلك المائدة بقدر علاقته
يركب العلوم الانسانية .

كان ذلك الجزء من حملة "ديبون" الذي ضم العلماء هو الخيرة في تلك الخبة
، فتح باب الحياة الجديدة لآباء مصر . . وتساعد الظروف مصر بأن يحكمها
ملك له ضموح وله أفكار وله اطلاع بعيد وثق نفسه تمرد عن السلطنة العثمانية وهو
ابنتها محمد علي باشا .

كان محمد علي ضموحا ومجده يحكم بتطور وكانت أفكاره . . الخلق ملكا
حديثة هجده . يبحث عن مكانه في الخبة في لإدارة وأمس وخلافه . . فوجد
في مصر في فرنسا ، في كسرت اقليم المملوكي ونشرت سرور الجمهورية على "الملك"
الهدية وانتشرت فيها العلوم فارملى إليها أبناء مصر الذين يثق فيهم لتلقى العلم
في مصر . . مصرية في جمع بعلامته - متروهم . . كان يخطط لخلق

شيء رأى امكانيات مصر لاني بأحلامه . . . سمع عن الذهب في السودان . . .
فالتفت نحو السودان . . . للاستفادة من ذهبه ورجاله . . .

وسأل عن السودان فعرف ان به ملك هرمه . . . في الشبان مشيخة "شايقية"
التي تمردت على العمدلاب ثم مشيخة العمدلاب . . . والسلطان عمر . . . ثم بقايا
ملكه سنار التي استولى عليها الجميع وسلطه درفوري في غرب السودان . . .
ارص واسعة وخيرات كثيرة وقبائل متمردة . . . امكانياتها متحصنة . . . والذهب
كما قبل له كثير لا يحصى وجرده حيشه عام ١٨٢٠ فقادته امه اسماعيل وسار الجيش
ولم يجد عقبه في عاريته حتى "ص" شايقية الذي رفضوا الخضوع لحيش زوهد
بالمناذق والمدافع حتى سقط اسماعيل معهم صلح وحدثهم وصعدوا إلى حيشه
وسار الجيش وتم له فتح السودان وكان الجيش يستعين بأهل البلاد والقبائل
المختلفة اقتتال القبائل الأخرى . . .

كان دحرج حيوش محمد عن السودان له مسابغة وروما لواله بقية . . .
عني وهم ايجد الذهب لما تطور السودان وحدث له ما حدث لمصر في حروب نابليون
وعلماءه . . .

فعل محمد علي مشافعا لثانيون في مصر الى ما استمد من فكرة نابليون . . .
وحين أرسل جنوده إلى السودان أرسل معهم بعض اعيان من الدارمر وبعض
رجال الصوفية حتى يؤثروا في الناس وما نظاهم لطروب ايجدوا لأم ثم
يستعين بهم بعد ذلك في ادارة بما كتبه الج. بدو . . .

كانت الإدارة في مصر في عهد محمد علي هي ادارة حكومية منظمة لها اداريين

حكومية بكل فرع من فروع الإدارة و عمران . اما في السودان فممكن قد وضعت هذه اللجنة بعد ... ودخل جيش محمد على السودان وهو يحمل خطة لحكم البلاد على أسلوب حديث وخلق إدارة جديدة ، تقوم على نظم حديثة ومنظورة بالنسبة للإدارة المحلية التي كانت سائدة ...

كان لدخول محمد على "السودان" ميزتان — أولهما توحيد ممالك صغيرة السطوة اسماويه — دارفور والشابقيه في دولة واحدة هي السودان ثم كانت الميزة الثانية وهي ادخال الإدارة الحديثة في السودان وما يبع ذلك الإدارة من أساليب التطور والتقدم والعلوم .

كما انما أرسل محمد على به اسماعيل لارسل الذهب فمات اسماعيل عرقا بين نيران الحطب ، فقصص على الملك مسعد وثقيق الملك نمر ... مات اسماعيل وكب صهره فاستم وج دارفور فعدد ايده رماذ الجند و ماد الحطب وشع الدار من جديده وشق الرماء بالدماء فظاهمه ان الدم المسفوك يمكن ان يحى اسم المحرق ... وصار اسمك نر واحوه وقبيته ولم يشق غلبته بك اسماء التي ارانها من اجل اسماعيل ...

حدث محمد على لوفاه اسماعيل ولما كنه كرجل حرب ونس دولة لم تذهب هذه نوايه عن علم لدمب — فبحث عن المعدن وارسل الخيام لأراضي الذهب وعانت امه وتقدره لالجميع باستخراج الذهب ... فللمنية التي عشرو شيه قليله ولا تكفي تكاليفها ... ولم يصدق محمد على ... كل احلامه التي وضعها في السودان ونسى موت ابنه من أحلامها تضيق بكلمات

الخبراء . . الذهب موجود في السودان هذا اعتقاره . . . الذهب موجود في
السودان . .

وفي عام ١٨٣٨ م بعد ان وصلت كل جهود حكاه في ارسال الذهب اليه
ساروه الشك وفضل الذهاب إلى السودان بنفسه وهو يرى كل امكانياته المادية
لا الحريية اني ارساما إلى السودان لتأتى له المساعدة لتقوى دلائله واسطوله
وليستطيع ان يقف على دور أوروبا وانجاشرا ويجعل له اسطولا قوي يجمع بين
القرصان من الانزب من شاطئه بحره . . ولكن المال الذي كان عنده صاع
والامل الذي كان يرحو منه أن يسنده لرفع مستوى اسطوله باحتذر الذهب
من السودان ولي . . .

ولم يثق بتقارير الخبراء واقتنيس . . . واعد رحلته اشهره لها ومن
والخطوطم واتخذ معه الخبراء ومفتين . . . وذهب إلى رضى "ذهب وحلس
بقرب الحيام ينظر إلى تراب ذهب ويسأل اهل البلاد عن ذهب لى يتحدث
الذئس عنه والخبراء يقولون له أن كمية الذهب هنا ضئيلة جداً . . .

ويعرضون عليه العبدات وهو يراقب الخمر والبنقيب والتصميمه ولكن
الذهب كذب وصاع الحامه الكبير الى كايحام به محمد عني في استهلال ذهب
السودان في تطوي حيشه واسطوله وممكنه ويقف في الامام لندرا لاوردته
والانجليزيه ،

الحكم التركي في السودان

(من ١٨٢١ — ٢٥٧١ تحت سلطة الدفتر دار اسماعيل

(١) الامير لاي عثمان بك (١٨٢٥ - ١٨٢٦)

كان ظلما وحكماً لبلاد في أوج اضطرابها واعتمد على خيرات ابلاد التي دمرتها الحروب اشتهر حكمه بالظلم والفساد والاعتماد ولانه على سلب حق الناس وذلك لاضطراب الاحوال العامة وندم استطاعة الادارة الجديدة من ابقاء كل مطالب الادارة وشجع امكيات لبلاد من حرام الحرب قدش الناس في خوف وحرج توفي بالسل في ابريل ١٨٢٦

عوبك ١٨٢٦ .

لم عمر كثيرا اول ما ذكر فيه هو اشرار اهل البلاد في الحكم ليستعين بهم في حفظ الامن وكسب ثقتهم -- عين الشيخ عبد القادر وبنى كان شيخ خط فقلده شياحة في الكونغ ومنحه كسوة فاخرة ثم شيد بناية خاصة للادارة الحكومية في الخرطوم

خورشيد باشا (١٨٢٦ - ١٨٢٩)

من الحكام المحنكين الذين ارسوا قواعد الادارة والمقام في البلاد تبع نظم الاستعماري بخبرات اهل البلد واستعان بالشيخ عبد القادر في تعديل صرائف وقدمه مشيخة ابلاد من حجيل العسل إلى جبرال هوج وحج عليه كسوة فاخرة وسيفا

انتظم احوال سبته وكشف عيوب التي جاء احكام الجدة كذب بها

تقرير محمد علي وعلى بالاسلوب الحديث على تطوير الزراعة وإيجاد الأمن والاستقرار بين أهالي البلاد . .

وخطط انشاء التعليم والصناعة بالسودان . . عمده مدينة الخرطوم في عهده . .
وأدخل بناء المنازل من الطوب وزار محمد علي السودان في عهده . . وكذلك في الحياة العامة .

أحمد باشا أبو ودان ١٨٣٢ - ١٨٤٢ م

وجد سلفه خورشيد باشا قد خطط له الحياة والإدارة فزار على خطاه وطور الإدارة ونظم الدواوين وشجع الملاحة وبناء السفن ضم بمعد الأقاليم إلى السودان كافة التماكا في سنة ١٨٤٠ ووسعت الفتوحات المصرية في السودان الشرقي وأحضر الحدائق عند نهر النيل وتمدت عليه قبائل اهمدندوة . .
قبيلة المحاريين الاقريه . المهاجرين وجمعت فراسنها وشمال كسلا في غبابة وهيماي والكلباب . . الا انه استطاع بفكره أن يفتح عليه . . اذ فكر في منع ماء الفاش عن الغابه التي يجمعون بها فوطئوا ثم اشعل النار في لغابه فدمروا وخرجوا حتى خضعوا له بعد أن انسحب شيخهم . .

بعد أن فتح شرق السودان وعاد للخرطوم وولى عن كسلا مدير قسم السودان إلى سبع مديريات :

(١) فازرغلي (٢) سنار (٣) الخرطوم (٤) كسلا (٥) بربر

(٦) دنقلة (٧) كردفان

أحمد باشا المتكلى (١٨٤٤ - ١٨٤٥)

في عهده عادت قبائل اباكا للانحداد من جديد واستعان بشيوخ القبائل وكبار
القوم منهم الارباب محمد وقع الله والشيخ عبد القادر الذين والشيخ أبو او محمد
كبير الشاكرين

عبد الطيف باشا (١٨٥٠ - ١٨٥١)

عمل على صلاح لادارة في مرة الركود التي حدثت به فقام باشا فواز
الصلح . . . وحدد ديوان الحكومة وحضر في عهده رداة رافع الطمطارى
شئى فرع مدرسة الاسن (المدرسة الاميرة ومعه يومى بك . . .

وصل الشح محمد القادر إلى أعلى منصب سودانى وهو وظيفة معاون
الحكمادارية مع مشيخته عوم الجزيرة

على باشا شركس (١٨٥٥ - ١٨٥٧)

عمم البلاد في عهده مرض (المراء الاسفر) ومات خلق كثير منهم الشية
عبد القادر شيخ مشايخ العرب طرم وسنار . . . خلفه ابنه زين الذى ذهب إلى مصر
صعين معاونا في نظارة الداخلية

ولو سعيد باشا السودان . . . ثم عين اراكيل بك نوبار حاكما للسودان
(١٨٥٨ - ١٩٥٩)

ثم حكم بعده حسين بك سلامة ثم محمد بك لغاية عام ١٨٦٢ م ثم موسى
باشا حاد لغاية ١٨٦٥ ثم حلفه جعفر بك صادق ليحلّفه في نفس العام جعفر
باشا مدّهر ثم ممتاز باشا إلى عام ١٨٧٠ ثم اسماعيل باشا إلى عام ١٨٨٠
ثم غردون عام ١٨٧٧ ثم محمد مروق باشا في عام ١٨٨٠ حتى عام ١٨٨٢
ثم جاء بعده عبد القادر باشا في مايو ١٨٨٢ حكمه

ماذا خلف الحكم التركي

يذهب علينا أن تنبأكي الآن على الفرضى التركية التي عمت السودان في
القرن التاسع عشر وأحداثها في ثلاثة حروب اشتعلت فيها كل القبائل من فرص
لبطائن التركي 'قاسى' مباشرة حتى خضعت ودمرت لأخضاع بقية القبائل لـ 'السترالك'
القبائل مع بعضها لاسكات الذين الداخلية بعد الثورة المهدية ثم عودة اخوة على
الثورة المهدية وإعادة فتح السودان من جديد .

حالة إسماعيل باشا

كانت حالة إسماعيل باشا افتتح اسودن وتوحيده . في حسب إلى قرار
القبائل والافراد وإدخال القوضى بمحاربة هذه الحملة التركية لارغام الناس
للخضوع والخضوع الذي لم يتعودوه

إصلاح يد الطوبى من الشروق إلى مصر مصر . فقط
الضرر في يدشين مجرم قاسى لا يعرف الرحمة ولا الكرم

كانت عملية توحيد الممالك الثلاثة وإخضاع أعرافيه مشقة على الجيش العربي
إذ عليه أن يدارب ثلاث دريالات هي أنشاييه واسمار والعبدلاب ودرفور
الامر الذي عرض جميع السكان لبطش هؤلاء الغزاة وقبضوا عليه الكثير من حيرتهم
ورجائهم ومنع قرارهم ومحاربة سحرهم للعمى الخيش للمساعدة في فتح
البلاد الأخرى فيه من الأذلال أكبر وأعلم فتم استعمل النصارى لضرب
لحميين المستغل لأنهم لضرب سار ودرفور حيث لم تستسلم هذه الدريالات
وتقبض لها العربى باسم للإسلام إذ كان منة لقمها في أمة رمة لا يخلق حسد
أن يغذوا مسلما

إرسال عسند عظيم من أبناء السودان لجنيد في جيش عديوى
ورسل آلاف الأتباع والحمل لمساعدة بيرانية العديوى في تحقيق أهدافه
لحق جيش قوى يحفظ الطم داخل مصر ويساعد على الفتوحات خارجها
الامر نسي قس من الإيسى المتجسس من رجال الشهاب وكمك دهاب
كثير من خبراته لجيش العديوى ولغلب به السى وضربوا عيشهم بالقرّة
على الأفراد مسة وابن طرى الأذلال والبطش وحقق أدخلوا الكراهية بكل
صورة ضد الحكم لتركى وفي إشعار تلك الفترة ما يكف غضب الناس صيغتهم
بالحكم التركي

الثورة المهدية

لنصف الناس حول المهدي وهم كارهين لحالهم وحال الحكم التركي ذابن
في هذا الشيخ الخلاص والراحة ولكن كيف الخلاص من هذا الداسى لعنيد

الابنة وة أكبر ووجدة أكبر وكان مالا مبر منه وهو الاحكام العرب والتمرد
ألمين بهذه الثورة الخلاص من ذلك الكابوس إلا أن الحرب استمرت وشملت
البلاد جميعها واشتركت كل القبائل فيما حتى كان النصر للمهدى واصار وقبائل
السودان . وظن الناس بالتصحر المهدي يعني لراحة والاطمئنان والاستقرار
وإعده بحبها الطبيعية بعد هذا الانتشرد والغرب عن الديار وقد كان الأهل
والأرض والأقارب والسكن المهدي لا ينتظر ليحقق لهم أمييه إلا أن تعرض
بعد أن استولى على الخرطوم عام ١٨٨٥ م واستمرت حركة الثورة المهدية من
عام ١٨٨٢ إلى ١٨٩٧ م وثلاثة حروب الأولى لاجلان الأتراك والآنجلز
من السودان والثانية لتأديب القبائل الخارجة على طاعة عبد الله التمهدي ثم
محاولة عبد الله التعايشي لعودة مصر وعودة الجيش المصري الانجليزى افتتح
السودان مرة أخرى ثم عوده الانجليز وجيش الخديوى لإعادته النظام وترويب
المتمردين حتى عام ١٩١٦ بالقضاء على ثورة على دينار

هذه هي مظاهر السياسة للقرن التاسع عشر وما خلفته من فقر وإرهاق
للكليات البلاد والناس ولعدد الضحايا الهائل الذى راح من أجل هذه المعارك
حتى يبدو لنا ظران هذا القرن كان قرن الظلم والتخلف والسياسة للشعب السوداني
واكر رغم هذا المظهر الخارجى للمكبوت والتكبل إلا أن هناك قوة أخرى
كانت تنمو وهى قوة العقل وذلك باتساع مدارك الفرد 'معدى وإهتمامه بأموه
- مدة ورؤية شعوب جديدة وحكاية بالظم جديدة إسنه د منها رعم هذا
المظهر الخارجى الأسود للقرن التاسع عشر .

القرن التاسع عشر وعطاه

رسم ماتعرضت له الديولات السودانية الماثرة على مساحاته الشاسعة من
تحرية وما عاتته القبائل من بطش ، لا أن هذا القرن كان مفيداً في توحيد تلك
الديولات في دولة واحدة وتوحيد كل تلك القبائل في قومية واحدة هي السودان
الحديث .

استقرار السودان في الإدارة الحديثة لمطورة نسبية من إدارة الشايقية
ودارفور وسنار وعرف نظام الإدارات الحديثة .

الأزهر في هذا القرن

كان للأزهر أثر كبير على المعرفة في السودان في هذا القرن وفيه أشتت
الأروفة السودانية ولطلاب العلم وضمان عيشهم والاعتناء بهم في عهد بدأ فيه
الأزهر يفتح في جديد للعارف العقليه ويشهد نشاطه .

وأول ما وصل إلى السودان من خير الأزهر العلماء والقضاء الذي أوصلهم
محمد علي باشا إلى السودان من خير الأزهر والذين كان لهم أثر كبير في نشر
الثقافة الدينية في البلاد وخلف علاقات عامة واسعة ولم تكن الخطروم
في ذلك الحين البلد الطيب ذا المداخ التي تسرف في مدينة جديدة
انشأتها الإدارة التركية لم يظهر عليها علامات التحضر والمدنية

غير مدينه للجند والذين يخدمونهم وترتبط معيشتهم بوجود هؤلاء
الجند والمستخدمين المدنيين الذين يعملون في دواوين الدولة لجديده

رغم أن الخرطوم كانت قرية قديمه قبل التمتع التركي بسكهم بعض المزارعين
إلا انها لم تكن ذات أهمية تذكر قبل قرن التاسع عشر وخاصة بعد أن أعطت
حضارة سويه على أيدي قبائل الشنكك

• • • • •

بهنسا

معجم البلدان

(أهنا) لفتح اسم موضعين تضر أحدهما اسم كورة في الصعيد الأدنى يعمل لقمصها أهنا المدينة وأضيفت نواحيها إلى كورة البهنسا . وأهنا هذه مدينة أدلية وقد قرب أكثرها وهي عن غرب النيل ليست بمعية من المصطاط وذكر بعضهم أن المسيح عليه السلام ولد في أهنا ذات ليلة المذكورة في برآل بحير (ومر إلى بك سدع منجاة تباطع عليك رطبا حيا) هو حوده هـ وان مريم عليها السلام أقامت بها إلى أن بدأ المسيح عليه السلام وسارا إلى الشام دجها ثور وورقون . ولها ينسب دحية بن مصعب بن الأصبح بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم خرج بها عن السلطان وقصد الواح وغيرها ثم قتل سنة ١٦٩ هـ . وأهنا الصغرى في كورة البهنسا أيضا قرية كبيرة .

بهنسا : بهنقين وسكون السين ونون والفة قلعة حصينة عجيبة بغرب مرعش وسيمساط وبرستاقها هورسن في كيسوم مدينة نصر بن شبلت الجارج . في أيام المأمون وقتله عبد الله بن طاهر وهو على من جبل طار وهي اليوم من أعمال حلب .

البهنسا : بالفتح ثم السكون وسين هملة مقصور مدينة بصر الصعيد الأدنى غرب النيل وتضفي إليها كورة كبيرة وليست على ضفة النيل

وهي عامر كبيرة كثيرة الدخول وبظاها مشهدوا يزعمون ان المسيح واهله
اقاما به ربيع سنين .

وبها رأي عجيبة وينسب اليها جامع جماعة من اهل العلم منهم أبو الحسن
أحمد بن عبد الله بن الحسي ابن محمد الطائر البهنسي حدث عن يحيى بن نصر
الخولاني توفي في شهر ربيع الأول سنة ٣١٤ وأبو الحسن عن بن العباس بن محمد
بن عبد الله البهنساري روى عن بكران سهل الدميطي وغيره روى عن أبو نصر
علي بن عبد الله .

. . .

النوبة

ويعلمهم أمه يقال لهم علوا بن ملك النوبة وبينهم ثلاثة أشهر وخمسة أمة أخرى من السودان تدعى الكنة وهم وعزوا عراة لا يلبسون ثوبا البتة إنما يمشون عراة وربما سبي بعضهم وحمل إلى البلاد المسلمين فلو قطع الرجل أو المرأة أن يستتر أو يلبس ثوبا لا قدر على ذلك لمعله إنما يدهنون إشارهم لادهاش ووعاء اندهن لئلا يسهون به نفثه بمكها دهما وبوكي رأسه يحيط فتعظم حتى تصير كالقارورة فإذا لدغت لإحدهم زبابة أخرج من فلفته شيئا من الدهن وإد دهن به ثم يرطها ويتركها معلقة . وفي بلادهم ينبت الذهب وعندهم بقة في الليل ومن وراء يخرج النيل الطلية ونوبه أيضا بلد صغير بأفريقية بين تونس واقية . ونوبه أيضا موضع على ثلاثة أيام من المدينة له ذكر في المعارى وقريبة أيضا ناحية من بحر تهامة تسمى بالنوبة لأنهم سكنوها ونوبه أيضا هضبة حراء بجزيرة الخوالب في أرض بني عبد الله بن أبي بكر بن كلاب وفي حديث عبد الله بن حجر خرجنا من مليحة نوبه ذكره الواقدي .

النوبة

(نوبة) يضم أوله وسكون ثانية ويد مدحقة والنوب جماعة من النجر ترعى ثم تدوب إلى موضعها فشبّه ذلك نوبة من سحر ولرجوع مره بعد مرة وقيل نوب جمع نائب من النجر واقطنه من شجر تسمى به شبهوها بالنوبة من السودان . وهو في عدة مواضع ، النوبة بلاد واسعة عريضة في حيز بين مصر وهدم مصر أهل شدة في عيش أول بلادهم بعد ما آل يجاميون إلى مصر فباعوا بها وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه صالح لهم على رهبانة رأس في السنة وفد منهم النبي ﷺ حيث قال من لم يكن له أخ وشيخ أخا من النوبة . وقال حير سيكم النوبة . والنوبة نهارى يماثيه لا يطؤون النساء في الخيض ويقبضون من الجبابرة ويختفون . ومدينة نوبة اسمها (دمقلة) (ذنقلة) ومن منزل الملك على ساحل النيل وطول بلادهم مع النيل ثمانون ليلة ومن دمقلة إلى أسوار أري عمل مصر مسيرة أربعين ليلة ومن دمقلة إلى أسوار إلى القسطنطينية مسيرة ثمانين ليلة ومن أسوار إلى أري مسيرة خمس ليال ، وشرقي نوبة لغة تدعى "لججه" ذكروها . ووصفهم وبين النوبة واللججه حدائق منيعة شامخة وكانوا أصحاب أوطن وفوا والبرية أصحاب ابل ونجائب وبقر وعظم ، وحكمهم خيل عتق ومعاينة براذل ويعملون النيل عن القسي العريضة وفي بلادهم الخطاء والشمير والذرة ولهم نخل وكروم ومقل وأراك وبلادهم أشبه شيء باليمن وعندهم اثربج مطرط العظم ولوكهم يرمعون انهم من حير ولقب مدكهم (كليل) (زليل) (قليل) . وكذا إلى عماله وغيرهم من كليل ملك مكرى ونوبة وخلفهم أمته .

البيجا

(بجارة) يفتح الواو - قال أبو حنيفة بجارة أرض بالنوبة بها ابل ورمه واليها تنسب الابل البيجانية منسوبة إلى البيجا وهم اسم عظيمة بين العرب الحبش والنوبة .

البربر .

ذكر هشام بن محمد أن جميع عمالة الاصنهاحة وكنامه فانهم بنو اهريس بن قيس بن مثنى بن سياه الاصله كانوا معه لما قدم المغرب وبنى افريقية قلب رجوع إلى بلاده يخافوا عنه عماله في تلك البلاد فبقوا إلى الآن وتناسلوا .

أسماء قبائلهم :

هزاره - امناهه - خريسه - مفيله - درخزومه - ولطيه ومطماطه ، وصماجه -
نهره - كتامة - كرايه - مرايه - ريوسه - تروسه - لاطه - صيويه - معموده -
غمره - مكنايه - فلبه - واريه - اتيه - كومييه - سخورد - امكنايه - خريزه -
فطه - حيره - برائن - واكلان - قصيران - زرنجي - برغواطه - لواطه -
زواوه - كزوله .

بجربة

هذه بلاد أخرى من بلاد الحبش والنج واليمن على ساحل بحر اليمن وبحر
الزنج وأهلها سودان جدد ولهم لغة براسها لا يفهمها غيرهم وهم بواد معيشتهم
من صيد الوحوش وفي بلادهم وحوش غريبة لا توجد في غيرها منها الزرافة
والبر والكركدن والنمر والتميل - وغير ذلك وربما لا توجد في سواحلهم
أندلس وهم يدين بقطعون مذاكر بعضهم بعضا ، وقد ذكرت ذلك وسنتها فيه
في الزنج وذكر الحسن بن أحمد بن يعقوب الحمصاني اليمني وقال ومن الشرائع
في تجاور سواحل اليمن وحزيرة بربره وهي قطعة من سواحل ابن ملطجة في
البحر بعد من نحو مطاع سهيل إلى ماشرق عنها وفيها حاذي منها عدن وقاصد
حين الدجال ، هي جزيرة سقطرا لما ينقص أن عدن اثنا عشر سميت ، ولما صعد
صيدهم سميت بحر واحد من دجل بلادهم في عدده نوعا من الثوب يشبه الخشن
يخدمونه به في المناسبات ولستحجول ما أعلم من أخباره حتى يذهب ، يصير كذا .

جزيرة

هذه بلاد أخرى

المريسة (يفتح اوله وتخفيف الراء وياه ساكنة وسين مبهمة — جزيرة في
بلاد النوبة كبيرة يجلب منها الرقيق .

مريسة بالفتح ثم الكسر والنشد يد وياه ساكنة وسين مهلة قرية بمصر
ولاية من نسمية تصيب اليها ينسب اليها المريسية وهي من أج د الخيروا مشاء .

والبحار حينا يشرب المريسة لاشك سوف يمشی سريعاً في منحير
والشبع .

ينسب اليها بشر بن غيات لم يرس صاحب الكلام مؤلف برية بن الخطيب
أخذ القصة عن أبي يوسف القاسمي صاحب أبي حنيفة ثم اشتمل على الكلام .

اشتملني أبو القاسم النحوي الاندلسي الملقب بالعم لبعض اطلابه بهجو
البربر .

رأيت آدم في نومي وقلت له أبا البرية ان الناس قد حكموا

ان البربر نسل مثانا قال انا حواء طائفة ان كان ما زعموا .

مقرى

(مقرى) بالضم ثم السكون وراء والفاء مقصورة تكتب ياء لانها رابعة من
أقرت الناقة تقرى فبى مقرية والمكان مقرى اذا شبت ماء الفحل فى
رجمها : قرية على مرحلة من صنعاء فيها معدن العقيق ؛

(مقرى) بالفتح ثم السكون وراء والفاء مقصورة تكتب ياء لمجيئها رابعة قرية
بالشام من نواحي دمشق مكدا وجدناها مضبوطة بخط ابن الحسن على
بن عبيد الكوفي المتقن الخط والضبط وكذا نقله ابن عرى فى كتابه
والمحدثون واهل دمشق على ضم الميم قال البهترى

أما كان فى يوم الثانية منظر - ومستمع ينبى عن البطشة الكبرى
وعطف ابن الجيش الجواد بكره - مدافعة عن دير مروان أو مقرى .

(مقرى) ينتمين وتشديد الراء - بلد بأرض النوبة افتتحه عبد الله بن سعيد
ابن أبى سرح سنة ٣١

العلاقى

العلاقى حصن فى بلاد البجسة فى جنوب أرض مصر به معدن التبر بينه وبين
مدينة أسوان فى أرض فياحه يحتفر الانسان فيها فان وجد فيها شيئا لجزء
منه للمخفر وجزء منه لسلطان العلاقى وهو رجل من بنى حنيفة من ربيعة
وبينه وبين عبدان ثمان وحلات .

كانم

كانم بكمر النون من بلاد البربر في أقصى المغرب في بلاد السودان وقيل
كانم صنف من السودان وفي زماننا هذا شاعر بمراكش المغرب يقال له الكانمي
مشهور له بالاجادة ولم أسمع شيئاً من شعره ولا عرفت اسمه قال البكري بين زويلة
وبلاد كانم أربعون مرحلة وهم وراء الصحراء في بلاد زويلة ولا يكاد أحد يصل
اليهم وهم سودان مشركون ويزعمون أن هناك قوماً من بني أمية صاروا اليهم
هذه محتهم ببني العباس وهم زى العرب وأحوالها .

. . .

فهرست الكتاب

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
خريطة وادى النيل		السودان بين الركود والعزلة	١٢٣
تقديم جماعه بمث التاريخ السودانى		بعد القرن الثالث الميلادى	
كلمة المؤلف		عادات أهل مصر فى العصر الفرعونى	١٣٣
السودان	١٢	الكنيسة وما قدمته للحضارة	١٤٥
أصل سكان السودان	١٣	فى السودان	
نظرة على المجتمع الأول	١٥	المسيحية فى السودان	١٥١
تطور المجتمع الزراعى الأول	٢٨	القرن السابع الميلادى	١٦١
مجموعات السهل	٣٤	نشاط الحركة الثقافية فى العصور	١٦٤
الحضارة قبل القرن الثالث الميلادى	٣٩	الأولى للإسلام	
تطور الفنون ونشأتها فى السودان	٥٠	تخطيط العرب لنشر الثقافة	١٦٧
الآلهة عند الفرس	٧٢	والفكر العربى	
المقابر الملكية بمحقة بلانوقسطل	٧٣	دخول العرب والإسلام السودان	١٧٢
موائد وقرايين من العهد الماروى	٧٩	النوبة	١٨٦
حصارة السودان الفرعونيه	٨٠	العرب فى السودان الشمالى بعد	١٩٥
دولة نباتا	١٨	حكم الفاطميين	
نبذة عن ملوك السودان العظام	١١٣	سكان غرب السودان ودخول	١٩٨
دولة أ كوم المسيحية فى الجانب	١١٩	العرب	
الشرق من السودان		العرب فى شرق السودان	٢١٣

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣١٤	نشأة الصوفية في الاسلام	٢٢٧	الظروف الخارجية التي ساعدت
٣٢٠	الصوفية الاوائل		على ركود السودان
٢٢٥	وجه القشابه بين الصوفية والرهباية	٢٣٢	الفاطميون في مصر
٢٢٨	الشعر	٢٤٠	أثر الثقافة العربية في السودان
٢٢٩	تاريخ الشعر العربي في السودان		حتى القرن السادس عشر الميلادي
٢٥٦	وقفه مع الثقافة في القرن الثامن	٢٥٣	السلطنة السنارية
	عشر والتاسع عشر الميلادي	٢٦٦	عماره دوقس
٢٦٤	رفاعه رافع الظهطاوى في السودان	٢٧١	تطور الثقافة العربية في عهد
٣٧٥	القرن التاسع عشر الميلادي		السلطنة السنارية
٢٨٤	الحكم التركي في السودان	٢٨٨	الحركة الثقافية قبل وبعد السلطنة
٢٩٣	معجم البلدان		السنارية
		٢٩٥	الصوفية والديانات الافريقية